



# شئون اجتماعية

العدد الرابع عشر - السنة الرابعة - صيف - ١٩٨٧ م - ١٤٠٧ هـ

◦ الامارات والمسألة الفلسطينية

د. حسن العلكيم

◦ القدرات العقلية عند الصم

د. محمد هويدى

◦ البعد الاجتماعي للامن في دولة الامارات العربية المتحدة

مريم سلطان احمد لوتاه

◦ دراسة النظم السياسية المقارنة - نحو نموذج التبادلات

السياسية المجتمعية

السيد عبدالمطلب غانم

◦ خلق العلم النافع

د. جورج جبور

تصدر عن جمعية اجتماعية



# شُوّون اجتِماعيَّة

شئون اجتماعية شئون اجتماعية شئون اجتماعية

### الاشتراكات

#### للافراد سنوياً

٢٥ درهم	في الامارات
١٠ دولار	في الوطن العربي
١٥ دولار	في الخارج

#### للمؤسسات سنوياً

١٠٠ درهم	في الامارات
٤٠ دولار	في الخارج

### الموزع

مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر

ص. ب ٤٧٠ - هاتف : ٤٤٤٤٠٠٠

دبي - ١٤٠



### ثمن العدد

٥ دراهم	الامارات
٥٠ فلس	البحرين
٥٠٠ فلس	الكويت
٥ ريالات	قطر
٥ ريالات	ال سعودية
نصف ريال	عمان
٥ ريالات	اليمن الشمالي
٣٠٠ فلس	اليمن الجنوبي
٥٠٠ فلس	العراق
٥٠ قرشاً	ج.م.ع
١٥ ليرة	لبنان
١٠ ليرات	سوريا
٣٠٠ مليم	السودان
٤٠ قرشاً	ليبيا
٥ دنانير	الجزائر
٥٠٠ مليم	تونس
٥ دراهم	المغرب

\* الافتتاحية ..... (١)

\* بحوث ودراسات

١ - الامارات والمسألة الفلسطينية

د. حسن العلکیم ..... (٢)

٢ - القدرات العقلية عند الصم

د. محمد هويدی ..... (٣٣)

٣ - البعد الاجتماعي للامن في دولة الامارات العربية المتحدة

مریم سلطان أحمد لوتاه ..... (٦٥)

٤ - دراسة النظم السياسية المقارنة - نحو نموذج التبادلات  
السياسية المجتمعية

د. السيد عبد المطلب غانم ..... (٨٥)

٥ - خلق العلم النافع - اقتراح باحداث مقرد خاص بالاستعمار  
الاستيطاني المقارن في اقسام العلوم السياسية بالجامعات العربية

د. جورج جبور ..... (١٠٩)

\* آراء وافكار

تربيـة الطـفـل بـيـن الـوـاقـع وـالـنظـريـة

ريمـا الصـبان ..... (١٢١)

\* عروض الكتب

إقتصاديـات الـامـارات وـدولـ مجلسـ التعاونـ نـظـريـاتـ فـي ضـوءـ

التـرـاجـعـ النفـطـيـ

د. ابراهيم عمر التنـي ..... (١٣٧)

عرضـ خـلـيـفةـ شـاهـيـنـ

# شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة

شُؤُون اجتِماعِيَّة مجلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ عَلَمِيَّةٌ تَعنى بالدراسات الإنسانية  
شُؤُون اجتِماعِيَّة تصدر عن جمعية الاجتِماعيين

# شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة

رئيس التحرير: د. محمد عبدالله المطوع

سكرتير التحرير: راشد محمد راشد

# شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة

الهيئة الاستشارية

د. محمد حور

د. حيدر ابراهيم

د. صالح ابو اصبع

د. عبدالخالق عبدالله

د. محمد هويدى

د. مصطفى علوى

د. نور الدين هنداوي

د. نورة المدفع

جميع الآراء الواردة في هذه

المجلة تعبر عن رأي كاتبها

# شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة

هيئة التحرير التنفيذية

بلال محمد بلال

علي محمد لطفي

طه حسين حسن

# شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير - ص. ب ٣٧٤٥  
الإمارات العربية المتحدة (الشارقة) هاتف ٥٤٨١٦١ جمعية الاجتِماعيين

# شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة شُؤُون اجتِماعِيَّة

شهد مجتمع الامارات في السنوات الاخيرة زيادة كبيرة في عدد حاملي الشهادات الجامعية والذين ربما تجاوز عددهم الآن ثمانية الآف جامعي، وإذا استمرت الاتجاهات التعليمية على ما هي عليه فمن المتوقع ان يبلغ عدد الجامعيين ٢٠ الف جامعي بحلول عام ٢٠٠٠ كذلك فإنه اذا استمرت الاتجاهات الراهنة في التعليم ما بعد الجامعي فمن المتوقع ان يبلغ عدد المواطنين الحاصلين على شهادات الماجستير ٣٠٠ مواطناً وعدد الحاصلين على الدكتوراه ١٥٠ مواطناً خلال ثلاث عشرة سنة القادمة.

ان هذه الزيادة المتوقعة في عدد الجامعيين والاكاديميين والباحثين في مجتمع الامارات تستدعي اصدار مجلة اكاديمية محكمة تتناول القضايا والمشكلات الاجتماعية ومنظور علمي وتحليلي وشمولي «ومجلة شؤون اجتماعية» التي تصدر عن جمعية من جمعيات النفع العام هي أول محاولة جادة في هذا الاتجاه.

ربما كانت هذه الخطوة سابقة لأوانها الا انها مؤشر مهم على نمو المناخ الثقافي والعلمي في هذا المجتمع، كما انها مؤشر على تزايد توجه المجتمع ككل نحو الأخذ باهم مقومات هذا العصر، الا وهو التخصص المعرفي والوظيفي، لكن تحول مجلة شؤون اجتماعية الى مجلة اكاديمية وعلمية يتضمن من بين امور عديدة التوجه الى قراء متخصصين من فئة الجامعيين والاكاديميين والمتخصصين بشكل عام، ورغم ان هذا التوجه يحمل قدراً كبيراً من الابتعاد عن «الجماهیر» وعن القاريء العادي والانغلاق على فئة اجتماعية محددة الا اننا على يقين انما بذلك انما نواكب حركة التطور في المجتمع وتلبی رغبة اعداد متزايدة من الباحثين والمتخصصين المواطنين والوافدين.

كما ان وجود المجلة الاكاديمية والعلمية والتي تهتم بالبحوث والدراسات الفكرية والنظرية والتطبيقية هو تعزيز لمسيرة الحركة الثقافية في الامارات والتي يبدو أنها قد دخلت مرحلة التنوع والنضوج، وعند تفحص هذه الحركة الثقافية نجد أن البحث العلمي لا زال حتى الآن في آخر قائمة اهتمامات هذه الحركة الثقافية الناهضة. فالبحث العلمي وكذلك الباحث الاكاديمي لم يأخذا بعد موقعهما الطبيعي والريادي في الحياة الثقافية في الامارات رغم اهميتها الوطنية ودورهما المحوري في وصف وتحليل التحولات المجتمعية الكبيرة التي طرأت على مجتمع الامارات واستشراف آفاقها المستقبلية.

من هنا فقد اصبح من غير المقبول ان يظل البحث العلمي والاكاديمي في مستوى المتدني الراهن، إن مجتمع الامارات اذا أراد ان يحقق التطور وينجز عملية التحديث واللحاق بالعصر فإن عليه أن يدعم ويحتضن الباحث العلمي والنشاط الاكاديمي،

فالباحثون والاكاديميون هم ثروة اصيلة واستثمار دائم بل انهم عنصر مهم من عناصر تكوين الثروة في المجتمع، فالنشاط الاكاديمي والتنظيري يؤدي الى رفع المستوى المعرفي في المجتمع ويعده بالمفاهيم المتعددة ويتسبب في تطوير طريقة الحياة وتوضيح الخيارات امام الافراد وبذلك يصبح من اهم مقومات المجتمع الحديث والعصري.

لقد توصل الفكر الانساني العلمي الى يقين من أنه لا يمكن فهم الاحداث والازمات التي تعصف بالمجتمعات الانسانية وبالوجود البشري في العالم ولا يمكن تخطيها دون نظرية علمية قادرة على كشف القوانين والقوى الحقيقة التي تنتتج هذه الازمات، ولا شك ان نصيب العالم العربي والعالم الثالث كبير من هذه الازمات المزمنة، وعليه فإن واقعنا العربي والمحلّي لم يعد يحتمل المزيد من الكتابات الانشائية والوصفية والبيانية بل يتطلب باحثين واكاديميين متسلحين بالمنهج العلمي والتحليلي، فمن خلال هذا المنهج نستطيع التخطيط لحياة افضل ونستطيع مواجهة مشكلات التغيير الاجتماعي ونستطيع ايجاد الحلول الجذرية لمواجهة هذه المشكلات، فللباحث الاكاديمي وللباحث العلمي وظيفة نظرية واخري تطبيقية، فهو يثري العالم بالحقائق والنظريات من ناحية كما انه الوحيد القادر ان يستنبط المباديء والقوانين المتحكمة في الظواهر الاجتماعية من ناحية اخري ويعبر عن هذه القوانين يستطيع المجتمع ان يتبنّاها بالمستقبل ويساهم عملياً في حل المشكلات والتحكم في الحياة لخدمة الانسان.

اننا في «مجلة شؤون اجتماعية» قد اخذنا على عاتقنا مهمة الدفع ب المجالات البحث العلمي والاكاديمي الى مقدمة قائمة الأنشطة الثقافية في مجتمع الامارات، وقررنا ان ننضم الى العدد المتزايد من الدوريات والدراسات الاجتماعية العربية التي تلتزم بالحد الادنى من شروط البحث التحليلي والنظري والميداني.

وهذا يعني انه بدلاً من ان تتحدث عن مشاكلنا بالاسلوب الانشائي والبيانى والسطحي السائد نحو ان نشخص ازماتنا وقضائيانا بمنظور علمي واكاديمي وموضوعي وشمولي. ولكن ومن اجل انجاح هذا المشروع ومن اجل انجاح مجالات البحث الاكاديمي والعلمى في المجتمع العربي والاماراتي فإنه لابد من المزيد من الدعم والاهتمام ولا بد من المزيد من الحريات وخاصة حرية التعبير والتفكير، كذلك ومن اجل انجاح التوجه الجديد «لمجلة شؤون اجتماعية» لابد من المزيد من التعاون فيما بين الباحثين والاكاديميين والمتخصصين في الفروع المختلفة للمعرفة، وسيظل أهم معيار النجاح المجلة في مهمتها الجديدة هو انتشار المجلة وتعاظم الرغبة في الحصول عليها، ومن جهتنا نحن في المجلة فإننا سنتابع هذه المؤشرات باهتمام وحرص شديدين.

شئون اجتماعية.

## بحوث ودراسات

### الامارات والمسألة الفلسطينية

د. حسن العلکم \*

المقدمة :

يهدف هذا البحث الى القاء الضوء على العلاقات الاماراتية الفلسطينية. وإن كانت العلاقة التي تربط الطرفين علاقة تاريخية ترجع الى فجر الاسلام، الا أن الهدف من هذا البحث هو محاولة متواضعة لفهم طبيعة العلاقات الثنائية منذ قيام الاتحاد، والدور القومي الذي تلعبه دولة الامارات في دعم المسألة الفلسطينية ويعطي هذا البحث نبذة تاريخية عن علاقات امارات ساحل عمان الرسمية بالمنظمات الفلسطينية والتي بدأت في عام ١٩٦٥ م والتي تعد نقطة البداية للعلاقات الرسمية.

\* قسم العلوم السياسية، جامعة الامارات العربية المتحدة.

ويدور عود البحث حول الفكرة التالية : انه بالرغم من صغر حجم دولة الامارات وبالرغم من الانقسامات العربية والمؤثرات الخارجية الأخرى تمكنت دولة الامارات من أن تنجي سياسة ايجابية وثابتة ازاء المسألة الفلسطينية، وتكون أهمية البحث في التعرف على الابعاد الداخلية والإقليمية والدولية التي توجه سياسة الامارات تجاه المسألة الفلسطينية اضافة الى أهمية المسألة الفلسطينية في توجيه علاقات الامارات مع دول العالم الخارجي.

وستكون الدراسة مبنية على تحليل مواقف الامارات تجاه المسألة الفلسطينية من خلال بحث العوامل المحددة لسياساتها تجاه فلسطين والدود الذي تلعبه المسألة الفلسطينية في سياسة الامارات الخارجية على النطاقين العربي والدولي، وعلاقات دولة الامارات بنظمة التحرير الفلسطينية. وتم الاعتماد في هذه الدراسة على مصادر أولية وتشمل المقابلات الشخصية والاصدارات الحكومية والدوريات، وثانوية تشمل المقالات والكتب.

لمحة تاريخية ١٩٦٥ م - ١٩٧١ م :

يعد عام ١٩٦٥ م بداية للعلاقات المباشرة بين المنظمات الفلسطينية وحكومات ساحل عمان وقطر والبحرين، حيث افتتحت منظمة التحرير الفلسطينية أول مكتب لها في الدوحة كما تم تعيين ابو صطعه وهو فلسطيني من بئر السبع تم تعيينه من قبل أحد الشقيري رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، كأول ممثل للمنظمة في امارات الساحل الشرقي للخليج، وبالرغم من عدم وجود مكتب لمنظمة التحرير في أي من امارات ساحل عمان الا أن مهمته التثليل كان يقوم بها أبو صطعه الذي كان يقوم بزيارات لامارات ساحل عمان بين الحين والآخر، وفي نفس الوقت بدأت الفصائل الفلسطينية بتدریب اعضائها سرياً في كل من قطر وامارات الساحل «١».

ومع وصول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الى الحكم في ابو ظبي في ٨/٨/١٩٦٦ م بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين ابوظبي ومنظمة التحرير من ناحية وبين ابوظبي والفصائل الفلسطينية من ناحية أخرى.

ويرى السيد جمیل الرمحی أول مندوب لمنظمة التحریر في ابوظبي «قبل قيام الاتحاد» أن الحكومة الجديدة لم تتردد في دعم كل فصائل الثورة الفلسطينية دون تمييز بغض النظر عن تعددية الايديولوجيات التي تعتقدها الفصائل المختلفة طالما أن كل هذه المجموعات تعمل من أجل تحریر فلسطين.

ولم يكن تعهد حکومة أبوظبي بعدم النضال الفلسطيني سوى جزء من التزامات الحكومة الفعلية

بمسؤولياتها القومية التي تتضح في قيام حكومة أبوظبي، من خلال الشيخ زايد، بعد هزيمة حرب يونيو ١٩٦٧م، باصدار تعلياتها إلى أحد السويفي الذي كان يشغل في ذلك الوقت منصب الممثل الشخصي للشيخ زايد، بتحويل جزء من ميزانية أبوظبي للحكومة المصرية عن طريق البنك العربي في بيروت، ولقد سلم المبلغ إلى الرئيس عبد الناصر بواسطة سامي العلمي، الذي كان مديرًا للبنك العربي في بيروت في تلك الفترة»<sup>٢</sup>. وجاء هذا على لسان احمد السويفي ايضاً خلال جلسة المجلس الوطني الاتحادي في ٢٦ يونيو ١٩٧٦م وذكر السويفي أن حاكم امارة أبوظبي رأى أن التزاماته القومية تفرض عليه دعم الدول العربية الشقيقة في الحرب ضد اسرائيل»<sup>٣</sup> وكانت حكومة أبوظبي تدعم كلًا من مصر وسوريا والأردن ولكن لم يكن يعلن عن مثل هذا الدعم. وبالرغم من أن أبوظبي كانت تحت الحماية البريطانية، إلا أن حكومتها بدأت تظهر نوعاً من التعاطف مع المسألة الفلسطينية وكان مثل هذا الشيء واضحًا في القرارات والقوانين التي شرعتها الحكومة فثلا صدر في عام ١٩٦٨م قرار يقضي بعدم القاء القبض على أو طرد اي فلسطيني من أبوظبي يتتمى الى أي من الحركات الثورية الفلسطينية الا موافقة الشيخ زايد»<sup>٤</sup>. وفي عام ١٩٦٩م اصدر الشيخ زايد قراراً اخر يلزم فيه الفلسطينيين العاملين في أبوظبي بدفع خمسة في المائة من ممتلكاتهم الى المجهود الحربي الفلسطيني كما اصدر مرسوماً يقضي بأن كل دعم أبوظبي المادي للمسألة الفلسطينية والدخل الذي يجمع من القرارات والمراسيم السابقة لابد وأن يذهب الى الصندوق الوطني الفلسطيني الذي تمثل فيه كافة المجموعات الفلسطينية بما فيها فتح»<sup>٥</sup>..

وفي نهاية عام ١٩٦٩م افتتح أول مكتب لنظمة التحرير في أبوظبي. وانتدب جميل الرمعي، فلسطيني يحمل جواز أبوظبي والذي كان يعمل في ديوان الحاكم ليكون اول مندوب لنظمة التحرير في أبوظبي، كما خصص ديوان الحاكم ميزانية سنوية لمكتب المنظمة وتدفع هذه الحصة من قبل حكومة أبوظبي، ويضيف الرمعي بأنه ليس فقط ميزانية المكتب التي كانت تدفع من قبل حكومة أبوظبي بل جميع المصارف بما فيها الاثاث والقرطاسية والكهرباء والماء»<sup>٦</sup>.

خلال الفترة ١٩٦٩ - ١٩٧١م كان هناك دعم مادي اخر للمجموعات الفلسطينية وكانت فتح تحظى بنصيب الاسد وبقدر ثلاثة اضعاف ما كانت تحصل عليه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ويبعد الرمعي مثل هذا العمل بأنه لم يكن على اساس اختلافات ايديولوجية بقدر ما هو نتيجة طبيعية لحجم فتح والدور الذي تلعبه في النضال الفلسطيني.

## العوامل المؤثرة في سياسة الامارات تجاه فلسطين :

### أولاً : المحددات العامة : الاسلام :

تستمد فلسطين اهميتها من القيمة الاسلامية التي تحظى بها نتيجة لوجود المسجد الاقصى، هذه القيمة تفرض على الحكومات في العالم الاسلامي الذي تعتبر دولة الامارات جزءاً منه لتلعب دوراً هاماً في النضال من أجل تحرير فلسطين، ويقول شقيق الحوت بأن مسألة القدس في ذاتها تعد سبباً كافياً لاهتمام اي قائد عربي مسلم<sup>(٧)</sup>. ودولة الامارات في التزاماتها تجاه فلسطين حريصة على حضور جميع اجتماعات منظمة المؤتمر الاسلامي التي تعقد لمناقشة المسألة الفلسطينية والتأكد على ان التضامن الاسلامي هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين<sup>(٨)</sup>.

ويصور الاسلام من قبل المسؤولين في الامارات دائماً على أنه أحد الركائز الاساسية التي توجه سياسة الامارات تجاه فلسطين وينعكس ذلك على خطب وتصريحات المسؤولين في الامارات، وفي زيارة لبنغلادش في مايو ١٩٨٤م، اوضح الشيخ زايد بن تحرير الاماكن المقدسة هو من أهم واجبات المسلم وعليه فإن تحرير بيت المقدس واعادة الكرامة لlama الاسلامية يعد من أهم مسئوليات المسلمين، واضاف بأن هذا الواجب الديني من غير الممكن تحقيقه الا بتضامن الامة الاسلامية<sup>(٩)</sup>. وعليه فإن الرابط الاسلامي يمكن النظر إليه على انه احد العوامل التي تحدد التزامات الامارات تجاه فلسطين.

### القومية العربية :

إن الاهتمام بفلسطين من منطلق قومي لا يعد شيئاً غريباً على الامارات التي تتكون منها دولة الاتحاد اليوم فقد كان للشودة العربية في فلسطين ١٩٣٦م - ١٩٣٩م اثر مباشر على التطلعات القومية للسكان العرب في الخليج، وتعد احد الاسباب التي شجعت رفض السياسات الاستعمارية ليس فقط في فلسطين بل ايضاً في الخليج، في الحقيقة بعد اندلاع الاشتباكات في فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية شهدت جميع مناطق الخليج<sup>(١٠)</sup> بالاستثناء المختتم لسقوط تبعية واسعة للرأي العام لصالح فلسطين<sup>(١١)</sup> حيث عقدت الاجتماعات في منطقة الساحل العماني بصفة عامة أو في الشارقة على وجه التحديد، بهدف توعية الشعب بالاحداث في فلسطين ولتجمیع التبرعات، وفي احد الاجتماعات، في احد مساجد الشارقة في ١٢ ديسمبر ١٩٤٧م الق احمد ابناء الحاكم قصيدة شعرية يدين فيها التواطؤ الامريكي - الروسي على تأييدهم لاقتراح تقسيم فلسطين واشاد بالدور العراقي<sup>(١٢)</sup>. ويرى بعض المحللين بان الاحتلال الصهيوني لفلسطين ولد توجهاً قومياً وشعوراً معاذياً للاستعمار بين الفئات المتعلمة من ابناء الساحل العماني<sup>(١٣)</sup>،

علاوة على ذلك وبالرغم عن كل ما اشيع عن شعب المنطقة من قبل المسؤولين الانجليز الذين تعاقبوا على المنطقة، على انه مختلف ويعيش في العصور الوسطى، الا انهم كانوا على علم بجريات الامور والاحاديث في فلسطين وكانت استجابتهم مدهشة للغاية<sup>١٤</sup>.

لقد كان من اهم اثار حرب رمضان لعام ١٩٧٣ على شعوب منطقة الخليج هو زيادة الوعي القومي بالمعاناة في فلسطين، ويرى انطوني كوروزمان بان الحرب وضعت ضغوطات على دول الخليج لبناء قواتها وفرضت على الحكومات المحافظة في دول الخليج أن تبعد نفسها عن الولايات المتحدة وفصلت دول الخليج عن ايران التي كانت تزود اسرائيل بالبترول والتي ابدت اهتماماً بسيطاً للقضية العربية<sup>١٥</sup>.

ويصوّد المسؤولون في الامارات العربية دائمًا القومية العربية كأحد المسيرات لسياساتهم تجاه فلسطين، وفي خطاب للشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة، بمناسبة الذكرى الاولى لقيام الاتحاد ٢ ديسمبر ١٩٧٢م اوضح بأن ايمان دولة الامارات بالمسألة الفلسطينية هو جزء من ايمان الدولة بعروبتها وتاريخها ومصيرها كما هو الحال في العالم العربي بأسره<sup>١٦</sup>. كما اكّد هذا احمد خليفة السويدي وزير الخارجية في تصريح للصحيفة الاردنية الدستور في ٧ يونيو ١٩٧٤م<sup>١٧</sup> «وعلیه اصبح موضوع فلسطين أحد ركائز التنشئة السياسية لشباب الخليج كما هو أحد ركائز اعمال القيادات في دول الخليج الى درجة ان العلاقات المستقبلية بين دول الخليج والقوى الاجنبية سوف تعود بقبول الاخيرة واستعدادها بالاعتراف بان المسألة الفلسطينية عادلة، ووقفها الى جانب حق الفلسطينيين في تحرير مصيرهم»<sup>١٨</sup>، ومن خلال عملية التنشئة السياسية وزيادة الشعور بالانتفاء القومي العربي لدى الشباب في الامارات، ستتصبح القومية العربية أحد العوامل المهمة التي توجه سياسة الامارات الخارجية تجاه القضية العربية ولكون المسألة الفلسطينية أحد اسس القومية العربية فانها تحتم على الحكومات العربية عدم تجاهلها.

### امن الخليج :

إن الارتباط بين امن الخليج والمسألة الفلسطينية متعدد الاطراف فهناك الخطر الإسرائيلي على المشاريع الحيوية لدول الخليج من ناحية، والخوف من انه لو وصلت المسألة الفلسطينية الى طريق مسدود من الممكن ان يؤدي بالحركات الفلسطينية الى اتخاذ اجراءات مضادة لمصالح دول الخليج من ناحية اخرى. كلا الاتجاهين يشكل خطراً على امن الخليج، ارتباط اخر ينبع من حقيقة الامر بأن الحكومات المحافظة في الخليج واسرائيل حلفاء للغرب وعليه فان كلا الطرفين وان كانوا يختلفون في سياستهم الاقليمية ينظرون تحت الاستراتيجية الامريكية الامنية الاقليمية الشاملة مما يجعل الاختيارات الاقليمية لدول الخليج العربية محدودة.

وعليه فإن دول الخليج تعيش تحت ضغوط سياسية بين التزاماتها تجاه فلسطين وفي نفس الوقت رغبتها في تحقيق تسوية سلمية مع إسرائيل مما يجعلها أحد أدوات الضغط على الفلسطينيين لقبول التسوية «١٩»، لأن التسوية السلمية سوف تؤدي إلى الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط ويقفي على مقدرة الاتحاد السوفيتي في استخدام المسألة الفلسطينية لصالحه وأضافة إلى ذلك فإنها تنهي المطالبة التي تنادي بمحظر البترول عن الولايات المتحدة الأمريكية «٢٠». علاوة على ذلك، فإن الدعم المالي الذي تقدمه دول الخليج العربية لدول المواجهة ومنظمة التحرير الفلسطينية جعل هذه الدول أحد الأهداف الأساسية الرئيسية «٢١» كما يتضح من تصريحات المسؤولين الإسرائيليين فثلا صرّح موشى ديان في أحد خطبه بأن الكويت ليست بعيدة عنها كما قالت غولدامائير بأنها تشم ريحه الاجداد من خير وإن المجموع الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي خير مثال على ذلك.

ولقد هيمن التخوف من المجموع الإسرائيلي على دول الخليج على خطب وتصريحات الشيخ ذايد في تصريح لصحيفة أخبار اليوم القاهرة أعيد نشرها في الانوار الباريسية في ١٨ أبريل ١٩٧١م قال : بأن سياسة إسرائيل التوسعية وخططها العنصرية موجهة ضد جميع الدول العربية وخاصة الدول الغنية بالصادر الطبيعية وليس هناك دولة عربية في مأمن من الخطر الإسرائيلي إلا إذا تحملت مسؤوليتها في مواجهة العدو الإسرائيلي «٢٢». وأضاف في مقابلة صحيفة مع الحوادث اللبنانية صدرت في ٤ نوفمبر ١٩٧٧م معتبراً على التصاريح الأمريكية وسياساتها تجاه الخليج من أجل حماية منابع النفط، إن الخطر على البترول يأتي من الدعم المقدم من الولايات المتحدة للدولة التي تهدد أمن وسلامة المنطقة وتساءل عما إذا كانت حماية البترول تم بدعم العتدي وتهديد ضحية الاعتداء ؟ وقال أليس من الأسهل والمنطق حرمان العتدي من التأييد الذي يبدوه سوف يزيل الخطر الذي يهدد البترول وبالتالي فلن يكون هناك أية حاجة إلى حمايته من قبل دولة أجنبية.

وأضاف انه ليس من النطقي لشخص ما يعرض حماية المنطقة من الخطر بينما هو يؤيد ويشجع الطرف الآخر على الاعتداء «٢٣». وأكد الشيخ ذايد تصريحاته هذه لدى مقابلته لرئيسة وزراء بريطانيا في ديسمبر ١٩٨١م وربط الأمان في الخليج بتسوية مشكلة الشرق الأوسط «٢٤»، وأكد هذا من قبل الشيخ خليفة ولي عهد أبوظبي ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة في الإمارات، في مقابلة له مع صحيفة اليوم السعودية «٢٥».

ويرى المراقبون الغربيون بأن المسؤولين في الخليج متذمرون من أن فشلهم في تحقيق التزاماتهم الإسلامية والقومية تجاه فلسطين سوف يقيض شرعية أنظمتهم التي يحاولون تصويرها على أنها تقوم على أساس الإسلام والقومية العربية كما أنها سوف تشجع معارضة داخلية لأنظمتهم وسوف تشجع الفلسطينيين على انتهاج سياسة معادية لأنظمتهم ويرى دوك «Duke Anthony John» بأن هناك تخوفاً من أن الفشل في تحقيق تسوية للنزاع من المحتمل أن يموج بعض المناطق إلى معسكرات تدريب لفتح وفي حالة

حدوث مثل هذا الشيء فإن الاتجاه المحلي السائد هو أن النظام لن يتمكن من الصمود أمام الضغوطات وعليه فإنهم مقتنعون بإن عدم تسوية المسألة الفلسطينية هو أحد العوامل المعاقة للاستقرار في المنطقة»<sup>(٦)</sup>.

يتضح مما سبق ذكره بأن الرغبة في تحقيق الامن في الخليج تتطلب من الانظمة الخليجية العربية انتهاج سياسة مقبولة لجميع الاطراف – شعوبهم، الفلسطينيون والقوميون العرب، وكان هذا منعكسا على التصريح الختامي للقمة الاولى لدول مجلس التعاون الذي عقد في أبوظبي ما بين ٢٦ – ٢٧ مايو ١٩٨١م. والتي أكدت بأن امن الخليج مرتبط بتحقيق السلام في الشرق الاوسط وضرورة حل المسألة الفلسطينية»<sup>(٧)</sup> ..

### ثانياً : الاعتبارات التنظيمية :

#### دور رئيس الدولة :

إن دراسة جهاز صنع القرار في السياسة الخارجية الاماراتية توضح بأن رئيس الدولة يلعب الدور المهيمن في صنع السياسة الخارجية، وعليه فإن العicide السياسية التي يعتقدها الرئيس لا شك وانها تحدد المنظور الذي يرى من خلالها العالم الخارجي وبالتالي ينعكس على القرارات التي يتخذها في السياسة الخارجية، وينظر الى الشيخ زايد رئيس دولة الامارات من قبل بعض المحللين السياسيين على انه «قومي»<sup>(٨)</sup>. وإن دعم أبوظبي المالي لمصر بعد حرب يونيو ١٩٦٧م يوضح هذا الشيء، كما ان الشيخ زايد وفي مقابلة صحافية مع جريدة العدوى التي تصدر في البحرين في يونيو ١٩٧٣م أوضح بأن رفع الشعارات ليس المهم، ولكن المهم ان نتفق بين انفسنا على خطة عمل لتنسيق جهودنا وتحديد الواجبات على مستوى الامة العربية عامة، المطلوب هو اتفاق العرب والحصول على الاجماع ونحن في الامارات لن نتردد في دعم القوة العربية لمواجهة العدو<sup>(٩)</sup> ، واثناء حرب رمضان كان رئيس الامارات اول من حظر البترول عن الولايات المتحدة كرد على الدعم الامريكي غير المشروط لاسرائيل.

وعندما سئل الشيخ زايد عما اذا كان يخاف من انتقام امريكي ضد الامارات، اجاب بأن الانسان دائما حريص على حياة حياته ولكنني انا غير مكترث، افضل ان اضحي بنيفي في سبيل المداف العربي<sup>(١٠)</sup>، وهذا في حد ذاته مؤشر آخر لانتفاء الشيخ زايد القومي.

وحاول الشيخ زايد دائماً اظهار احساسه الشخصي تجاه المسألة العربية وكان انتباوه الى المداف العربي وداء اتخاذ له قرار حظر تصدير البترول الى الولايات المتحدة وفي مقابلة مع راديو لندن البرنامج

العربي، سئل الشيخ ذايد عن العوامل التي ادت الى اتخاذ قرار المحظر عن الولايات المتحدة وقال : ان الذي ادى به الى اتخاذة هو احساسه بواجباتي تجاه الذي يقاتلون على الجبهتين المصرية والسودانية انه أقل واجب يمكنني تقديمها تجاه إخواني<sup>(٣١)</sup>.

وفي اجابة على سؤال آخر أوحى بأن قراره يعد قراراً أذمة، أي اتخذ بدون دراسة مسبقة لعواقبه<sup>(٣٢)</sup>، ومثل اخر يوضح موقف ذايد القومي وهو احتجاجه على قرار وقف اطلاق النار الذي اتخذ من قبل مصر وسوريا في حرب رمضان ١٩٧٣، حيث الغي جميع مواعيده الرسمية ولم يترك منزله لمدة يوم واحد، ولكنه عذر يمادس اعماله في اليوم التالي قائلاً «أولئك الذين على الجبهة يعرفون أكثر من البعدين، وإن مصر وسوريا لديهما الحق لاتخاذ أي قرار»<sup>(٣٣)</sup>. وفي مقابلة مع أخبار اليوم المصرية نشرت في ١٧ مايو ١٩٧٥ أكد استعداد الامارات لأن تلعب دورها في أي قتال عربي ضد الكيان الصهيوني في المستقبل<sup>(٣٤)</sup>. وفي مقابلة مع «نيوزويك» نشرت في ١٠ مارس ١٩٧٥ أخيراً أرنولد بورغريف Arnold de Borchgraree بأنه في حالة حدوث حرب بين العرب وأسرائيل في المستقبل فسوف تسلم الامارات طائراتها الحربية «٣٠ طائرة ميراج اشتراها من فرنسا ١٩٧٣م» الى احدى دول المواجهة في الصراع المشترك<sup>(٣٥)</sup>.

## دور الرأي العام :

لم تكن منطقة الخليج قبل الاستقلال بمعزل عن الاحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية التي شهدتها العالم العربي، لقد أظهر شعب الخليج تضامنهم ودعمهم الكامل للشعب الفلسطيني ابان الثورة العربية ١٩٣٦ – ١٩٣٩م بالرغم من ان منطقة الخليج كانت تعيش فترة الحماية البريطانية.

وبالرغم من أن منطقة ساحل عمان كانت متأثرة بدرجة كبيرة، – باستثناء دي تكريباً – بالركود الاقتصادي العالمي في الثلاثينيات من هذا القرن، الا أن شعب هذه الامارات قدمو تبرعات مالية سخية للفلسطينيين وفي مذكرة قدمها المقيم السياسي في الشارقة الى المعتمد البريطاني في البحرين ذكر فيها بأن مبارك بن سيف الناصري القى خطاباً في احد مساجد دبي تعرض فيه الى الوضع المأساوي الذي يواجهه عرب فلسطين وأدان المؤامرة البريطانية ضد العرب والتي تتضح في التسهيلات التي قدمها الانجليز للهجرة اليهودية الى فلسطين، وجاء في المذكرة : بأن مبارك تمكّن من جمع ٢٨٠ روبيه هندية<sup>(٣٦)</sup>. كما قام بزيارة لحاكم الشارقة سلطان بن صقر الذي تبعه بـ ٣٠٠ روبيه<sup>(٣٧)</sup>.

لقد ولدت المسألة الفلسطينية لدى شعوب منطقة امارات الساحل العماني شعوراً معارضياً لبريطانيا.

ويرى بشارة خضر بأن العلاقة بين المسألة الفلسطينية والخليج هي علاقة طبيعية لأن إسرائيل والغرب وجهان لنفس الامبرالية وأن فلسطين والخليج كلاهما أرض عربية يتقاسمان الخصائص نفسها<sup>(٣٨)</sup>. إلا أن هذا الادراك ليس لدى جميع الفئات الاجتماعية بنفس الدرجة<sup>(٣٩)</sup>. وترى دوز مري زحلان بأن انتهاء الأسر الحاكمة إلى المدف العربي أثبت أنه أقوى من تلك الاتفاقيات المانعة مع بريطانيا<sup>(٤٠)</sup>. ويرى خضر بأن حكام الخليج لا يستطيعون تجاهل تضامن شعوبهم مع الفلسطينيين لأن استمرارتهم في الحكم أحياناً تعتمد على سياساتهم تجاه فلسطين<sup>(٤١)</sup>.

ومنذ ١٩٦٧ أصبحت المسألة الفلسطينية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالانتهاءات العربية السياسية والثقافية التي أصبحت أحد المركبات الرئيسية لوقف المنطقة السياسية<sup>(٤٢)</sup>.

لقد أعطى شعب الإمارات دعماً كاملاً لأخوانهم العرب، ففي أثناء الأزمة اللبنانية في عام ١٩٨٢ تبرع موظفو وزارة الصحة بمبلغ ٣٩٤٥٠ درهماً لعوائل الشهداء<sup>(٤٣)</sup>، وتبرع أعضاء جمعية المهندسين براتب شهر من مستحقاتهم لنفس العرض<sup>(٤٤)</sup>، وأخرون ذهبوا إلى مكتب المنظمة لتسجيل أسمائهم للذهاب إلى لبنان للمشاركة في القتال<sup>(٤٥)</sup>. وذكر مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بأن عدد الذين سجلوا أسماءهم بلغ ٣٧٥٠ شخصاً<sup>(٤٦)</sup>. وأوددت وكالة أنباء الإمارات بأن ٢٠٠ من المتطوعين غادروا مطار الشارقة إلى دمشق ومعهم ٢٠٠ وحدة دم<sup>(٤٧)</sup>.

ويتضح لنا مما سبق عرضه بأن المسألة الفلسطينية تحظى باهتمام جميع مواطني دولة الإمارات، ويرى كوردزمان Cordesman بأن المسألة الفلسطينية هدف شعبي وأن الاهتمام بها في تزايد مستمر. ويقول : بأن كل مواطن خليجي تحت الـ ٢٥ سنة «الذين يشكلون ٦٠٪ من السكان» تربوا في جو سياسي يعامل المسألة الفلسطينية على أنها محور الانتهاء العربي. أنها تهيمن على الإعلام والتعليم والنشاطات الشبابية في الخليج<sup>(٤٨)</sup>.

### المسألة الفلسطينية في علاقات الإمارات :

اتسمت الفترة من ديسمبر ١٩٧١ إلى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بالهدوء وعدم بروز أي تطور هام في علاقات الإمارات بالمنظمات الفلسطينية وشهدت هذه الفترة وصول أول ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية «ابراهيم الزردد» إلى دولة الإمارات<sup>(٤٩)</sup>، وأعلن رئيس الدولة عن تحمله كافة نفقات المكتب، كما تبرع بفلتين ومبني لمكتب المنظمة<sup>(٥٠)</sup>. وخلال هذه الفترة لم تتردد الإمارات عن الإعلان عن موقفها الثابت ودعمها الكامل لنضال الشعب

\* تجدد الإشارة إلى أن جمعية الاجتاعيين قامت بحملة لجمع التبرعات للغرض نفسه بلغت حصيلتها ١٢٠٠ مليون درهم سددت لحساب منظمة التحرير في الإمارات «المغرد».

الفلسطيني<sup>(١)</sup>، واعلنت دولة الامارات عن قبولها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢<sup>(٢)</sup>، كما سمحت بفتح مكتب مقاطعة اسرائيل في أبوظبي والامارات الأخرى<sup>(٣)</sup>. وعملت دولة الامارات على وقف النزاع المسلح بين الفدائين الفلسطينيين والجيش اللبناني الذي اندلع في ٢ مايو ١٩٧٣ حيث شاركت دولة الامارات في لجنة الوساطة العربية لحل الخلاف. ووصل وفد الامارات برئاسة أحمد خليفة السويدي وزير الخارجية الى بيروت في ١٠ مايو ١٩٧٣ للتوفيق بين الفلسطينيين والبنانين<sup>(٤)</sup>. وشارك مع الوفد الكويتي برئاسة الشيخ صباح الأحمد، وتقىنت اللجنة من النجاح بالرغم من أن حظر التجول في لبنان لم يرفع نهائياً الا في ٩ يونيو ١٩٧٣<sup>(٥)</sup>.

## حرب أكتوبر ١٩٧٣م وحظر النفط :

لعبت دولة الامارات دوراً هاماً ومتزايداً في الحرب العربية الرابعة ضد الكيان الصهيوني في أكتوبر ١٩٧٣م حتى توج في قرار حظر النفط عن الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة النيوزيلند «هولندا» وبعد اندلاع الحرب اعلن رئيس دولة الامارات عن وضع جميع امكانيات دولته تحت تصرف الجبهتين المصرية والسودانية<sup>(٦)</sup>، وقام بإجراء اتصالات مباشرة مع الرئيسين المصري والسويدية لبحث الوضع على جبهات القتال<sup>(٧)</sup>، وفي اليوم الثالث للحرب كان الشيخ زايد أول من يعلن بين الرؤساء والحكام العرب عن تبرعه بمبلغ ١٠٠ مليون دولار لدعم الجبهات العربية، وحصلت مصر على ٦٠ مليون دولار، بينما حصلت سودانيا على ٤٠ مليون دولار<sup>(٨)</sup>، وفي نفس الوقت فرضت دولة الامارات ضريبة الحرب على جميع التجار والشركات العاملة في دولة الامارات<sup>(٩)</sup>، وأقيمت اللجان الشعبية لجمع التبرعات المالية والعينية في جميع أنحاء الدولة<sup>(١٠)</sup>. ومظهر آخر من مظاهر الدعم كان واضحاً في تزويد الجبهات بفرق ومعدات طبية، حيث قررت دولة الامارات ارسال فرق طبية الى جبهات القتال، وإنشاء مراكز للتبرع بالدم في جميع أنحاء الدولة، وفي ١٥ أكتوبر وصل أول فريق طبي مكون من ٤ طبيباً وصيدلياً ومرضاً مع كميات كبيرة من الأدوية والمعدات الطبية الى دمشق<sup>(١١)</sup>، كما طلب رئيس الامارات من سفيره في لندن «مهدي التاجر» شراء معدات طبية من غرب أوروبا وارسالها مباشرة الى مصر وسودانيا وأوردت وكالة انباء الشرق الأوسط في ١٩ أكتوبر خبراً مفاده أن طائرتين محملتين بالمؤن الطبية من أوروبا كانت تصل يومياً من لندن الى بيروت وبني غازي على حساب دولة الامارات وأضاف أن هذه المؤن تحول عن طريق البر الى جبهات القتال في مصر وسودانيا، واشتملت هذه المؤن على أفلام الأشعة التي اشتريت من بريطانيا والمانيا الغربية والدنمارك وعلى كميات من وحدات الدم التي تم شراوها من بريطانيا والمانيا الغربية<sup>(١٢)</sup>.

وادراماً من رئيس دولة الامارات بأهمية الدور الذي تلعبه أجهزة الاعلام في مثل هذه الأحداث، بدأ مباشرة في الترتيب لنقل الصحفيين الراugin في زيارة الجبهات العربية للقتال على نفقاته الخاصة،

وأجريت الاتصالات مباشرة مع المعين في أوروبا وبالفعل تم نقل ٤٠ صحيفيا إلى الجبهتين المصرية والسودانية لنقل وقائع الحرب<sup>(٣)</sup>.

إلا أن أهم عناصر الدعم الذي قدمته دولة الإمارات للجهود الحربية هو فرض حظر على النفط إلى الولايات المتحدة، وتتجدد الاشارة إلى أن الشيخ ذايد في مقابلة صحفية أجريت معه في ٦ أغسطس ١٩٧٣ لم يستبعد استخدام النفط كسلاح في حالة حدوث حرب جديدة بين العرب والكيان الصهيوني<sup>(٤)</sup>، وفي ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ اتخذ الشيخ ذايد قراراً انفرادياً يقضي بفرض حظر للنفط على الولايات المتحدة «انظر الجدول».

### حظر النفط العربي

القرار	التاريخ	الدولة
تخفيض الانتاج بنسبة ١٠٪	٢٠ أكتوبر ١٩٧٣	الجزائر
حظر النفط عن الولايات المتحدة	٢٠ أكتوبر ١٩٧٣	
حظر النفط عن هولندا	٢١ أكتوبر ١٩٧٣	
تخفيض الانتاج بنسبة ٥٪	٢٠ أكتوبر ١٩٧٣	
حظر النفط عن الولايات المتحدة	٢١ أكتوبر ١٩٧٣	
حظر النفط عن هولندا	٣٠ أكتوبر ١٩٧٣	
تخفيض الانتاج بنسبة ١٠٪	٢٠ أكتوبر ١٩٧٣	البحرين
حظر النفط عن الولايات المتحدة	٢٠ أكتوبر ١٩٧٣	
حظر النفط عن هولندا	٢٣ أكتوبر ١٩٧٣	
تخفيض الانتاج بنسبة ٥٪	١٩ أكتوبر ١٩٧٣	
حظر النفط عن الولايات المتحدة	١٩ أكتوبر ١٩٧٣	
حظر النفط عن هولندا	٣٠ أكتوبر ١٩٧٣	
تخفيض الانتاج بنسبة ١٠٪	١٩ أكتوبر ١٩٧٣	الكويت
حظر النفط عن الولايات المتحدة	١٩ أكتوبر ١٩٧٣	
حظر النفط عن هولندا	٢١ أكتوبر ١٩٧٣	
تخفيض الانتاج بنسبة ٥٪	١٩ أكتوبر ١٩٧٣	
حظر النفط عن الولايات المتحدة	١٩ أكتوبر ١٩٧٣	
حظر النفط عن هولندا	٢٤ أكتوبر ١٩٧٣	
تخفيض الانتاج بنسبة ١٠٪	١٨ أكتوبر ١٩٧٣	المملكة العربية السعودية
حظر النفط عن الولايات المتحدة	٢٠ أكتوبر ١٩٧٣	

حظر النفط عن الولايات المتحدة  
حظر النفط عن هولندا  
حظر النفط عن الولايات المتحدة  
حظر النفط عن الولايات المتحدة  
حظر النفط عن هولندا

١٨ أكتوبر ١٩٧٣ م  
٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ م  
٢١ أكتوبر ١٩٧٣ م  
٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ م  
٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ م

الامارات العربية  
المتحدة أبوظبي  
دبي  
عمان

\* العراق لم تكن ممثلة في الاجتماع الأخير لأوابك في ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ وفي ٢١ أكتوبر أعلنت عن تأميم شركة النفط المولندية.

\* مصر وسورية لم يعلنوا عن التخفيف وكذلك تونس.

Arab Record and Report, 1973, P482

وجاء في البيان الذي ألقاه وزير البترول والثروة المعدنية في دولة الامارات الدكتور مانع سعيد العتيقة إن الحظر سيسري مفعوله ابتداء من ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ م وسوف يتخذ ضد أي دولة يثبت أنها تدعم العدو<sup>(٦٠)</sup>.

وتجدر الاشارة الى أن صادرات الامارات من النفط الى الولايات المتحدة قبل اعلان الحرب كانت تبلغ ١٥٠٠٠٠ برميل يومياً<sup>(٦١)</sup>. أو ما يعادل ١٥ — ٢٠ % من واردات الولايات المتحدة من منطقة الخليج، وفي تصريح آخر لوزير البترول لدولة الامارات أعلن بأن الشيخ زايد أصدر تحذيره الى شركات النفط العاملة في أبوظبي بعدم التفكير بايصال نفط أبوظبي الى الولايات المتحدة بأي شكل من الأشكال وفي حالة حدوث أي مخالفة من جانب الشركات المعنية فإن أبوظبي ستتخذ الاجراءات الضرورية والمناسبة لضمان تطبيق قرار الحظر<sup>(٦٢)</sup>، وبالرغم من أن أبوظبي قد اتخذت قراراً انفرادياً لفرض الحظر على صادراتها النفطية الى الولايات المتحدة إلا أنها طلبت أن يكون القرار باجماع الدول الاعضاء في الاوابك مما أوحى الى بعض المحللين بأن أبوظبي تعارض رفع الحظر عن الولايات المتحدة حتى يحقق الحظر أهدافه كاملاً بينما كانت هناك مجموعة من الدول تحبذ رفع الحظر وانقسامات في دول عربية أخرى حول السياسة النفطية، كانت سودياً وليبياً تقضلان إبقاء الحظر ورأى البعض أن العلاقات الجيدة بين الامارات وسودانياً سوف تؤثر على موقف الامارات الا أن قرار رفع الحظر اتخاذ بأغلبية سبعة اعضاء من ضمنهم دولة الامارات، بالرغم من أن شرط الامارات بالحصول على الاجماع لم يتم تحققه، وفي مقابلة لوزير الدولة للشؤون الخارجية سيف بن غباش برد قرار الامارات على النحو التالي :

أولاً : إن ظروف اليوم تختلف عن تلك أيام حرب رمضان.  
ثانياً : إن رفع الحظر من جانب بعض الدول سوف يضعف تأثير الحظر خاصة وأن السعودية تزود

الولايات المتحدة ب ٨٠٪ من واداتها النفطية.

ثالثاً : وان هناك اعتبارات سياسية أخرى تتعلق بعوامل وطنية واقليمية لعبت دوراً هاماً وغير محدود<sup>(٦٨)</sup> ، وتجدر الاشارة الى أن وزير الخارجية لدولة الامارات أحمد السويدي قد ذكر في حديث صحفي قبل مغادرة الكويت في طريقه الى لندن في ٢٤ يناير ١٩٧٤ بأن الرئيس المصري محمد أنور السادات اقترح على المسؤولين في الامارات رفع الحظر بمجرد اكمال المرحلة الاولى من انسحاب القوات الاسرائيلية من الجبهات المصرية والسورية<sup>(٦٩)</sup> .

### أزمة ١٩٧٦ م اللبنانيّة :

شهد عام ١٩٧٦ مجردة تل الزعتر في المخيمات الفلسطينية على أيدي مليشيات الكتائب اللبنانيّة بتعاون مع قوى خارجية، وكان موقف دولة الامارات، اسوة بغيرها من الدول العربية الصغيرة من هذه المسألة موقفاً حرجاً لا تحسد عليه بين التزاماتها القومية تجاه الفلسطينيين وتخوفها من ردود الفعل السلبية من جانب الأطراف المعنية، وفي اطار ردود الفعل الاماراتية بعث المجلس الوطني الاتحادي في ٢٠ يناير ١٩٧٦ ببرقية الى مجلس النواب اللبناني والى مكتب اتحاد البرلمانيين العرب احتجاجاً على الأعمال الوحشية التي ارتكت ضد الفلسطينيين<sup>(٧٠)</sup> ، وقدر مجلس الوزراء اقطاع مرتب عشرة أيام من رواتب واجور الفلسطينيين والذين هم من أصل فلسطيني والعاملين في القطاعين العام والخاص في الامارات، وأودعـتـ المـبالغـ التيـ اـقتـطـعـتـ فيـ حـسـابـ أـسـرـ الشـهـداءـ المـجاـهـدينـ الـفـلـسـطـينـيـنـ لـدـىـ الـبـنـكـ العـربـيـ فـرعـ أـبـوـظـبـيـ<sup>(٧١)</sup> .

وفي جهودها حل الأزمة، عرضت حكومة دولة الامارات التوسط بين الأطراف المتنازعـةـ، وبعـثـ رئيس دولة الامارات وفـدـأـ فيـيـعـ المستـوىـ برئـاسـةـ وزـيـرـ الـخـارـجـيـةـ فيـ دـوـلـةـ الـاـمـارـاتـ العـرـبـيـةـ المتـحـدـةـ أـحمدـ السـوـيـديـ للـقـاءـ الـحـكـوـمـةـ الـلـبـانـيـةـ وـمـنـظـمـةـ التـحـرـيرـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ لـكـنـ الـوـفـدـ فـشـلـ فيـ تـحـقـيقـ الـمـدـفـ،ـ وـأـكـدـ مقـاـبـلـةـ لـلـشـيـخـ زـاـيدـ فيـ ٢ـ٦ـ يـاـنـيـرـ ١ـ٩ـ٧ـ٦ـ عـرـضـ استـعـدـادـهـ الشـخـصـيـ للتـوـسـطـ بـيـنـ الـطـرـفـيـنـ<sup>(٧٢)</sup>ـ،ـ وـأـكـدـ وزـيـرـ خـارـجـيـةـ الـاـمـارـاتـ :ـ اـسـتـعـدـادـ بـلـادـهـ لـبـذـلـ جـمـيعـ الـجهـودـ لـتـحـقـيقـ التـعـاوـنـ الـوـثـيقـ بـيـنـ الدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ حلـ الـخـلـافـ<sup>(٧٣)</sup>ـ،ـ وـاعـلـنـ وزـيـرـ الـاعـلامـ وـالـقـاـفـةـ فيـ دـوـلـةـ الـاـمـارـاتـ الشـيـخـ أـحمدـ بـنـ حـامـدـ بـنـ حـامـدـ فيـ مـقـاـبـلـةـ معـ صـحـيـفـةـ الـأـنـبـاءـ الـكـوـيـتـيـةـ عنـ قـلـقـ الـاـمـارـاتـ وـتـخـوـفـهاـ عـلـىـ مـسـتـقـبـلـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ<sup>(٧٤)</sup>ـ،ـ وـفـيـ يـوـنـيـوـ ١ـ٩ـ٧ـ٦ـ أـيـدـ رـئـيـسـ دـوـلـةـ الـاـمـارـاتـ حـلـ عـرـبـيـاـ شـامـلاـ مـنـ خـلـالـ الـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ طـالـماـ فـشـلـ الـاخـوانـ فيـ لـبـانـ حلـ مشـاكـلـهـمـ<sup>(٧٥)</sup>ـ.

وفي ٨ يونيو ١٩٧٦ وافقت دولة الامارات على حضور الدورة الطارئة للجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية لبحث الوضع في لبنان<sup>(٧٦)</sup> .

وسعياً وراء تحقيق السلام في لبنان، ساهمت حكومة دولة الامارات عسكرياً في قوات الردع العربية<sup>(٧٧)</sup>، وأوردت صحيفة البيرق اللبنانية خبراً مفاده بأن قوة عسكرية من الامارات تقدر بـ ٨٠٠ جندياً قد وصلوا الى لبنان<sup>(٧٨)</sup>، اضافة الى ذلك منحت دولة الامارات منظمة التحرير الفلسطينية ٦ سيارات اسعاف وبعثة طبية مكونة من أطباء ومرضين وامدادات من الدم و ١٠٠ طن من الأدوية والمعدات الطبية لارسالها الى لبنان في ٢٠ مارس ١٩٧٨م<sup>(٧٩)</sup> وفي تقييم موقف الامارات من الأزمة اللبنانية في ١٩٧٦م، قال سليم الزعنون ان مواقف الامارات كانت مشفرة حيث كانت ضمن الدول الرائدة في المساهمة في قوات الردع العربية<sup>(٨٠)</sup>.

### مواقف الامارات من مبادرات السلام :

خلال الفترة من ١٩٧١م إلى ١٩٨٦م تغيرت مواقف الامارات من موقف المتشدد في المعارضة الى الموافقة على المبادرات السلمية على أزمة الشرق الأوسط. في بداية السبعينيات تعهدت الامارات بدعم الحركات الفدائية على أنها الوسيلة الوحيدة لاستعادة الحق العربي، ولم تكن تعتقد بامكانية حل الأزمة سلماً.

وفي مقابلة مع أحد خليفة السويدي مع رأي الخليج في ٢٩ سبتمبر ١٩٧٣م ذكر بأنه لا يعتقد بأن هناك امكانية في أن تنسحب اسرائيل سلماً، وأن تحقيق توسيعية سلمية تقوم على بناء القوة العسكرية العربية إلى درجة تمكنها من تحرير الأرضي المحتلة أو حتى مهاجمة اسرائيل، وعلى السعي للحد من الدعم الامريكي غير المحدود لاسرائيل ويمكن تحقيق ذلك من خلال كسب الرأي العام العالمي والضغوطات الاقتصادية على الولايات المتحدة وعلى الدولة المؤيدة لاسرائيل، والضغط على الدول الصديقة للولايات المتحدة للضغط عليها<sup>(٨١)</sup>.

سنة ١٩٧٣م اقترحت مبادرات سلمية من أطراف متعددة بما فيها العرب أنفسهم، ولأول مرة تعطي دولة الامارات موافقتها على المبادرات السلمية كان في عام ١٩٧٥م، في خطاب لسيف بن غباش في ١٤ أكتوبر ١٩٧٥م دأ على خطاب وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر في حفل أقامه الأخير على شرف وزراء الخارجية العرب المشاركون في الدورة الثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة قال : في بحثنا عن السلام نحن العرب لانستطيع الا أن نرحب بجميع الجهود المبذولة لتحقيقه ولكن نحن مقتنعون بأن السلام الحقيقي والدائم لن يتحقق الا اذا استوفيت هاتان الحالتان :

- ١ - الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميع الأرضي المحتلة.
  - ٢ - الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني.
- اذا تحقق هذان الشرطان فسوف يتحقق السلام بالفعل<sup>(٨٢)</sup>.

ووافقت دولة الامارات على فكرة عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط في جنيف<sup>(٨٣)</sup>. على

أن تشارك فيه منظمة التحرير الفلسطينية<sup>(٨٤)</sup>. وفي خطاب لوزير الدولة للشؤون الخارجية راشد عبدالله أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٥ أكتوبر ١٩٧٩م وضع النقاط التالية :

- ١ — الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس.
- ٢ — الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في العودة وتقرير مصيره واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني<sup>(٨٥)</sup>.

لتكون عود الحوار في المؤتمر الدولي، ووافقت دولة الامارات على استضافة المؤتمر التمهيدي لدول غرب آسيا للإعداد للمؤتمر الدولي الذي سيعقد في جنيف<sup>(٨٦)</sup>.

وخلال مباحثات جنيف دعا مندوب الامارات الى تبني موقف حايد والتخلص عن تأييد بعض الدول لاسرائيل<sup>(٨٧)</sup>، وفي تعقيب على زيارة السادات للقدس في الفترة من ١٩ الى ٢١ نوفمبر ١٩٧٧م، اعلنت دولة الامارات عن أسفها للانقسامات الحادة في الموقف العربية واتجاه بعض الدول العربية الى تبني سياسات لا يوافق عليها العالم العربي، وفي بيان حكومي أكدت دولة الامارات على أن أي تسوية في الشرق الأوسط لابد وأن تضمن الحقوق الفلسطينية والتي لا يمكن تحقيقها الا من خلال التضامن العربي الكامل<sup>(٨٨)</sup>.

وانتخذت دولة الامارات موقف المعارض من اتفاقية السادات المنفردة مع اسرائيل حيث رفضت دولة الامارات اتفاقية الكامب ديفيد<sup>(٨٩)</sup>.

وانتقدت الاتفاقية على أساس أنها لا تشمل على الأسس الضرورية لتحقيق سلام عادل ودائم للنزاع في الشرق الأوسط<sup>(١٠)</sup>، واكدت دولة الامارات دعمها وتأييدها لمنظمة التحرير الفلسطينية وأكّدت على تمسكها بقرارات مؤتمر القمة العربية في الرباط<sup>(١١)</sup>، كما حضرت دولة الامارات مؤتمر القمة العربي الطاريء الذي عقد في بغداد في الفترة من ٢ الى ٥ نوفمبر ١٩٧٨ لمواجهة الموقف العربي، وجاء في البيان الختامي للمؤتمر بأن النضال من أجل استعادة الحقوق العربية في فلسطين والأراضي العربية المحتلة الأخرى هو مستوى عربية جماعية<sup>(١٢)</sup>، ودولة الامارات، كعضو في جامعة الدول العربية، قبّلت بقرارات القمة والتي نصت على تجميد عضوية مصر في الجامعة وتحويل مقراً الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر، كما تعهدت دولة الامارات بالمساهمة بـ ٤٠٠ مليون دولار سنويًا ولدّة عشر سنوات لدعم دول المواجهة : سوريا والأردن، ومنظمة التحرير، والجبهة الداخلية في فلسطين المحتلة «أنظر الجدول».

«الدعم المالي لدول المواجهة الذي تمت الموافقة عليه في مؤتمر القمة الطاريء في بغداد في ١٩٧٨».

الدولة المساهمة	المبلغ بالدولار	المبلغ باللليون دولار	الدول المستفيدة	المبلغ باللليون دولار	المبلغ باللليون دولار
الامارات	٤٠٠	٤٠٠	الأردن	١٢٥٠	١٢٥٠
الجزائر	٢٥٠	٢٥٠	الجبهة الداخلية	١٥٠	١٥٠
العراق	٥٢٠	٥٢٠	سوريا	١٨٥٠	١٨٥٠
الكويت	٥٥٠	٥٥٠	منظمة التحرير الفلسطينية	٢٥٠	٢٥٠
قطر	٢٣٠	٢٣٠			
ليبيا	٥٥٠	٥٥٠			
السعودية	١٠٠٠	١٠٠٠			
المجموع	٣٥٠٠	٣٥٠٠			

المصدر : وزارة الخارجية بدولة الامارات العربية المتحدة ادارة الوطن العربي، أبوظبي.

#### مبادرة فاس للسلام :

تقدّمت المملكة العربية السعودية بمبادرة من الامير فهد، ولي العهد السعودي للسلام في مؤتمر وزراء خارجية دول مجلس التعاون في مؤتمر الطائف الذي عقد في الفترة ما بين ١ الى ٣ سبتمبر ١٩٨١ (٣)، ووافق المترمرون على عرض المبادرة على مؤتمر القمة لدول التعاون في الرياض في ٣ نوفمبر ١٩٨١، وأعلنت دولة الامارات رسمياً عن تأييدها للمبادرة السعودية (٤)، في الدورة الواحدة والثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢١ اكتوبر ١٩٨١، اعلن داشد عبدالله وزير الدولة للشؤون الخارجية عن تأييد حكومته للمبادرة السعودية، واعتمدت الدول الست الاعضاء في مجلس التعاون المبادرة السعودية في مؤتمر القمة الذي عقد في نوفمبر ١٩٨١ ودعت الى وضع المبادرة على جدول اعمال مؤتمر القمة العربي المقرر عقده في فاس بالمغرب في ٢٥ نوفمبر بهدف بلورة موقف عربي موحد تجاه المسألة الفلسطينية (٥).

وبالرغم من أن المبادرة السعودية قد وضعت على جدول اعمال القمة العربي الذي عقد في ٢٥ نوفمبر ١٩٨١ الا أنها لم تحظ بالاعتزاز وذلك لعدم التوصل الى صيغة نهائية للموقف العربي اذائها، وذكرت بعض المصادر بأن المغرب، الدولة المضيفة، وجدت عدم امكانية تحقيق اي خطوة ملموسة نتيجة للانقسامات الحادة في موقف الدول العربية ازاء المبادرة السعودية (٦)، وفي مؤتمر القمة العربي

التالي الذي عقد في فاس في ٦ سبتمبر ١٩٨٢ م تمت موافقة الدول العربية على تبني المبادرة السعودية وأصبحت تعرف بمبادرة فاس للسلام، وأوردت وزارة الخارجية بدولة الإمارات في تقريرها السنوي بأن دولة الإمارات قبلت المبادرة السعودية لأنها تشكل اللبنة الأولى أو الأساس لتحقيق أي سلام عادل وشامل في الشرق الأوسط خاصة وإن جميع الدول العربية المشاركة في قمة فاس بما فيها منظمة التحرير قبلت المبادرة<sup>(٧)</sup>.

### دعم دولة الامارات لدول المواجهة :

خصصت دولة الامارات النصيب الاكبر من مساعداتها الخارجية لدول المواجهة وتجدر الاشارة الى هذا الدعم بدأ بالفعل قبل حرب اكتوبر لعام ١٩٧٣ م، في تقرير للميد «MEED» في ٨ ديسمبر ١٩٧٢ م جاء بأن دولة الامارات سوف تمنح سوريا ١٠ مليون جنيه استرليني سنوياً لدعم صمودها ضد اسرائيل<sup>(٨)</sup>، وتأخذ المساعدات الاماراتية ثلاثة اشكال : منح، قروض، ومساهمة في المشاريع الاغاثية وتدفع هذه المساعدات عن طريق ادارة التعاون الاقتصادي بوزارة الخارجية، وزارة المالية والصناعة، وزارة الاقتصاد والتجارة، وصندوق أبوظبي للانماء العربي، وجهاز أبوظبي للاستثمار.

ومن بين دول المواجهة حصلت مصر في الفترة ما بين ١٩٧٤ م و ١٩٧٦ م على نصيب الاسد من معونات دولة الامارات، في ٢٨ يناير ١٩٧٤ م اعلن في أبوظبي بأن مصر ستحصل على قرض بقيمة ٥٢ مليون جنيه استرليني<sup>(٩)</sup>، وفي ١٧ ابريل من نفس العام كانت مصر من بين دول عربية حصلت على قرض طويل الامد قدر ب ٤ مليون جنيه استرليني<sup>(١٠)</sup>.

وفي ٣٠ مايو ١٩٧٥ م حصلت مصر على قرض آخر بلغ ١٣٠ مليون درهم<sup>(١١)</sup>، وفي نفس العام منحت الامارات مليون دولار لمصر كدفعة اولى لمشروع الوفاء والامل السكني<sup>(١٢)</sup>، واثناء زيارة السادات للامارات في الفترة من ٢٦ الى ٢٧ فبراير ١٩٧٦ م قدمت دولة الامارات ١٥٠ مليون درهم لدعم الاقتصاد المصري<sup>(١٣)</sup>، وفي يونيو من نفس العام منحت مصر قرضاً اضافياً بلغت قيمته ٧٥ مليون دولار<sup>(١٤)</sup>، وفي تقرير نشرته الميدل است موني «Meddle East Mony» في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٦ م ذكر بان دولة الامارات ستساهم ب ٣٠٠ مليون دولار في رأس مال الشركة الخليجية للاستثمار في مصر<sup>(١٥)</sup>، لم يكن نصيب الاردن وسوريا من مساعدات الادارات الخارجية على أهمية اقل من مصر في ٢ أغسطس ١٩٧٤ م منحت الامارات ٣٠ مليون جنيه استرليني للاردن لدعم صمودها في الشرق الأوسط<sup>(١٦)</sup>، وفي يونيو ١٩٧٥ م منح رئيس الامارات مليون دولار لكلية الهندسة والتكنولوجيا بالجامعة الاردنية<sup>(١٧)</sup>، ووافق صندوق أبوظبي للانماء العربي في ٣٠ مايو ١٩٧٥ على منح قروض لكل من الاردن وسوريا وكان نصيب الاردن ٤٧ مليون وسوريا ٩٨ مليون درهم<sup>(١٨)</sup>، وفي بداية ١٩٧٥ م، كانت الامارات قد منحت سوريا قرضاً بقيمة ١٧١ مليون دولار لتمويل مشاريع صناعية وسياحية<sup>(١٩)</sup>. اضافه الى ٨ مليون درهم لمشروع الكهرباء<sup>(٢٠)</sup>. بالإضافة الى ما تعهدت به دولة

الامارات في مؤتمر القمة العربي الذي عقد في بغداد، في نوفمبر ١٩٧٨م، وتتجدد الاشارة الى ان جموع ما قدمته دولة الامارات الى دول المواجهة في ١٩٧٧م بلغ اكثر من ٢٠٪ من ميزانيتها<sup>(١١)</sup>، ومن الاحصائية التي صدرت عن دائرة المالية في أبوظبي يتضح بان جملة القروض التي قدمتها حكومة الامارات الى سوريا زادت من ٣٥٠,٠٠٠ مليون درهم في ١٩٧٨م الى ٧٩٤,٠٠٠ مليون درهم في ١٩٨١م<sup>(١٢)</sup>، وإن جموع القروض التي قدمتها حكومة الامارات الى الاردن في ١٩٨١م بلغت ٥٥٤,٢٥٠ مليون درهم<sup>(١٣)</sup>.

### المسألة الفلسطينية في علاقات الامارات الخارجية : الولايات المتحدة الأمريكية :

لم يكن حظر النفط عن الولايات المتحدة اثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣ هو الموقف الوحيد الذي اتخذته دولة الامارات للتعبير عن عدم دضاها عن الموقف الامريكي اذاء المسألة الفلسطينية، فثلا في اجتماع مع السنيدور جيمس رذق في ١ يونيو ١٩٧٥م عبر رئيس دولة الامارات عن دهشته لاستمرار الولايات المتحدة في دعمها لاسرائيل، وحذر من ان استمرارها في موقفها هذا سوف يؤدي الى توتر في العلاقات بينها وبين العرب<sup>(١٤)</sup>، وفي بيان لوزارة الخارجية في ١٦ أغسطس ١٩٨٠ ارجعت الامارات التعتن الاسرائيلي في استمراره لاحتلال الاراضي العربية الى الدعم السياسي والعسكري الذي تلقاه من الولايات المتحدة ، ودعت الدول العربية الى اعادة النظر في علاقاتها مع الدول المؤيدة لاسرائيل<sup>(١٥)</sup>. وفي خطاب لوزير الدولة للشؤون الخارجية امام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢١ اكتوبر ١٩٨١م ادانت الامارات تحالف الدفاع الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل ووصفته على انه يشجع سياسة العدوان والتوسيع الاسرائيلي<sup>(١٦)</sup>، وحملت دولة الامارات الولايات المتحدة المسئولية العظمى فيما يحدث في الاراضي المحتلة<sup>(١٧)</sup>. وفي خطاب لمندوب الامارات الدائم لدى الامم المتحدة، فاهم القاسمي في ٢ ديسمبر ١٩٨٣م ادانت دولة الامارات سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط واوضح بان الولايات المتحدة ضبطت كثيراً على الامم المتحدة لتقسيم فلسطين معطية العدو الاسرائيلي الجزء الاكبر من فلسطين ومتجاهلة الحقوق الفلسطينية في تقرير<sup>(١٨)</sup>. المصير، وانتقدت دولة الامارات مبادرة ديفان للسلام<sup>(١٩)</sup>. وفي اجتماع مع رامسفيلد «Ramsfield» مبعوث الرئيس الامريكي ديفان الى الشرق الأوسط دعا رئيس دولة الامارات الولايات المتحدة الى تبني سياسة محيدة والى تكثيف الجهد لتحقيق السلام والامن في المنطقة<sup>(٢٠)</sup>، وفي لقاء آخر مع ديتشارد ميرفي «Richard Murphy» حذر الشيخ زايد من ان الولايات المتحدة ستخسر صداقة العرب اذا لم تغير سياستها في الشرق الأوسط<sup>(٢١)</sup>.

### الاتحاد السوفيتي :

ان العلاقات الدبلوماسية بين الامارات العربية والاتحاد السوفيتي لاتزال حديثة العهد، وبالرغم

من ذلك فإن دولة الامارات اوضحت مراراً تقديرها للموقف السوفيتي اذاء القضية العربية، وفي تصريح لوزير البترول والثروة المعدنية في أكتوبر ١٩٨٣ قال : اننا نحترم الاتحاد السوفيتي كصديق للعرب (١٢٢).

### اوروبا الغربية :

إن المسألة الفلسطينية شكلت عنصراً هاماً في علاقات الامارات مع دول اوروبا الغربية وخاصة بريطانيا وفرنسا، في أثناء حرب رمضان ١٩٧٣ دعت الامارات الحكومة البريطانية الى تأييد القضية العربية، واجتمع رئيس دولة الامارات كممثل للحكومات العربية التي تتمتع بعلاقات مع بريطانيا، مع رئيس الوزراء البريطاني ادوارد هيث «Edward Heath» وطلب ايضاً للموقف البريطاني لما يدور في الشرق الاوسط، وقال : ان الوقت قد حان ليثبت الانجليز صداقتهم للعرب اذا كانوا يعتبرون انفسهم اصدقاء، واصف بأننا حرریصون على استخدام النفط كسلاح سياسي ولكن لا يريدكم ان تتضرروا منه، وعليه يمكنكم من خلال علاقاتكم مع المجموعة الاوروبية ان تكسروا بدلاً من ان تخسروا الكثير (١٢٣)، واوضح هيث بان بريطانيا ايدت القرار ٢٤٢ الصادر عن الامم المتحدة الذي يدعو اسرائيل الى الانسحاب الى حدود ما قبل ١٩٦٧م (١٢٤). لقد كانت سياسة الامارات تجاه غرب اوروبا بالنسبة للمسألة الفلسطينية اقل تشديداً على امل كسب الموقف الاوروبي من خلال الحوار وليس عن طريق استخدام الاجراءات المعارضة للمصالح الاوروبية مما سوف يؤدي الى التضييق بالعلاقات التاريخية بين الطرفين، في حقيقة الامر كان موقف الامارات حرجاً جداً بين اهمية المصالح الوطنية لدولة الامارات، خاصة التعاون الاقتصادي وال العسكري مع غرب اوروبا وبين اهمية تحقيق تسوية سلمية للمسألة الفلسطينية، وفي خطاب لوزير الدولة للشؤون الخارجية سيف بن غباش امام لجنة الخبراء للحوار العربي الاوروبي التي عقدت في أبوظبي في ١٢ نوفمبر ١٩٧٥م قال : اتنا نأمل بان اوروبا الغربية شريكنا في الحوار، ستفهم حقوقنا المشروعة في نزاعنا مع اسرائيل وستساعدنا في تحقيق سلام عادل (١٢٥).

بالرغم من توقف الحوار العربي الاوروبي مع نهاية ١٩٧٨م الا أن دولة الامارات استمرت في دعوة دول اوروبا الغربية، كمجموعة الى تبني دور فعال من اجل تحقيق تسوية عادلة ودائمة في الشرق الاوسط، في ١٢ ابريل ١٩٨٠م دعا رئيس دولة الامارات دول اوروبا الغربية الى اتخاذ موقف واضح من الحقوق الفلسطينية في تقرير مصيرهم وانشاء دولتهم المستقلة (١٢٦)، كما دعا راشد عبدالله في اجتماعه مع نائب وزير الخارجية البريطاني في ٦ اغسطس ١٩٨١م الى احياء المبادرة الاوروبية للسلام والى مساهمة اوروبية جديدة لتحقيق السلام العادل في الشرق الاوسط، واوضح بأنه يجب على دول اوروبا الغربية عدم انتظار الضوء الاخضر من الولايات المتحدة (١٢٧).

وتدھورت العلاقات بين الامارات وفرنسا في ديسمبر ١٩٨١م بعد زيارة وزير خارجيتها كلود شيسون « Claude Cheysson » لاسرائيل، وقامت دولة الامارات باللغة اجتماع اللجنة المشتركة بين فرنسا والامارات التي كان مقرراً عقدها في ديسمبر ١٩٨١م.

وادى ذلك الى محاولة فرنسا لتحسين العلاقات حيث قام وزير الخارجية الفرنسي بزيارة الى أبوظبي في فبراير ١٩٨٢م لمدة يومين وادلى بتصريح بان الوقت قد حان لاعادة صياغة القرار ٢٤٢ ليشمل حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم وحقهم في اقامة دولتهم المستقلة ولكن اوضاع بان فرنسا لا يمكنها ان تلعب دور المبادر باي مشروع للتسوية<sup>(١٢٨)</sup>، وجاءت زيارة الرئيس الفرنسي ميتران الى اسرائيل في مارس ١٩٨٢م لتشير الشكوك مرة اخرى حول السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط، وفي مقابلة لرئيس دولة الامارات مع اللوموند الفرنسيه « Le Monde » في ١٢ مارس ١٩٨٢م.

انتقد الشيخ زايد الرئيس الفرنسي لتجاهله الحقوق الفلسطينية ودعاه الى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني<sup>(١٢٩)</sup>.

وبعد فشل الحوار العربي الاودوي لتحقيق نتائج ايجابية استمررت دولة الامارات في استخدام علاقتها الجيدة مع بريطانيا في محاولة لتغيير مواقف الاخيرة تجاه المسألة الفلسطينية، في اجتماع للشيخ خليفة بن زايد، ولي عهد أبوظبي، مع ديفلاس هيرد « Douglas Hurd » وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانية في أبوظبي في ٥ سبتمبر ١٩٨٢ دعت دولة الامارات بريطانيا للاعتراف بالحقوق المنشورة للشعب الفلسطيني وفي ٥ يناير ١٩٨٣م رفضت دولة الامارات استقبال الوزير فرانسيس بيم « Bym Francis » نتيجة لرفض الحكومة البريطانية لممثل منظمة التحرير الفلسطينية ضمن اللجنة السباعية المكلفة من القمة العربية في فاس لزيادة الاعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الامن<sup>(١٣٠)</sup>. ويكوننا ان نرجع سياسة الامارات المزنة مع دول غرب اوروبا ازاء المسألة الفلسطينية الى العوامل التالية :

- ١ — الروابط التاريخية بين الامارات في غرب اوروبا خاصة المملكة المتحدة.
- ٢ — اعتناد الامارات على الاسلحه الغربية وبالذات الفرنسية البريطانية « أول اتفاقية للتعاون العسكري عقدت بين الامارات وفرنسا كانت في ٢٩ ابريل ١٩٧٧ ».
- ٣ — معظم الشركات البترولية العاملة في دولة الامارات مملوکة لدول اوروبا الغربية.
- ٤ — وجود اغلب الاستثمارات الاقتصادية لدولة الامارات في اوروبا.
- ٥ — الانقسامات السياسية في الوطن العربي.

### البابان :

تتمتع الامارات بعلاقات اقتصادية وتجارية قوية مع اليابان وتحتل دولة الامارات المرتبة الاولى من بين الدول المصدرة للنفط الى اليابان منذ ١٩٨٤م<sup>(١٣١)</sup>. بينما تحتل اليابان المرتبة الاولى من بين

الدول المنددة للبضائع الى الامارات(١٣٣)، واستخدام النفط كسلاح سياسي في حرب اكتوبر ١٩٧٣ فرض على الدول المستوردة للنفط اعادة حساباتها في علاقتها مع العالم العربي خاصة في موقفها تجاه المسألة الفلسطينية وفي حالة اليابان، فان العلاقات الاقتصادية الجيدة بين دولة الامارات واليابان، مكنت الامارات من الضغط على اليابان لغير سياستها تجاه المسألة الفلسطينية(١٣٤)، ومن خلال الوساطة الاماراتية سمحت اليابان لمنظمة التحرير الفلسطينية، بفتح مكتب لها في طوكيو في فبراير ١٩٧٧م(١٣٥)، وفي مقابلة مع سليم الزعنون عضو اللجنة المركزية لمنظمة التحرير ونائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، أكد دود الامارات في اعتراف اليابان بالحقوق الفلسطينية لكنه اضاف بأنه بالرغم من زيارة ياسر عرفات لطوكيو الا أن اليابان لا تزال لاتنظر الى منظمة التحرير على أنها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ولكنها المنظمة التي تحظى بأهمية في تمثيل الشعب الفلسطيني(١٣٦).

وتسعى دولة الامارات الى الضغط على اليابان لتبني سياسة أكثر ايجابية تجاه المسألة الفلسطينية، وذكر فاروق قدومي مدير الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية في فبراير ١٩٨٠م بان الحوار بين الامارات واليابان من اجل الحصول على الاعتراف الكامل من اليابان لمنظمة التحرير الفلسطينية وحق الفلسطينيين في انشاء دولتهم المستقلة(١٣٧)، كما دعا وزير النفط في دولة الامارات اثناء زيارته للیابان في مارس ١٩٨٤م اليابان الى حد الولايات المتحدة لغير سياستها في الشرق الاوسط والضغط على اسرائيل حتى تتسحب من الاراضي العربية المحتلة(١٣٨).

### الدول النامية :

تساهم دولة الامارات باكثر من ٣٠% من دخلها القومي لمساعدة العالم النامي، إن القروض والمنح التي تقدمها دولة الامارات ارتفعت من ٥٧ مليون دولار في ١٩٧٤م الى ٨٠٦ مليون دولار في ١٩٧٩م(١٣٩)، وتحظى الدول الاسلامية والدول النامية المؤيدة للحقوق العربية في النزاع العربي الاسرائيلي بنصيب الاسد من هذه المساعدات الخارجية.

واستخدمت دولة الامارات المسألة الفلسطينية كمعيار لعلاقاتها مع الدول النامية، فثلا في عام ١٩٧٤م اتخذت دولة الامارات موقف العارض من التدخل التركي في قبرص ولم يكن ذلك نتيجة لأن ذلك الحدث كان يتناقض مع مبدأ عدم التدخل في شؤون الدول الأخرى أو نتيجة لعضوية قبرص في منظمة عدم الانحياز فقط ولكن فوق ذلك كله كان نتيجة للموقف القبرصي المؤيد للحقوق الفلسطينية في الوقت الذي كانت فيه تركيا بالرغم من أنها دولة مسلمة تتمتع بعلاقات دبلوماسية مع اسرائيل(١٤٠).

واخذت حكومة دولة الامارات قراراً يقضي بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اي دولة تعيد علاقاتها

مع اسرائيل او تنقل سفارتها الى القدس المحتلة<sup>(١٤١)</sup>). استناداً الى ذلك القراء قطعت دولة الامارات علاقاتها الدبلوماسية مع كوستاريكا في ٢٤ مايو ١٩٨٢م احتجاجاً على نقل سفارتها الى القدس<sup>(١٤٢)</sup>. كما قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع زاير بعد ان اعادت الاخيرة علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل<sup>(١٤٣)</sup>.

## علاقة الامارات لمنظمة التحرير الفلسطينية :

### منظور الامارات لمنظمة التحرير الفلسطينية :

إن موقف الامارات تجاه المسألة الفلسطينية يتضح في دعم الحركات الفلسطينية والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني<sup>(١٤٤)</sup>. ولم تتردد دولة الامارات قبول الاعتراف بمنظمة التحرير خلال مؤتمر القمة العرب الذي عقد في الجزائر في ١٩٧٣م والذي اعتمد في مؤتمر القمة السابع الذي عقد في الرباط في ١٩٧٤م الذي منح الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني<sup>(١٤٥)</sup>، وطالبت دولة الامارات الجمعية العامة للأمم المتحدة دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لحضور المباحثات التي تدور حول المسألة الفلسطينية، وفي خطاب امام الجمعية العامة للأمم المتحدة لوزير خارجية الامارات احمد السويدي في اكتوبر ١٩٧٤م قال : بأنه من المستحيل مناقشة القضية في غياب الشريك الرئيسي وهو منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني<sup>(١٤٦)</sup>.

إن اهتمام دولة الامارات بالمسألة الفلسطينية يتضح من الاتصالات الدائمة على اعلى المستويات وقام ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بأول زيارة رسمية لدولة الامارات في ٤ أبريل ١٩٧٥م واجتئاته برئيس دولة الامارات<sup>(١٤٧)</sup>. أصبحت انتيادية تقريباً مرة في السنة<sup>(١٤٨)</sup>.

### الدعم المالي :

يتخذ دعم الامارات المالي لمنظمة التحرير اشكالاً عديدة : مخصصات سنوية تم الاتفاق عليها في مؤتمر القمة التاسع الذي عقد في بغداد، دعم اللاجئين، والضرائب الخصصة، ودعم الجبهة الداخلية، وفي مقابلة مع سليم الزعنون اوضح بان دولة الامارات تدفع حصتها المقررة في مؤتمر بغداد بصفة مستمرة وان كان هناك تأخير احياناً، ولقد ارجع ذلك التأخير الى الوضع الاقتصادي العام وخاصة منذ اخفاض اسعار النفط في عام ١٩٨٢م واضاف بان الامارات، على كل حال، افضل من الدول المساهمة

الخرى<sup>(١٤١)</sup>، وفي دعمها لللاجئين الفلسطينيين اعتمد مجلس الوزراء في ٢٨ مايو ١٩٧٢م تبرع دولة الامارات ٢٠٠٠٠٠ دولار لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين<sup>(١٤٢)</sup>، كما مولت دولة الامارات بناء مدينة في سوريا للايوان الفلسطينيين الذي قتل آباءهم في حرب ١٩٦٣ والتي يمكنها استيعاب ٨٠٠ طالباً والتي ستزود بجميع الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية والتوفيقية، واعلنت عن استعدادها لتخفيض ميزانية سنوية لهذا الغرض<sup>(١٤٣)</sup>، وفي ١٩٧٨م اعلن الدكتور على حميدان مندوب الامارات الدائم لدى الامم المتحدة عن مساهمة دولة الامارات بمبلغ ٢٢٠٠٠٠ دولار الى الوكالة الدولية لغوث اللاجئين الفلسطينيين<sup>(١٤٤)</sup>.

وفرضت دولة الامارات سلسلة من الضرائب لصالح منظمة التحرير الفلسطينية، في مايو ١٩٧٣ شرعت الحكومة الاتحادية قانوناً يلزم اقتطاع ٥% من رواتب الفلسطينيين العاملين في الامارات<sup>(١٤٥)</sup>، وبالرغم من ان القانون قد صدر في ١٩٧٣م الا انه لم يطبق في بعض الامارات حتى ١٩٨٣م<sup>(١٤٦)</sup>. وفرضت في عام ١٩٧٥م ضريبة على بيع تذاكر السفر تقدر بعشرة دراهم لكل تذكرة، كما فرضت ضرائب على الشركات العاملة في دولة الامارات وفي عام ١٩٧٩م تسلمت منظمة التحرير الفلسطينية من بلدية دبي فقط مبلغ ٤٠ مليون دولار مجموع ما جمع من الضرائب التي فرضت على الشركات العاملة في دبي<sup>(١٤٧)</sup>.

وخصصت دولة الامارات جزءاً من مساعداتها المالية لدعم الجبهة الداخلية في الاراضي المحتلة<sup>(١٤٨)</sup>، وجاء في تقرير نشر في ٢٥ أكتوبر ١٩٧٧م بأن الامارات تبرعت ب ١٠٠٠٠٠ درهم للضفة الغربية لدعم صمود الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة، وفي العام نفسه تبرعت دولة الامارات مع كل من ليبيا والكويت ب ٦ ملايين دولار لتنمية الخدمات في مدينة نابلس في الضفة الغربية<sup>(١٤٩)</sup>، كما تساهم دولة الامارات مع الدول العربية الاخرى المساهمة لدعم دول المواجهة في دعم الجبهة الداخلية التي خصص لها ١٥٠ مليون دولار.

### الخاتمة :

توضح لنا الدراسة بان مواقف الامارات تجاه المسألة الفلسطينية ثابتة وان التغير الذي حدث في سياساتها الخارجية بالنسبة للمسألة الفلسطينية يعود الى عوامل خارجية عديدة أهمها :

١ - ان التضامن العربي الذي تحلى في حرب ١٩٦٣م أخذ في الانحلال حتى جاءت مجزرة تل الزعتر ١٩٧٦م لتزداد الهوة ولكن الانقسام الحقيقى في الوطن العربي بدأ مع توقيع مصر اتفاقية السلام الانفرادية مع اسرائيل التي قسمت العالم العربي الى ثلاثة مجموعات، فئة مؤيدة لمصر وفئة معارضة

- بشدة والتي تشكل مجموعة دول الصمود : سوديا وال العراق واليin الجنوبي والجزائر وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية والقمة الثالثة تشمل بقية الدول العربية والتي بالرغم من تبنيها لقرارات قمة بغداد في نوفمبر ١٩٧٨م الا أنها لم تكن تفضل عزل مصر نهائياً عن العالم العربي.
- ٢ - الاحداث التي طرأت على الساحة الخليجية في عام ١٩٧٩م : الثورة الايرانية والغزو السوفيتي لافغانستان أدت الى حدوث تغير في الاولويات في السياسات الخارجية لدول الخليج من مسألة فلسطين الى امن دوّهم.
- ٣ - زادت اندلاع الحرب العراقية الايرانية في سبتمبر ١٩٨٠م جهود الدول الخليجية المحافظة في البحث عن الامن والذي تبلور فيها بعد في قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية من انعكاسات الحرب العراقية الايرانية على المسألة الفلسطينية :
- أ - قضت على شهر العسل الايراني الفلسطيني.
  - ب - بدلا من ان تتوجه القوات العراقية الايرانية الى اسرائيل توجهت لبعضها البعض.
  - ج - قسمت الحرب العالم العربي الى قسمين : سوديا وليبيا لصالح ايران بينما اخذت الدول العربية الاخرى جانب العراق.
  - د - حولت اهتمامات الدول العربية من المسألة الفلسطينية الى التطورات في حرب الخليج.

ان سياسة الامارات الخارجية تجاه فلسطين ما هي الا ناتج للتفاعلات بين العوامل المختلفة حيث ان الخليفة التاريخية والثقافية «الاسلام والقومية العربية» خلقت اطاراً خاصاً يتم فيه بلوغ المفاهيم تجاه العالم الخارجي وان الطموحات القومية لشعب الامارات وتأثير الفلسطينيين الذي يعيشون في الامارات يشكلان عامل ضغط مستمر على صانعي السياسة الخارجية اضافة الى ذلك فإن العوامل القليمية «من أمن الخليج والرغبة في التحالف مع الدول الاخرى الاعضاء في مجلس التعاون» ولد اطاراً اخر لتوجيه وقيادة سياسة الامارات الخارجية كما أن الاجماع العربي من خلال قم واجتماعات الجامعة العربية يعد عنصراً منها اخر لسياسة الامارات تجاه فلسطين وان الدور الذي يلعبه رئيس السلطة التنفيذية في دولة ما يعد دائماً من المحددات الرئيسية في صنع السياسة الخارجية، وتجدر الاشارة الى ان من الصعب تحديد أي من العوامل السابقة أكثر أهمية في توجيه السياسة الخارجية لدولة الامارات تجاه فلسطين واما التفاعل بينهم جميعاً هو الذي يحدد تلك السياسة.

## الهواش

- ١ - مقابلة مع جليل الرعي أول مثل لمنظمة التحرير في أبوظبي، في ١٦/٥/١٩٨٥.
  - ٢ - المصدر السابق.
  - ٣ - محاضر المجلس الوطني الاتحادي، الدورة الثانية للمجلس التشريعي الثالث، جلسة رقم ٨١ في ٢٩ يونيو ١٩٨٦ م أبوظبي.
  - ٤ - مقابلة مع جليل الرعي في ١٦/٥/١٩٨٥ عمان.
  - ٥ - المصدر السابق.
  - ٦ - المصدر السابق.
- 7 - Shafiq a Hout (Palestine and the Gulf); A Palestinian Perspective in Rashid a Khalidi c Mansour leads Palestine and the Gulf, Institute for Palestinian studies, Beirut, 1982, P290.
- 8 - International documents on Palestine, Vol, 14 1980, P322.
- ٩ - الاتحاد ١٩٨٤/٨/٥.
  - ١٠ - محمود الداود «العلاقات الدولية المعاصرة» مجلة الخليج العربي، مجلد ١٣ ، رقم ٢ ١٩٨١ م ، ص. ١٨١ .
- 11 - Bichara Khader (the Gulf, Palestine and the west) in B,R, Pridham edc. the Arab Gulf and the west. centre for Arab Gulf Studdies universsite of exter 1985, P179.
- 12 - L/ 12 and S/12 37, 9 ext 17014824 of 1947, 16 - 31 decomber 1947. citedin Rosemari Zahlan.(the Gulf Statis and the Palestinian Problem) 1936- 1947 arab studies Vol. 39, N. 1, 1981, P 19.
- 13 - M. W. Mutawa, the Social and Political Chargers in the Omani Coast Emirates 1966-1970, Ph. D. Theses, University Reading, 1984 P 333, un Published.
- 14 - Rosemari Zahlan- (the Gulf State and the Palastinian Problem 1936-1948 P.6).
- 15 - Anthony H. Cordesnan the Gulf and the Search for Strategie West Vien Press Boulder Colorado, 1984, P 58.
- ١٦ - مجموعة خطب الشيخ زايد ١٩٧١ - ١٩٨٣ وزارة الاعلام والثقافة، أبوظبي، ١٩٨٤ م، ص. ٨٠ .
- 17 - International documents on Palestine, Vol. 3, 1979 P 448.
- 18 - Bichara Khader, B P CIL P 179.
- ١٩ - محمد الرميحي «فلسطين والخليج» شؤون عربية رقم ٣٢ أكتوبر ١٩٨٠ م ص. ٢٠٠ .
  - ٢٠ - وليم كوانت «السياسة الخارجية للسعودية في الثانينات» أكتوبر السياسي رقم ٩ أبريل ١٩٨٢ م ص. ٢٠٠ .  
صدر عن دار الخليج للصحافة والنشر الشارقة.
- ٢١ - علي الدين هلال «مصر وأمن الخليج» المستقبل العربي، رقم ٦٢ ، ابريل ١٩٨٤ م، ص. ٦٢ .
- 22 - International Documents on Palestine Vol O-1971, P. 449.

**23 - International documents on Palestine, Vol. 11, 1977, P. 402.**

٢٤ - السياسة ١٩٨١/١٢/٢.

٢٥ - الخليج ١٩٨٢/٣/٢٠.

**26 - John Duke, The U. A. E. on the Occasion of the Teath Annireersany A palitical Analysis, Couneil for U S Arab Relations 1981 - P 21.**

٢٧ - التقرير السياسي رقم ١٠، ٢ مايو ١٩٨١م، ص. ٢١.

٢٨ - مقابلة مع الاستاذ تيم عمran رئيس المجلس الوطني الاتحادي بدولة الامارات سابقاً، في ١٩٨٥/٦/٣٠ الشارقة.

**29 - S W B (BBC), M E 4331, A-1, 27 June 1973.**

٣٠ - الخليج ١٩٨٣/٨/٦.

٣١ - نشرات الرصد ١٩٧٣/١٠/٢٢، ارشيف وزارة الخارجية بدولة الامارات العربية المتحدة، أبوظبي.

٣٢ - نشرات الرصد ١٩٧٣/١١/٢٢.

٣٣ - الاتحاد ١٩٧٣/١١/٢٢.

٣٤ - أخبار اليوم ١٩٧٥/٥/٢٧.

**35 - Arabe Record and Report, 1975, P. 177.**

**36 - L Pand S 12 3351; PZ 824 0 37 Residency agent to Political Agent, Bahrain November, 27/1937.**

**37 - L/Pand S/12 3351: Pz 514/38 December, 11/1937.**

**38 - Bichara Khader the Gulf Palestine & hte West, In Opicit, P, 176.**

**39 - Camille Mansour Palestine and the Gulf; An Enstern Arabs Perspectibe in., Khaldi & (Mansour eds.) palestine and the Gulf Opicit, P 319.**

**40 - Rosemare S. Zahlan, The Gulf States and the Plestinian Problem, 1936-1948 in Opicit, P. 21.**

**41 - Bichara Khader, Op. cit, P. 174.**

**42 - Antony H. Cordesman, The Gulf and the Search for Shategic, Stability, West view press, Boulder, Colorado, 1984, P.77.**

٤٥ - مقابلة انيس الخطيب مثل منظمة التحرير الفلسطينية في دولة الامارات، ١٩٨٥/٥/٤، أبوظبي.

**46 - MEED, Vol 26, No. 26, 25, June 1982, P. 52**

**47 - MEED, Vol. 26, No 25, 18 June 1982, P. 62.**

**48 - Anthony H. Corsesman, O.P cit, P 78.**

٤٩ - يعتبر هذا أول مثل للمنظمة منذ اعلان الدولة الاتحادية.

٥٠ - مقابلة مع جليل الرعيي اول مثل لمنظمة التحرير الفلسطينية في أبوظبي و القائم بالاعمال في سفارة الامارات بالأردن، ١٩٨٥/٥/١٦ عمان.

٥١ - الاتحاد، ١٩٧٢/١١/٢١، الخليج، ١٩٧٢/١٢/٦.

٥٢ - الاتحاد ١٩٧٢/١٢/٨.

**53 - Arab Record and Report, 1972, P. 218.**

٥٤ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية، ١٩٧٣ م ص. ٢٠١.

**55 - Arab Record and Report, 1973, P. 250.**

**56 - S W (BBC) ME 4425, A-8, 15 October 1973.**

**57 - S W B , ME 4428, A - 13, 19 October 1973.**

- ٥٨ — سعيد محمد آل نهيان، السياسة الخارجية لدولة الامارات العربية المتحدة، المطبعة العصرية، أبوظبي، ١٩٨٥ م، ص. ١٢٨ .
- ٥٩ — نفس المصدر ص. ١٢٧ .
- ٦٠ — نشرات الرصد، ١٠/١٠/١٩٧٣م أرشيف وزارة الخارجية، أبوظبي.
- ٦١ - S W B , ME 4428, A - 13, 19 October 1973.
- ٦٢ - Arab Record and Report, 1973, P. 499.
- ٦٣ — سعيد محمد آل نهيان، مصدر سابق ذكره، ص. ١٢٨ .
- ٦٤ - S W B, ME 4367, A-Z, 8 Augusts 1973, Arab Record and Report, 1973, P. 353 & P 375.
- ٦٥ - S W B ME, 4430, A-3, 22 October 1973.
- ٦٦ — نشرات الرصد ١٠/٢٢/١٩٧٣م وزارة الخارجية.
- ٦٧ - S W B ME 4430, A - 2, 22 October 1973.
- ٦٨ — الوحدة، ١٩٧٤/٣/٢٣ م.
- ٦٩ — الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٧٤ م، ص. ١٤ .
- ٧٠ — محاضر جلسات المجلس الوطني الاتحادي، الدورة الثانية للمجلس التشريعي الثالث جلسة رقم ٦٨ في ٢٠ يناير ١٩٧٦ م، أبوظبي.
- ٧١ — نشرات الرصد ١٩٧٦/١/٢٩ .
- ٧٢ — المصدر السابق، ١٩٧٦/٦/٥ م .
- ٧٣ — المصدر السابق، ١٩٧٦/٦/٢٩ م .
- ٧٤ — المصدر السابق، ١٩٧٦/٩/٦ م .
- ٧٥ — المصدر السابق، ١٩٧٦/٦/٤ م .
- ٧٦ — المصدر السابق، ١٩٧٦/٦/٨ م .
- ٧٧ - Arab Record and Report, 1976, P. 615 - 652.
- ٧٩ - Arab Record and Report, 1978, P. 214.
- ٨٠ — مقابلة مع سليم الزعنون عضو اللجنة التنفيذية لنظمة التحرير الفلسطينية ونائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني في ٥/١٥/١٩٨٥م، عمان.
- ٨١ — رأي الخليج، ١٢/٢٩/١٩٧٣م .
- ٨٢ — خطاب سيف بن غباش، أرشيف وزارة الخارجية، أبوظبي .
- ٨٣ - Kuwait Dailty News, 14/4/1976.
- ٨٤ — الاتحاد، ٩/٤/١٩٧٧م .
- ٨٥ — خطاب راشد عبدالله، أرشيف وزارة الخارجية، أبوظبي.
- ٨٦ — التقرير السنوي لوزارة الخارجية، ١٩٨٢ م، ص. ٢٢٨ ، أرشيف وزارة الخارجية.
- ٨٧ — الخليج، ٩/١/١٩٨٣م .
- ٨٨ — وكالة انباء الامارات «وام» ١١/١١/١٩٧٧م .
- ٨٩ — الدبلوماسي العدد ١، ١ فبراير ١٩٨٠ م ص. ٢١ .

- 90 - Arab Record and Report, 1978, P. 698. International Documents on Palestine, Vol, 12, 1978, P. 513.
- ٩١ — الاتحاد، ١٩٧٨/٩/٢٢ .
- 92 - Middel East Contemporary Survey, Vol 2, 1977-78, P. 5.
- ٩٣ — الشرق الأوسط، ١٩٨١/٦/٣ .
- ٩٤ — خطاب راشد عبدالله، أرشيف وزارة الخارجية، أبوظبي.
- 95 - Meed, Vol, 25, No. 46, 13 November 1981, P. 3.
- 96 - Meed, Vol, 28, No 48, 27 November, 1981, P.z.
- ٩٧ — التقرير السنوي لوزارة الخارجية، ١٩٨٢ ، ص. ١١ ، أرشيف وزارة الخارجية بدولة الامارات، أبوظبي.
- 98 - Middle East Journal, Vol. 27, No.2, 1973, P. 202.
- 99 - Arab Record and Report, 1974, P. 25.
- 100 - Arab Record and Report, 1974, P. 158.
- 101 - Arab Record and Report, 1975, P. 346.
- 102 - Arab Record and Report, 1975, P. 334.
- 103 - Arab Record and Report, 1976, P. 130.
- 104 - Arab Record and Report, 1976, P. 433.
- 105 - Arab Record and Report, 1977, P. 135.
- ١٠٦ — الدستور، ١٩٧٤/٨/٢ .
- 107 - Daily Star 20/7/1975.
- 108 - Arab Record and Report, 1975, P. 346.
- 109 - Arab Record and Report, 1975, P. 175.
- 110 - Arab Record and Report, 1975, P. 589.
- ١١١ — نشرات الرصد، ١٩٧٧/٣/١١ .
- ١١٢ — البيانات المالية لعام ١٩٧٩ م و ١٩٨١ م، دائرة المالية بأبوظبي.
- ١١٣ — نفس المصدر ١٩٨١ .
- ١١٤ — الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية، ١٩٧٥ ، ص. ١٦٨ .
- 115 - Emirates News, 17/8 1980.
- 116 — خطاب راشد عبدالله في ٢١ أكتوبر ١٩٨١، أرشيف وزارة الخارجية، أبوظبي.
- ١١٧ — خطاب فاهم القاسمي مندوب الامارات الدائم لدى الامم المتحدة الى الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢ ديسمبر ١٩٨٣ م، أرشيف وزارة الخارجية أبوظبي.
- ١١٨ — الاتحاد، ١٩٨٢/٧/١٥ .
- ١١٩ — الاتحاد، ١٩٨٢/٩/٧ .
- ١٢٠ — الخليج، ١٩٨٣/٢/١٤ .
- ١٢١ — الاتحاد، ١٩٨٤/٤/١٧ م .
- ١٢٢ — الخليج، ١٩٨٣/١٠/٩ م .
- ١٢٣ — الخليج، ١٩٨٣/٨/٦ .
- ١٢٤ — سعيد محمد آل ثبيان، مصدر سبق ذكره، ص. ١٢٩ .
- ١٢٥ — خطاب سيف بن غباش في ١٢ نوفمبر، أرشيف وزارة الخارجية، أبوظبي.

- ١٢٦ — البيان، ١٢/١١، ١٩٨١.
- ١٢٧ - Middle East Contemporary, Vol 6, 1981-1982. P. 527.
- ١٢٨ — الاتحاد، ٢/٢١، ١٩٨٢.
- ١٢٩ — الاتحاد، ٣/١٢، ١٩٨٢.
- ١٣٠ — الاتحاد، ٩/١٦، ١٩٨٢.
- ١٣١ — الخليج، ١/٦، ١٩٨٣.
- ١٣٢ — الخليج، ٩/٢١، ١٩٨٥.
- ١٣٣ - MEED, (U. A. E) Special Report, November 1983, P.2.
- ١٣٤ - Abdulla A. Khalifa The Charging Political, Economec and Military Status of hte Litaral Arabian Person Gulf States; Us Impact on World. Pwwrs Ph. D Thesis, University of Idaho, 1975, P. 174. MEED, Vol. 23, No 43, 26 October 1979, P. 56.
- ١٣٥ — الخليج، ٣/٢٠، ١٩٨٠.
- ١٣٦ — مقابلة مع سليم الزعنون في ١٥ مايو ١٩٨٥، عمان.
- ١٣٧ — الاتحاد، ٢/١٠، ١٩٨٠.
- ١٣٨ — الخليج، ٣/١٠، ١٩٨٤.
- ١٣٩ — الاتحاد، ١٢/١، ١٩٨٠.
- ١٤٠ — محمد حسين الشعالي، المباديء العامة والسياسة الخارجية لدولة الامارات العربية المتحدة، ١٩٧٩، ص.
- ١٤١ — أرشيف وزارة الخارجية، أبوظبي.
- ١٤٢ — الدبلوماسي رقم ٦، يوليو/أغسطس ١٩٨٠، ص. ١٥.
- ١٤٣ — الدبلوماسي رقم ٣، مارس ١٩٨٠، ص. ١٠.
- ١٤٤ - MEED, Vol. 26, No. 22, 28, May 1982, P. 57.
- ١٤٥ — التقرير السنوي لوزارة الخارجية، ١٩٧٤، ص. ٢، أرشيف وزارة الخارجية، أبوظبي.
- ١٤٦ — خطاب الاستاذ أحمد السويدى امام الجمعية العامة للأمم المتحدة في اكتوبر ١٩٧٤، مارس ١٩٧٤، أرشيف وزارة الخارجية.
- ١٤٧ — الخليج، ٨/٦، ١٩٨٣.
- ١٤٨ - Arab Record and Report, 1976, P. 234.
- ١٤٩ — مقابلة مع السيد سليم الزعنون في ١٥/٥/١٩٨٥، عمان.
- ١٥٠ — الاتحاد، ١/٢٩، ١٩٧٤.
- ١٥١ — أخبار دبي، ١/٢٩، ١٩٧٤.
- ١٥٢ — الاتحاد، ١١/٢٩، ١٩٧٨.
- ١٥٣ — الاتحاد، ٥/٢١، ١٩٨٣.
- ١٥٤ — الاتحاد، ١/١٧، ١٩٨٣.
- ١٥٥ - Arab Record and Report, 1977, P. 416.
- ١٥٦ — صوت فلسطين ١٠/٢٥، ١٩٧٧.
- ١٥٧ - MEED, Vol. 23, No 43, 26 October 1979.
- ١٥٨ - Arab Record and Report, 1978, P. 177.



## بحوث ودراسات

### القدرات العقلية عند الصم

تمهيد :

د. محمد هويدي

يعتبر النشاط العقلي المعرفي للإنسان، خاصة الجوانب الراقية منه، من أهم الخصائص المميزة له عن الحيوان. فمن طريق هذا النشاط استطاع أن يحافظ على وجوده في هذا العالم، وأن يطور نوعية هذا الوجود بحيث أصبح يسيطر على معظم الظواهر الطبيعية وعلى معظم الكائنات الحية الأخرى التي تتفوق أنواع منها على العديد من خصائصه الأخرى. وجوهر النشاط المعرفي غاذج يستوعبها الإنسان عن الواقع المحيط به، وهذه الماذج تقوم على وحدة الخبرة الحاسية وصورها التجريدية المثالية، وهي تؤلف مضمون الوعي الإنساني وميكانيزماته.

هـ مدير الانتساب الموجه بالشارقة جامعة الإمارات

وتكون النموذج المعرفي عملية نشطة تهدف إلى حل مشكلة معرفية معينة، ووفقاً لطبيعة ونوعية المشكلة التي تواجه الفرد يقوم بانتقاء وتنظيم المعلومات المرتبطة بها، وهذه بدورها تعتمد على حالة الفرد في هذا الموقف والتي تتضمن في توجيهه انتباذه نحو خصائص وعلاقات معينة في الأشياء والحوادث والظواهر، واعطائها معنى ذاتياً – موضوعياً يؤثر في اختياره لنوع وشكل النشاط العملي الذي يقوم به.

والحواس هي المصدر الذي يتلقى منه الإنسان المعلومات التي تسمح له بتكون منظم لعالمه، عالم الأدراك والفهم والاستدلال والتفكير والتخيل، فعن طريقها تتوفر المادة الالزامية لهذه العمليات المعرفية الأكثر تعقيداً، إذ بفضل الاحساسات تعرف على مدى ثراء وتنوع العالم المحيط بنا، وعلى خصائص كل الأشياء الموجودة في هذا العالم، وباختصار فالاحساسات توفر للإنسان امكانية انتظام الموجه في العالم، وهو بمراجعة في كل وقت إلى تلقي معلومات عما يحيط به، ويتوقف تكيف الإنسان مع هذا الوسط على مدى التوازن بينهما، وفقاً لما يتلقاه من معلومات تتوافق بشكل مستمر خلال اعضاء الحس، مع الاخذ في الاعتبار ان الاحساسات في جوهرها اشكال ذاتية للعالم الموضوعي..

من ذلك ندرك مدى اعتقاد الإنسان على احساساته التي تشكل الخبرة الإنسانية، وبالتالي فإن الحroman من أحد الحواس يجد ويقلل من عالم الخبرة هذا، لأنه يحرم الإنسان من بعض مصادر المعلومات، وبالتالي الخبرة. ولأن الحجم الكلي للخبرة يتناقص تبعاً لذلك فإن توازن كل العمليات النفسية عند مثل هذا الإنسان لا بد وأن يتآثر، وإن كان هذا التأثير مختلف تبعاً لنوع ودرجة الاعاقة الحاسية، والوقت الذي حدثت فيه، ومدى الرعاية والعلاج التي تلقاها المعاك... إلى آخر تلك العوامل التي تؤثر على مدى وطبيعة هذا التغير الذي يحدث في الخبرة الكلية للمعاق. يضاف إلى ذلك أن هناك جوانب معينة في البناء النفسي للمعاق تتأثر أكثر من غيرها بمثل هذه الخبرات المعققة، ولعل في نتائج التجارب والدراسات التي أجريت في مجال الحرمان الحاس Semsory ما يشير إلى التغيرات السلبية في بعض الجوانب المعرفية والوجدانية والفيسيولوجية للاشخاص المحرمون حسياً (١ : ١٠٠ - ٢٨ ، ١٠٣ : ١٩٥).

• يذهب علماء «الباراسيكلولوجي» إلى أن الحواس لا تشكل كل الحواس التي يتمتع بها الإنسان، فهناك حواس أخرى عديدة، وإن كان العدد الكلي للحواس غير معروف بالتحديد، ويدللون على ذلك بالعديد من الظواهر والتجارب العلمية التي يقومون بها + انظر على سبيل المثال (٨٧ : ٨٢ - ٨٧)

• يشير الرقم الأول إلى رقم المرجع في قائمة المراجع بينما يشير الرقم الثاني إلى الصفحة أو الصفحات في ذلك المرجع، وعندهما توجد علامة الوصول المنشورة (،)، فإنها تشير إلى أن الرقم الذي يليها هو رقم مرجع آخر. وهذا هو النظام المتبني في هذه الدراسة.

### الاعاقة السمعية والقدرات العقلية :

علينا ان نحدد في البداية معنى الاعاقة السمعية، وبدون الدخول في مشكلات تعريفها حيث يمكن الرجوع الى مصادر اخرى لتفصيل ذلك (٨ : ٢١٣ ، ٥٦ : ٩)، ترى ان الاطفال الصم هم اولئك الذين يولدون فاقدين للسمع تماما او لدرجة تكون لاعقة بناء الكلام واللغة، الى جانب الاطفال الذين يفقدون السمع في مرحلة ما قبل الكلام واللغة بحيث تصبح القدرة على الكلام وفهمه من الاشياء المفقودة بالنسبة لهم للاغراض العملية. اما الاطفال ضعاف السمع فهم الذين تكونت لديهم مهارة الكلام والقدرة على فهم اللغة النطقية ثم حدثت لديهم بعد ذلك الاعاقة في السمع، بحيث يكونون على وعي بالاصوات ولديهم اتصال قريب من العادي بعالم الاصوات الذي يعيشون فيه باستخدام المعينات السمعية. وترکز هذه الدراسة على القدرات العقلية لدى الاطفال الصم دون ضعاف السمع.

اما عن حجم الاطفال المعاقين سمعيا فلا توجد احصائيات دقيقة يمكن الاعتماد عليها في تقدير هذا الحجم، وقد حاول احد خبراء منظمة الامم المتحدة للطفولة تقدير نسبة المعاقين عامة في منطقة الخليج والجزيرة العربية في ضوء المؤشرات الدولية (٣١ : ٣)، وتوصل الى ان عددهم يبلغ حوالي ثلاثة ملايين ومائتي الف فرد من بينهم مليون واربعمائة الف طفل يقعون دون سن الخامسة عشرة، ثم يضيف «...» ومع ان نسبة المعاقين تكون غالبا اكبر بكثير بين كبار السن (فوق ٦٠ سنة) في معظم المجتمعات الا انه في دول الخليج نلاحظ العكس حيث نسبة الاعاقة اكبر ارتفاعا بين الاطفال». مما يشير الى ان المجتمعات هذه المنطقة تفقد اعدادا كبيرة من الاطفال الذين كان يمكن ان يصبحوا افرادا منتجين، ليس بسبب الاعاقة في حد ذاتها ولكن بسبب القصص الحاد في خدمات دعاية وتأهيل هؤلاء الاطفال، وبسبب ندرة البحوث والدراسات التي تساعد في فهم الجوانب السيكولوجية المختلفة المرتبطة بالاعاقة.

وقد اخترنا دراسة القدرات العقلية لدى الصم لانه لا توجد دراسة او مسح للعوامل النفسية التي ترتبط بالطفل الاصم يمكن ان تتغاهل الوظيفة المعرفية، اتنا يمكن ان نتجاذل حول طبيعتها او دورها ولكن الدليل على اهيتها لا يمكن انكاره. وبالرغم من عشرات الاعوام التي استغرقتها البحوث لدراسة القدرات العقلية عند الطفل الاصم الا ان بناءها وعلاقتها بالمكون التربوي واللغوي ما زالت محيرة حتى الان. وينتهي احد الباحثين (٥ : ٨٧) بعد استعراضه للجانب المعرفي في سيكولوجية الصم الى انه «... من الواضح ان طبيعة وبناء وقياس الوظيفة المعرفية ومكوناتها المختلفة عند الصم في حاجة الى المزيد من البحث». ويدرك منديل وفرنون (١٤ : ١٣) «وباستكمال الكتاب بقى لدينا شعور غير مستقر بأن تفهم مجتمع الصم من جانب المجتمع السامع يكون محدودا».

معنى ذلك ان كثيرا من المشكلات المرتبطة بالاعاقة السمعية، والآثار النفسية المباشرة وغير المباشرة

لهذه الاعاقة لا تزال حتى الان بحاجة الى المزيد من البحث والدراسة، ذلك ان العوامل او المتغيرات التي تتوسط بين اعاقة السمع والسلوك ليست معروفة او محددة تماما الى الان.

وتتبّع اهمية دراسة القدرات العقلية لدى الصم ليس فقط من اجل تحقيق المزيد من الفهم لسيكولوجية الاصم والذى يتربّط عليه تحسين وتطوير خدمات الرعاية والتربية له لتنمية استعداداته وقدراته لكنّي يعود الى الحياة العادلة بقدر الامكان، ولكن تزداد هذه الاهمية من اجل تحقيق المزيد من الفهم لهذه القدرات لدى العاديين في السمع. فقد اثبتت دراسة الظواهر النفسية المرضية او غير العادلة انها تصصح او تعمق من فهمنا للظواهر النفسية السوية. وتاريخ علم النفس يمتلء بالعديد من الادلة على ذلك، فحركة القياس النفسي التي كان لها اعمق الاثر في تطور العلوم النفسية نشأت في المجال المعرفي من دراسة المتأخرین دراسيا على يد بینینة وسیمون، وفي مجال الشخصية من محاولة وودروث تصفیة الجنديين المضطربین انفعالیا، كما ان اکبر النظیریات الدینامیة في الشخصية الانسانیة قدّمها معالجون نفسيون للمرضی النفیسین.

فالسواء والمرض او العادلة وغير العادلة، مما وجھان لعملة واحدة لا يفهم احدھما الا من خلال الآخر، ولا يفهم الكل الذي يحتويها الا من خلال فهمھما معا، والباحث في النشاط المعرفي للانسان يقف امام بعض الاسئلة التي تطرحها دراسة القدرات العقلية لدى الصم، ومنها :

— ما هي طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر، هل اللغة متطلب سابق للفكر، ام ان الفكر ضروري لاكتساب اللغة، وهل اللغة هي امتداد رائع للفكر كما يقول البعض (٤٠ : ٢٤) ام ان اللغة وانماط التفكير ليسا شيئا واحدا، ولكنها يتحركان معا في نفس الوقت (٢٦ : ١٠١)، وهل نقصد بصطلاح «اللغة» هنا اللغة اللغوية، وهل الاشكال الاجنبی من اللغة تلعب نفس الدور والاهمية؟.  
— كيف تتكون المفاهيم لدى الطفل الاصم، وهل يستخدم انواع التفكير المختلفة خاصة التفكير التجویدي والتفكير الابتكاري، وهل يستخدمها بنفس الطريقة التي يستخدمها الطفل العادي؟.  
— هل يؤثر الصمم على مختلف ابعاد القدرات العقلية ام على البعض ما وما هو هذا البعض؟، وما هو شكل ومدى هذا التأثير؟.

— ما هي حقيقة الاختبارات غير اللغوية والادائية، وما هي انواع القدرات العقلية الالازمة للنجاح في ادائها، وهل تقيس الذكاء العام فعلا كما يظهر من معاملات ارتباطها الدالة بالاختبارات اللغوية، وماذا تقيس اذن هذه الاختبارات اللغوية؟.

— في ضوء اتفاق العلماء حول تفاعل وتكامل الجوانب العقلية والوجدانية في الشخصية الانسانية، كيف يتحقق ذلك في شخصية الاصم، وهل تعتبر اللغة ظهرا ضروريا لتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي عند الفرد؟.

هذه مجرد امثلة للتحدي العلمي الذي تقدمه دراسة القدرات العقلية لدى الصم، وسنحاول في هذه الدراسة الاجابة عنها من خلال استعراض وتقهم التراث العلمي المنشود. علينا في البداية ان نتبع بدء الاهتمام العلمي بالوظيفة العقلية لدى الصم وكيف تطور هذا الاهتمام الى ان وصل الى الاتجاهات المعاصرة.

### تطور دراسة القدرات العقلية عند الصم

#### أ— الارهاصات المبكرة :

بدأ الاهتمام بالتعرف على القدرات العقلية لدى الصم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي حينما تغيرت نظرية المجتمع اليهم ولم يعودوا احدى فئات التأخر العقلي، واصبح حق الصم في التعليم ثابتًا ومعترفًا به، وفي خلال هذه الفترة ظهرت لأول مرة مدارس خاصة لتعليم الصم، في المانيا على يد صمويل هاينك وفي بريطانيا على يد توماس بريدوود ،

وغيرها من الدول الاوروبية، اما في الولايات المتحدة فقد انشأت اول مدرسة لتعليم الصم في عام ١٨١٦ بولاية كونيكت (٤٥ : ٢٢)، وواجه المعلمون في هذه المدارس مجموعة من المشكلات التطبيقية تتعلق بطبيعة القدرات العقلية الموجودة لدى هذه النوعية الجديدة من الطلاب الغامضين الاميين الذين وقعت عقوفهم في شرك الصمت والجهل والذين يجب في نفس الوقت تعليمهم. وقد كان السؤال الكبير هو: كيف يتم ذلك؟ ما نوع العقول التي يتلقاها هؤلاء الطلاب؟ ما انواع العلوم والثقافة التي يمكنهم استيعابها، وما مقدار ذلك؟ باختصار كيف وما الذي يمكن عمله لاعادة الحياة هذه للعقلون التي يبدو في الظاهر أنها لم تولد بعد؟.

ولجا هؤلاء المعلمون الى علماء النفس طلباً للمساعدة في الوصول الى الاجابات العلمية عن هذه الاسئلة وغيرها، ولكن علم النفس في ذلك الوقت كان يمر بمرحلة تاريخية هامة، كان يمر بالمخاض الخص بمحاولته الاستقلال كعلم، ومن ثم فان اهتمامات رواده حينئذ لم تتجه بعد نحو هذه الحالات الشاذة من النفس الانسانية، وبالتالي كان على معلمي الصم الكفاح بمفردهم لحل مشاكلهم التطبيقية من خلال الملاحظة والتجريب والتفسير بأنفسهم، ويمكن ان نعتبر هذه المدارس اشبه بعامل نفسية عن سيكولوجية الصم، وباعتبارهم الرواد الباحثون في مجال السلوك الانساني عند الصم فهم في واقع الامر اول السيكولوجيين في مجال الصم، والقاء نظرة على ما نشروه فان القارئ يفاجأ بال مدى الواسع لاهتمامهم وملحوظاتهم وبدقة ادراكيهم للقضايا النفسية.

وعلى سبيل المثال في عام ١٨٨٩ قام دافيد جرينبرجر، والذي كان يعمل مديرًا لمعهد تحسين

التعليم للصم البكم، بنشر اجراءاته «الاختبار» ذكاء الاطفال الصم، وكانت الاعمال او المهام الموجودة في هذا الاختبار ومفاهيم تقويم الاجابات لا تختلف كثيراً عما هو موجود الان (٢٠٨ : ٢٠)، ونلاحظ ان هذا «الاختبار» ظهر قبل عشرين عاماً من ظهور اول اختبار نفسي للذكاء قدمه بینية وسيمون في فرنسا.

ويبدو ان جرينبرج لم يدرك الاهمية السيكولوجية لهذا الانجاز الذي قدمه، فقد اعتبر اجراءاته هذه اسهامات تربوية اكثر منها نفسية تساعده في حل مشكلة تربوية عامة هي تقدير ذكاء المتقدمين بمدارس الصم والذين يصعب تحديد مستوى قدراتهم العقلية، فهم اطفال غير قابلين للتواصل معهم ولكنهم ليسوا صماء، وكثيرون آخرون ينتمون الى مؤسسات التأخر العقلي، كما ان هناك من لديهم عقول جيدة خلف الواجهة الغبية، وهي عقول ليست في حاجة الا الى تشغيلها. واطلق عليهم جرينبرج مصطلح «الحالات المشكوك فيها» وشكى من ان تميزهم «واحدة من اصعب المشكلات التي تقع على دأب اي مؤسسة للصم البكم». ومن الملفت للنظر ان نفس هذه المشكلة في المدارس العادية هي التي ادت فيما بعد الى بناء اختبار بینية وسيمون للذكاء (٢١ : ٢٠٨).

وقد اهتمت مثل هذه الدراسات الاولية بمحاولة التعرف على بعض الخصائص العقلية والجسمية للתלמיד الصم ومقارنتها بالתלמיד العادي، وادوات القياس المستخدمة في هذه الدراسات تعكس المرحلة التي كان يمر بها تطوير حركة القياس العقلي، حيث كان العلماء في اواخر القرن الماضي يعتقدون ان الافراد يختلفون فيما بينهم اساساً في القدرة على التمييز الحاسي التي ترتبط بالقدرة على تركيز الانتباه، وهذا الانتباه علاقة مباشرة بالذكاء ولذا استعان العلماء على قياس الذكاء بالفرق القائلة بين الافراد في القدرة على التمييز الحاسي، ثم تطوروا الى قياس الفروق الفردية في التوافق الحركي نتيجة لما وجده بعض الباحثين ومنهم كاتل ان علاقة النواحي الحركية بالذكاء اعلى من علاقة التمييز الحاسي بهذا الذكاء (٦ : ١٠١).

ومن ثم فان الاختبارات المستخدمة تضمنت قياس : قوة قبضة اليدين، دقة الاحساس، ادراك الحجم، ادراك الوزن، النقر، التذكرة. وقد اظهرت نتائج هذه الدراسات ان الصم بصفة عامة مثلهم مثل العاديين بل وافضل منهم احياناً، وهي نتيجة متوقعة تأيدت فيما بعد عند تطور قياس الذكاء والتفرقة التي ظهرت في مرحلة تالية بين الذكاء اللغطي والذكاء العملي، وان كانت هناك دراسة قام بها مكيلان وبرونر في عام ١٩٠٦ بعنوان «الاطفال الملتحقين بالمدارس العامة للصم في شيكاغو» بينت ان الصم اقل بدرجة ملحوظة عن العاديين على واحد من افضل اختبارات الذكاء في ذلك الوقت وهو اختبار شطب حرف ، وقد قسر الباحثان ذلك بانه يرجع الى بطء في التعلم وانه اذا بدأ تعلم الطفل الاصم قبل سن ست سنوات فان هذا الفرق يقل ان لم يختلف نهائياً (٢١ : ٢٠٩).

## بحوث ودراسات

### ب - مرحلة قياس الذكاء العام :

ونكتي بهذا القدر في عرض هذه الارهاصات الاولية الازمة التي تمثل المرحلة الاولى في تطور دراسة القدرات العقلية عند الصم، وننتقل الى استعراض المرحلة الثانية والتي بدأت نتيجة لمتغيرين رئيسيين، الاول : تطور حركة القياس العقلي بظهور اختبار بينيه وسيمون الذي يعد اب اختبارات الذكاء، وتكمن اهمية هذا الاختبار انه فتح الطريق الصحيح لاول مرة لقياس القدرات العقلية العليا، وانه اشار الى مفهوم القدرة العقلية العامة التي تشتهر في جميع الاعمال، متخطيما بذلك سيكولوجية الملكات السائدة في عصره والتي تتناول النشاط العقلي على انه يتالف من وظائف مستقلة. والتغير الثاني : هو ظهور عالم النفس الامريكي دولف بنتر بسيكولوجية الصم، وتاريخ العلم مليء باسماء العلماء الذين كان لنشاطهم العلمي دور حيوي في تطوير احد العلوم او اعطائه منحى جديدا يصوب به مسيرته، وقد كان بنتر أحد هؤلاء العلماء، فنذ نشر اول دراسة له عن الصم في اول هذا القرن وحتى وفاته عام ١٩٤٢ كان مسؤولا بشكل مباشر او غير مباشر عن معظم البحوث النفسية في هذا المجال، وعن تقديم الكثير من علماء النفس المتخصصين فيه، ولهذا يشار اليه على انه رائد سيكولوجية الصم.

وفي حدود تطور علم النفس في هذه الفترة تركزت جهود الباحثين على محاولة التعرف على المكانة العقلية للصم، اي تحديد مستوى الذكاء العام، وهو اتجاه منطقي بلا شك عندما كانت هناك حاجة ماسة للاضافة الى المعرفة المحدودة في ذلك الوقت لميدان الصم. الى جانب تأثير نظرية العامل العام لسيبرمان على ميدان دراسة القدرات العقلية.

واول جهد علمي هام لدراسة نسبة ذكاء الصم كان البحث الذي قام به بنتر وباترسون في عام ١٩١٥ باستخدام اختبار بينيه - سيمون (مراجعة جودارد) على عينة من اثنين وعشرين تلميذا اصها كان متوسط عمرهم الزمني ١٢٥، واوضحت النتائج ان متوسط العمر العقلي ٦٧ عاما، وبلغ متوسط التأثر العقلي ٥٨ عاما، ولاحظ الباحثان كثيرا من الصعوبات في التطبيق وعدم مناسبة العديد من اسئلة الاختبار للمواقف الحياتية للصم، وانتهوا الى ان الاختبارات اللغوية لا يمكن استخدامها مع الصم واوصوا بضرورة استبدالها بالاختبارات الادائية (٢١ : ٢١).

وقام الباحثان ببناء اختبار ادائي ظهر في عام ١٩١٧ تحت اسم «مقاييس بنتر وباترسون الادائي»، وقدم مقاييس بينيه الاطار النظري المرجعي، وقد ادى ظهور هذا الاختبار والذي يطبق بطريقة غير لفظية الى فتح آفاق جديدة لقياس القدرات العقلية للصم، ويكون المقاييس من ١٥ اختبارا ادائيا فرعيا استند في معظمها على مجموعة من الاجراءات التي ظهرت قبل ذلك في اختبارات اخرى، مثل لوحة الاشكال لسيجان، وبناء المكعبات لوكس، وتكللة الصور مليي، وغيرها (٦ : ١٢٧).

واكثر الدراسات المسحية اتساعا في دراسة القدرات العقلية والتحصيل الدراسي للمعاقين سمعيا في ذلك الوقت تلك التي قام بها بنتر وديمر في عام ١٩٢٠، وقد تضمنت ٢١٧٢ طفلا من ٢٦ مدرسة للصم في الولايات المتحدة، وهذه الدراسة هي التي اثارت اساسا التساؤل عن طبيعة العلاقة بين الذكاء والصم، وقد خلصت في النهاية الى ان الاطفال الصم متاخرون عامين في المتوسط في الجانب العقلي وخمسة اعوام في التحصيل الدراسي عن العاديين، وبما ان هناك تأخرا عقليا مقداره عامان فان عامين من التأخير في التحصيل الدراسي يمكن ارجاعهما الى التأخير العقلي والثلاثة اعوام الاخرى ترجع الى الاعاقة اللغوية الناتجة عن الصمم البادئ في الطفولة المبكرة، كما ارجع الباحثان التأخير العقلي الى ان الامراض التي سببت الصمم اثرت ايضا على المخ وسببت التأخير العقلي (٢٢ : ٥٨)، وهذا صحيح فقط في الحالات التي تصيب بالصم نتيجة الالتهاب السحائي ولكن هناك احتمالات اخرى يجب اخذها في الاعتبار لتفسير هذه النتيجة، منها ان الصمم اذا كان يرجع الى عوامل داخلية فان جوانب اخرى من القصور، مثل التأخير العقلي، تكون اكثر شيوعا من تلك الاسر التي لا يوجد لديها تاريخ سابق للصم.

ومع ذلك نجد فيرنون ينشر في عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ سلسلة من الدراسات عن ذكاء مجموعات من الصمم تختلف باختلاف سبب الاصابة بالاعاقة السمعية، وكانت نسبة الذكاء كلها تقع في المدى المتوسط باستخدام اختبارات ذكاء عملية، وفي البحث الاول كانت نسبة ذكاء الاطفال الصم ولا ديا ١١٤، وبلغت في الثاني ٩٤ للاطفال الصم نتيجة الاصابة بعامل R H ، وفي البحث الثالث عن الاطفال المصابين بالصم نتيجة الالتهاب السحائي بلغت نسبة الذكاء ما يقرب ٩٦، وفي الرابع كانت نسبة ذكاء الاطفال الصم نتيجة الابتسار ٨٩، وفي البحث الخامس عن الاطفال الصم بسبب الحصبة الالمانية ٩٥ (١٤ : ١٦٥).

وعودة الى الدراسة الواسعة التي قام بها بنتر وديمر نجد انها قد اعطت دفعة قوية للدراسات النفسية عن الصمم، وشهد دبع القرن التالي نشاطا نفسيا مكثفا، وتركزت جهود علماء النفس على البحوث العلمية اكثر منها على الخدمات المختلفة التي يحتاجها الصمم، وظهر العديد من البحوث والدراسات حول سمات الشخصية والتحصيل الدراسي والمهارات الخاصة، وعلى الكثير من القدرات والخصائص، ولكن النسبة الافضل من هذه البحوث كانت تدور حول المكانة العقلية للصم.

وتبيان للباحثين في ذلك الوقت ان الحاجة ماسة الى وجود اساليب واختبارات خاصة، وقد كانت الحاجة الى اختبارات فردية غير لفظية لدراسة الاطفال الصم احد العوامل الرئيسية التي ساهمت في تطوير الاختبارات غير اللفظية، وقد انشأ بنتر وباترسون اول بطارية من هذا النوع – كما سبق ذكره – واستخدمت لسنوات طويلة في دراسة القدرات العقلية للصم وضعف السمع، وفي

نفس الوقت تقريباً (٣٠ : ١٩) ظهر مقياس ادائي آخر في الولايات المتحدة هو مقياس النقط العملي لأدثر ويتألف من افضل الاختبارات العملية التي ظهرت قبل ذلك ويكون من تسعه اختبارات، وفي عام ١٩٤٧ ظهرت طبعة معدلة من المقياس تتتألف من ٥ اختبارات فقط، وفي عام ١٩٣٦ ظهر في بريطانيا اختبار مماثل هو مقياس كولنز - دريفر ويتألف من ١١ اختباراً عملياً، وهو من اوائل المقاييس الادائية التي قدمت على الاطفال الصم، وهذا المقياسان - أي أدثر وكولنز - دريفر - هما أكثر اختبارات الذكاء العملية شيوعاً في الوقت الحاضر (٥ : ٢٠٧).

وكانت نتائج الدراسات حتى ذلك الوقت متناقضة فيما بينها في تحديد مستوى ذكاء الصم في مقابل العاديين، فبعضهما كان يشير إلى تساوي ذكاء الصم مع العاديين، وقد دفع هذا التناقض ماكين Mackane في عام ١٩٣٣ إلى إجراء بحث لمحاولة إزالة هذا التناقض، واستخدم فيه الاختبارات الادائية الثلاثة المعروفة في ذلك الوقت وهي اختبار بنتنر وباترسون واختبار جريس أدثر واختبار دريفر وكولنز، إلى جانب اختبار بنتنر العقلي غير اللفظي وبلغت العينة ١٣٠ طفلأً أصما تراوحت أعمارهم بين ١٠ - ١٢ سنة مع عينة ضابطة من الاطفال العاديين، وزيادة في الدقة المنهجية استخدم أسلوب المزاوجة الثنائية لاختيار العينة الضابطة، ولم تكن النتائج حاسمة، فقد أظهرت نتائج الاختبارات الادائية تأخراً مقداره عام واحد كما كان التأخير على اختبار بنتنر غير اللفظي مقداره عامان، كما توصل إلى أن اختبار بنتنر الادائي واختبار أدثر يعطيان نتائج متشابهة للأطفال الصم، وأنهم يقلون ١٢ نقطة عن العاديين، بينما يعطي اختبار دريفر درجات أعلى لكل من الصم والعاديين.

وهناك عدد من الدراسات المبكرة استخدمت اختباراً واحداً لقياسين ذكاء الاطفال الصم مثل اختبار جودانف لرسم الرجل واختبار متاهات بودتيوس، وكان أول من استخدم اختبار دسم الرجل الباحثان بيترسون وويليامز Peterson & Williams في عام ١٩٣٠ على عينة من ٤٤٦ طفلأً أصما تراوحت أعمارهم من ٤ - ٩ سنوات وأظهرت النتائج أنهم متاخرون عقلياً بما يقرب من عامين، ثم استخدم هذا الاختبار بعد ذلك في كثير من البحوث فقد لاقى الكثير من الاهتمام كوسيلة مفيدة في تتبع فئات من المعاقين كالصم.... وقد أعطى نتائج مشجعة بالنسبة إلى فئة المعاقين، وفتح المجال واسعاً للبحث في هذا الاتجاه (١٥ : ٥٥) ومع ذلك فإن نتائج البحث عن الصم قد أظهرت تبايناً فيما بينها (٦٤ : ٢٢) فيبيترسون وويليامز توصلوا إلى أن متوسط نسبة الذكاء ٨٠، بينما قامت جودانف وشيمولي ببحث عن الاطفال الصم بلغ متوسط نسبة الذكاء ٨٨، ووجد سبرنجر في بحث له أن هذا المتوسط بلغ ٩٦.

كما قام الباحثان zeckel, van derkolk باستخدام اختبار متاهات بودتيوس لمقارنة اطفال الصمم الولادي بالعاديين، وتوصلوا إلى أن الصم متاخرون عقلياً، وإن البنات الصم أكثر

تأخراً من البنين الصم . وفسراً ذلك بأن الصمم الولادي له تأثير عام على العمليات النفسية وان القيد النفوسي الملمحوظ يتبع عنه تأثير دائم على التفوه العقلي.

ومن الملحوظ ان العينات المستخدمة في هذه الدراسات كانت قليلة جداً ولا يمكن اعتبارها كمؤشر للمستوى العقلي العام للأطفال في مدارس الصم، ويقدم هذا النقد للكثير من دراسات ذكاء الصم لأن الشائع بينها ان تحصل على عيناتها من مدرسة واحدة فقط، وفي ذلك الوقت كان هناك تباين ملحوظ بين المدارس المختلفة في معايير قبول التلاميذ، والتي تعكس بدورها وبصورة واضحة على نتائج البحوث.

وقاملين Lane في عام ١٩٤٨ بتلخيص نتائج ٢٢ دراسة عن الذكاء العام باستخدام اختبارات ادائية خلال الفترة من ١٩٣٠ - ١٩٤٧، ووجد ان هناك تأخراً لدى الأطفال الصم عن العاديين بحوالي اقل من سنة واحدة (٢٥ : ٨٦)، بينما يقول باحث آخر «لقد كانت نتائج الدراسات الحالية (اكثر من خمسين دراسة) اوضحت هذه النتائج بان الاطفال الصم وضعاف السمع لديهم جوهريا نفس التوزيع العام في الذكاء مثل باقي الاطفال السامعين» (١٤ : ١٥٧)، ومن هذه الدراسات توجد ١٨ دراسة اجريت في نفس الفترة التي عرضها لين، نلاحظ ان ١٢ دراسة منها قد بيّنت عدم وجود فروق ذات دلالة بين ذكاء الصم والعاديين (١٤ : ١٥٩ - ١٦٢).

### ج - نظرية جديدة لاختبارات الذكاء :

ظهر اتجاه عام لدى الباحثين للاقاء اللوم على الاختبارات النفسية عند تفسيرهم لتناقض نتائج البحوث، وذكروا ان الاختبارات الادائية التقليدية ليست هي الادوات المثالية للبحث، حيث ان الاطفال الصم قد تعودوا عليها لدرجة انهم «يسطيعون اداءها وهم نائمون» كما ذكر احد الباحثين (٢١ : ١١)، وذكر باحث آخر بعد استعراضه لنتائج بحوث الذكاء «ان الاختبارات السيكولوجية نفسها لم تبرهن على كمال ادائها اذاء المشاكل المتعلقة بالصم» (١٣ : ٨١)، وظهرت الحاجة الى اختبارات وطرق اخرى. وقد سارت هذه المجهودات في ثلاثة خطوط متوازية ادت الى الانتقال الى المرحلة الثالثة في تطور دراسة القدرات العقلية لدى الصم، والخطوط الثلاثة هي :

- ١ - البحث عن انماط اخرى من الاختبارات التي أظهرت نجاحاً عند استخدامها مع الصم حتى ولو كانت مقتنة على غير الصم، ومن امثلتها اختبار وكسلر للواشدين والمرافقين واختبار وكسلر لذكاء الاطفال، واختبار المصفوفات المتتابعة، واختبار الاستدلال الجمرد غير اللغطي الذي اعده بوردي Bordy ، وتشير نتائج الدراسات التي استخدمت هذه الاختبارات وغيرها من الاختبارات غير التقليدية الى ان الصم لديهم امكانات عقلية عادية، ولنسبة ذكاء عادية على الاختبارات غير اللغطية وغير اللغوية مع انخفاض ملحوظ عن المتوسط على الاختبارات اللغطية.
- ٢ - بناء وتقنين ذكاء تصميم خصيصاً للصم، ومن امثلة الاختبارات التي ظهرت في هذه الفترة اختبار

أونتاريو للقدرة المدرسية والذي أعده Amoss من مدرسة اونتاريو للصم، واختبار نبراسكا للقدرة على التعلم لصفاد الصم، واختبار بوديل و أوليروني الادائي Borelli & Oleron واختبار بارغير اللغظي للأطفال وهذه الاختبارات وغيرها قننت أساساً على اطفال صم وعديين.

٣ - جهود للتعرف على اختبارات «صادقة» باستخدام الصدق التلازمي لمجموعة الاختبارات المستخدمة مع الصم، ذلك ان قلة عدد الاختبارات المقننة على الصم مع تداخلها جعل الاختبارات غير المقننة على الصم تحتفظ بموقعها الرئيسي الامام في الميدان، وبالتالي فقد قامت عدة بحوث للالجاجة على السؤال التالي : هل هذه الاختبارات وتلك المقننة على الصم تقيس فعلاً ما تزعم أنها تقيسه؟ وتم ذلك من خلال استخدام طريقة الصدق التلازمي.

فقد قام كيرك وبيري بمقارنة اختباري اونتاريو ونبراسكا بقياس ستانفورد - بينيه (مراجعة ١٩٣٧)، وو جداً ان درجات اختبار اونتاريو اقرب لبيانه من اختبار نبراسكا، كما درس لافوس العلاقات الارتباطية بين ثلاثة اختبارات ذكاء غير لفظية تستخدم مع الصم هي اختبار شيكاجو غير اللغظي، اختبار بتنر للقدرة العامة واختبار بيتا المعدل، وووجد ارتباطات جيدة بينهم، وبالتالي افتراض صدقهم بناء على ذلك، ومع ذلك فلم يصل البحث الى ان هناك اختباراً افضل من غيره (٢١٣ : ٢١٣). وبمتابعة هذه الجهود وتطورها اتسعت دائرة البحوث حول القدرات العقلية لدى المعاقين سمعياً، وازداد عدد علماء النفس المهتمين بهذا المجال، وواكب ذلك ظهور المجالات العلمية المتخصصة مثل مجلة بحوث الكلام والسمع وعملة تأهيل الصم، وانشأت العاهد العالمية ومراكز البحوث الخصصة للصم، وظهرت اول كلية في العالم للأطفال الصم وهي كلية Gallandel التابعة للكلية القومية للصم بواشطن، كما تأسس المعهد التكنولوجي القومي للصم بنويورك (٤١ : ١٧٧)، وادي ذلك التراكم الكمي للبحوث والخدمات الخاصة بالمعاقين سمعياً الى نقلة نوعية جديدة في دراسة القدرات العقلية تمثل المرحلة الحديثة الراهنة.

### الاتجاهات الحديثة للدراسات القدرات العقلية :

بدأ الاهتمام يتزايد بدور الخرمان الحاسي في التعلم والتوفيق، كما تزايدت الاختبارات والبطاريات الادائية وتنوعت، ولم يعد الاهتمام كما كان من قبل منصبًا على مجرد معرفة نسبة الذكاء العام. وكشفت دراسات وكرل (٢٩) عن مقاييسه المعروفة للذكاء ودراسات دابابورت وزملائه (٢٣)، عن أهمية تحليل الاختبارات الفرعية وأهمية التفسير النفسي للنتائج، وقد واصل علماء النفس دراسة احتمال ان اطفال الصم متاخرون عقلياً، وأظهرت النتائج بصفة عامة انه باستخدام الاختبارات الادائية الفردية فان الاطفال في مدارس الصم كان ذكاؤهم متوضطاً.

وقد اثارت هذه النتيجة العامة تساؤلات جديدة، فقد انشغل المربون بحالات الاطفال الذين تبين

ان قدرتهم العقلية متوسطة او فوق المتوسط بالنسبة للبعض منهم، ولكنهم مع ذلك لم يظهروا قدرة متناسبة للتعلم والتحصيل الدراسي. ومع تدعيم هذه النتيجة من خلال بحوث عدّة اصبح من الواضح ان الطفل الاصم برغم تساويه كميا مع الطفل العادي الا ان هناك اختلافات كافية دالة في التوظيف العقلي mental Functioning ، بالإضافة الى ذلك فقد ظهر تساؤل حيوي هو : ماذا تقيس بالضبط الاختبارات الادائية مقارنة بالاختبارات اللغوية ؟ فقد اصبح واضحاً أن بعض بطاريات الاختبارات الادائية مثل بطارية آرثر والتي تتضمن العديد من لوحات الاشكال ليست ذات فائدة عالية في التنبؤ بالتحصيل الدراسي. وهناك ملاحظة أخرى هامة كشفت عنها هذه البحوث الحديثة حيث تبين ان الاطفال يستطيعون الحصول على درجة في المدى المتوسط مثل هذه الاختبارات، بينما يحصلون على درجات اقل من المتوسط على الاختبارات التي تتطلب سلوكاً عقلياً أكثر تعقيداً.

والنتائج المتباعدة للأطفال الصم على الانماط المختلفة من الاختبارات العقلية قد ادت إلى مشكلة بارزة، فقد انتهى بعض الباحثين إلى ان الاختبارات التي يحصل فيها الصم على درجات اقل من المتوسط غير مناسبة لقياس هذه النوعية من الاطفال، وقد يكون هذا صحيحاً في ضوء القدرة العقلية. ومع ذلك فقد أكد باحثون آخرون ان النتائج المتباعدة قد تكون متوقعة اذا كان الصمم يؤثر على نمو عمليات نفسية معينة أكثر من غيرها، ومن ثم فإن الاطفال الذين لديهم اعاقة سمعية منذ الطفولة المبكرة من المتوقع ان يحصلوا على درجات متدنية على تلك الاختبارات التي تقيس العمليات النفسية الأكثر تأثيراً. وقد تأيد ذلك من نتائج بعض البحوث التي بيّنت ان الاطفال الصم يقعون في فئة اقل من المتوسط في الاختبارات التي تتطلب عمليات عقلية عليا مثل التجريد والاستدلال، ولنا عودة أخرى لمناقشة أكثر تفصيلاً لهذا الجانب، وسنعرض فيما يلي نماذج من البحوث الحديثة لنتعرف على المنحى الجديد في دراسة القدرات العقلية باستخدام نفس اختبارات الذكاء الشائعة في ميدان الصم، واعتمدنا في ذلك اساساً على المرجع (٢٢).

قام تريسي Treacy بتطبيق اختبار القدرات العقلية الاولية لثرستون على مجموعة من التلاميذ الصم وضعاف السمع، ويبيّن الجدول التالي نتائج هذه الدراسة :

درجات الاختبار	الصم			ضعف السمع		
	ن	م	ع	ن	م	ع
نسبة الذكاء الكلية	٣٠	٩٤٧٠	١٥٥٣	٣٦	٩٧٥٢٥	١٢٦٧
الفهم اللغطي	٣١	٨٠١٩	١٤٦٢	٣٦	٩٠٣٠	١٠٦٦
العلاقات المكانية	٣٧	١٠٦٨٦	٢٤٦	٣٦	١٠٠٣٣	٢٣٥٧
القدرة العددية	٣١	٩٨٣٨	٢٠٢	٣٥	٩٣٥٤٨	١٤٨٤
القدرة الاستدلالية	٢٥	٩٤٨٤	١٩٤	٢٨	١٠٦٨٥	١٩٥٥
السرعة الادراكية	٢٢	١٠٤٢٢	٢١٥	٢٢	١١٥٦٨	٢٥٢

## بحوث ودراسات

ويتبين من هذا الجدول ان نسبة الذكاء الكلية للمجموعتين في الحدود العادبة، وظهرت فروق دالة على الفهم اللغطي والقدرة الاستدلالية حيث كان ضعاف السمع اعلى من الصم. وفي بحث آخر استخدم فيه اختبار شيكاغو غير اللغطي، وهو مقتن على الاطفال الصم وضعاف السمع، لذلك انتشر تطبيقه في عدد من الدراسات للاطفال الصم بالرغم من ان بعض فقراته قد اصبحت قديمة وفي حاجة الى مراجعة الا انه اثبت فائدته. وقد قام هذا البحث على مجموعة من التلاميذ الصم في مدرسة داخلية، وفيما يلي جدول يوضح اهم النتائج.

نسبة الذكاء	العمر الزمني		ن	مجموعات البحث
	ع	م		
١٦٥٧	١٠٤٠٠	١٥٩	٥٢	الذكور
١١٩	٩٩٥٢	١٥٥	٣٦	الإناث
١٥١	١٠٢٠٠	١٥٧	٨٨	المجموعة الكلية
١٣٨	٩٨٥٤	١١١	٣١	القسم السمعي
١٤٧	١٠٧٣	١٥٧	٣١	القسم الشفهي
١٦٠٠	١٠٠٣	١٦٢	١٩	القسم اليدوي

ويلاحظ من هذه النتائج ان الصم يقعون في المدى المتوسط للذكاء، ولم توجد فروق بين الذكور والإناث او بين اقسام التصنيف الدراسي، فالاطفال في الاقسام السمعية والشفهية واليدوية متباينون في قدرتهم العقلية كما يقيسها هذا الاختبار، ونستطيع الاعتماد على نتيجة هذا البحث في تقوير ان ذكاء الاطفال الصم يتساوى مع العاديين، ودغم صحة هذا الاستنتاج من زاوية معينة الا انه قد يؤدي الى فهم خاطئ عند التعمق في تفاصيل القدرات العقلية.

في دراسة قام بها Blair قارن بين ٥٣ طفلاً اصها و ٥٣ طفلاً عادياً على اساس الدرجات المعيارية لهذا الاختبار، وتم تساوي المجموعتين في متغيرات : الجنس، وال عمر الزمني، والخبرة التعليمية، والمستوى الاجتماعي الاقتصادي، اظهرت النتائج ان نسبة الذكاء الكلية تتشابه بدرجة عالية بين المجموعتين، ولكن تحليل درجات الاختبارات الفرعية كشف عن وجود فروق كافية على اساس العمليات والقدرات العقلية المستخدمة في الاختبارات الفرعية.

معنى ذلك اننا نستطيع القول وبصفة عامة انه عندما تكون مشكلة الاختبار الفرعي من موافق او ظروف مألوفة للطفل الاصم، مثل الصور، فإنه لا يقل عن الطفل العادي في درجاته، اما اذا تكونت المشكلة من مواد بلا معنى، مثل الشكل الحسابي او الجبري، فإن الاصم يحصل على درجة اقل. ويقدم لنا مقياس وكسلر لذكاء الاطفال مجالاً لاختبار هذا الفرض، حيث يحتوي على مشكلات

## بحوث ودراسات

متباينة في مواقفها ومادتها، وقد قام وكسلر نفسه بدراسة الفروق الجنسية على مقاييسه بين مجموعتين من الذكور والإناث من التلاميذ الصم، ولم يجد فروقا ذات دلالة بينها (٢٩)، كما استخدم مورفي Murphy هذا المقياس على مجموعة من الأطفال الصم في مدرسة داخلية، وبلغت عينة البحث ٨٥ طفلاً م分成ين إلى مجموعات عمرية تبدأ من سن ١٢، واستخدم طرقاً مختلفة في توصيل الالعاب والسائلة وهي : قراءة الشفاه والكتابة والإيماءات، تبعاً لاحتياج كل طفل، وتوصل إلى أن نسبة الذكاء العملي تقع في المستوى المتوسط، حيث تراوحت المعدلات بين ٩٨ و ١٠٤، بينما كانت متوسطات نسبة الذكاء اللغوي أقل من المتوسط حيث تراوحت بين ٦٠٦ و ٧٣٥، وعندما قارن بين مجموعات البحث على أساس متغير الجنس ومتغير سبب الإصابة لم يجد فروقا ذات دلالة، أي أن الصم نفسه هو العامل الأساسي.

وهناك دراسة مسحية هامة نعرضها بشيء من التفصيل، وتكون أهمية هذه الدراسة في أنها دراسة قومية أجريت في الولايات المتحدة وشملت مختلف المناطق الجغرافية، حيث قسمت الولايات إلى ست مناطق جغرافية، تم اختيار من كل منها عدداً من مدارس الصم سواء الخاصة أو العامة ودوعي أن يكون بينها مدارس ذات اقامة داخلية وأخرى عادية، وبلغ عدد المدارس ٤١ مدرسة، تم اختيار ٨٢٢ طفلاً أصلها تراوحت أعمارهم بين ١٧٧ و ١٧١ سنة، إلى جانب ذلك تم اختيار مجموعة ضابطة من الأطفال العاديين من ٨ مدارس عادية بلغ عددهم ٢٧٢ طفلاً تراوحت أعمارهم أيضاً بين ١٧٧ و ١٧١ سنة، وضمن العيتين الجنسيين من الأطفال وبذلك فإن هذه الدراسة تعتبر الدراسة الوحيدة باستثناء دراسة بتزوريير التي سبق الاشارة إليها – التي شملت مختلف المناطق والمدارس والأعمار في مجتمع الصم.

والى جانب ذلك فقد استخدمت هذه الدراسة اختبار جودانف – هاريس لرسم الرجل لقياس القدرة العقلية لأفراد العينة، ورغم أن درجة الاختبار تحول إلى عمر عقلي ثم نسبة ذكاء إلا أن هاريس يذكر أنها لا تتطابق نسبة الذكاء التي تحصل عليها من اختبارات الذكاء الفردية، وإن أحسن استخدام له كمقاييس للتضمين العقلي (٢٠ : ٢٤٧)، كما أن الدراسات المختلفة التي أجريت على الاختبار أشارت إلى أن «رسم الرجل» يكشف لا عن مقدرة واحدة وإنما عن مجموعة من المقدرات، متنوعة، وإلى حد مستقلة بعضها عن بعض ولعلها توازي العوامل الأولية التي ترتبط بنظرية التحليل العائلي في الذكاء (٤٧ : ١٥).

وبيّنت النتائج أن درجات الصم والعاديين متتشابهة، وإن مستويات الذكاء للمجموعتين تقع داخل المدى العادي، وعندما جمعت كل الأعمار وقدرت المجموعة الكلية التجريبية والضابطة وجدت فروقاً دالة بين الإناث لصالح العاديين، بينما لم توجد فروقاً بين الذكور الصم والعاديين، وهذه النتيجة تأيدت من دراسات أخرى ويجب أخذها في الاعتبار رغم غرابتها، فقد بيّنت البحوث أن توافق الإناث الصم ليس أقل من توافق الذكور، كما أنهن لسن أقل في التحصيل الدراسي، كما أن الدراسة الحالية وجدت الذكور الصم أعلى درجة دالة من الإناث.

وعندما قوّنت مجموعة التلاميذ في المدارس الداخلية بمجموعة المدرسة العادية كانت النتائج

متناقصة بين المستويات العمرية المختلفة، فاحيانا لا توجد بين المجموعتين (عمر ٩ سنوات)، واحيانا يكون متوسط تلاميذ المدرسة العاديه اعلى من الداخلية (سن ١١)، واحيانا متوسط تلاميذ المدرسة الداخلية اعلى من العاديه (سن ١٣)، معنى هذا ان متغير نوع المدرسة لا يعتبر من المتغيرات ذات الاهمية المؤثرة في ذكاء الصم، كما ان المقارنة بين مجموعة الصمم الولادي وبمجموعه الصمم المكتسب اظهرت ان التشابه بين المجموعتين اكثر من الاختلاف.

ومن المعروف ان تعديل هاريس للاختبار الاصلي يتضمن اضافة رسم المرأة ورسم الذات، ولم تكشف نتائج البحث عن وجود فروق ذات دلالة لدرجات الرسوم الثلاثة على اساس متغيري الجنس ونوع المدرسة، ويبعدو من هذه النتيجة ان رسم هذه الرسوم متساو في درجة الصعوبة العقلية، واهمية ذلك تبع من تأكيد ما توصلت اليه بعض الدراسات من استخدام هذا الاختبار كاختبار اسقاطي للشخصية بدون تدخل عامل الذكاء.

ومن النتائج الامامه لهذا البحث تحليل فقرات الرسم، فقد تم تصحيح الرسوم على قائمه من ٥١ فقرة، ولم توجد فروق بين الذكور والصم والعاديين على ٢٨ فقرة منها والفقرات الباقية كانت كلها لصالح الصم ما عدا فقرتين فقط لصالح العاديين، اي ان هناك اختلافا بنسبة ٤٠٪ من الفقرات بين رسم الصم والعاديين، اما بالنسبة للاناث فقد كانت هناك فروق دالة على ٣٥٪ من الفقرات، اي ١٨ فقرة، منها ١٣ فقرة مشتركة مع الذكور. ويشير ذلك الى وجود فقرات حيوية تميز بين الاطفال الصم والعاديين بغض النظر عن الجنس، ثلث منها عن النسب، وفقرتان على التآزر الحركي، والباقي على ملامح الوجه والاصابع وتفاصيل الملابس، وتحوي النتائج بان الصم يعطون اهتماما اكبر لتفاصيل الراس والوجه. ويبعدو ان الصم كنوع من الحرمان الحسي يغير من العمليات الادراكية الى درجة ان ما يعرفه الاصم والعادي عن الرجل مختلف، وهو ما لا يمكن الوصول اليه عند المقارنة على اساس الدرجة الكلية للاختبار، وتؤكّد هذه النتيجة ما ذكرته جودانف انه من هذا الاختبار «ان الفرد يرسم ما يعرفه وليس ما يراه». (٢٠).

### الاعاقة السمعية والذكاء، نظرة عامة

ان التساؤل عن طبيعة العلاقة بين الاعاقة السمعية والذكاء يثير مجموعة من القضايا الاساسية تتعلق بطبيعة الفو العقلي والطاقة العقلية، فالطفل الذي اصيب بالصمم منذ الولادة او في مرحلة ما قبل اكتساب اللغة اذا كان نمو العقلي موازيا للعاديين فان دلالة الخبرة السمعية في نمو العمليات العقلية تنتفي ويف肯 انكارها.

وقد اكده بياجيه اهمية السمع والبصر والرمزية كأسس للذكاء، كما ان هناك العديد من الباحثين الذين اكدوا اهمية توافق الاشاره الحسية والخبرة في الفو العقلي للاطفال الذين يتمتعون بنمو حاس عادي، وتشير نتائج مجموعة من البحوث على ان نمو الاعضاء الجسمية والجهاز العصبي المركزي يعتمد

على الاثارة الحاسية المبكرة الملائة (٧ : ١٥٤) كما ان هذه الاثارة الحاسية تعتبر دلالات للسلوك، فهارات مثل الوصول الى الاشياء وتناولها والتساؤل بقصد الاستكشاف والاستطلاع وغيرها – اي الاستجابات بوجه عام – تتطلب وجود اشياء واحادث معينة توقظ مثل هذه الاشكال من السلوك. وليس الهم هو وجود الاثارة الحاسية فقط، بل ان تباين المثيرات وتتنوعها هو الشيء الاكثر اهمية من الناحية النهاية.

واذا اضفنا الى ذلك مفهوم «دافع الكفاءة» الذي قدمه هوايت والذي يرى ان جميع افراد الانسان يولدون ولديهم دافع اولي نحو السيطرة على البيئة، وان سلوكنا جميعه وبشكل اولي مدفوع الى تحقيق الكفاءة، ولا فرق في ذلك بين سلوك معرفي او حركي او انفعالي او اجتماعي، ويعني ذلك ان السلوك المعرفي سلوك تكفي شأنه في ذلك شأن بقية انواع السلوك الانساني مع ملاحظة ان الشعور بالكفاءة او عدمه يعتمد على المردود الاجتماعي من المحيطين به (١٢ : ١٢).

نصل من ذلك الى ان الطفل الذي اصيّب بالصمم منذ الطفولة المبكرة يفتقر الى الاثارة والخبرة السمعية وبالتالي الى الرمزية اللغوية، ومن ثم فان سلوكه المعرفي التكيفي لا بد وان يأخذ منحى خاصاً مختلف عن الطفل العادي، ولا ننكر هنا بالطبع اهمية الخبرة الحسية غير اللغوية في التعلم العقلي. والسؤال الذي يبرز هنا يدور حول طبيعة العلاقة بين الذكاء واللغة، ومن وجهة نظر عامة فانه بدون اللغة لا يوجد فكر وبالتالي لا يوجد ذكاء من النوع المرتبط بالوجود الانساني، ويتضمن ذلك بالطبع انه اذا كانت هناك معوقات في التعلم اللغوي فان التعلم العقلي لا بد وان يتتأثر، واذا كان التعلم اللغوي السوي ضرورياً للنمو السوي للعمليات النفسية والتعلم، فان التعلم العقلي والكفاءة العقلية للطفل الاصم لن تتواءز مع الطفل العادي، وحتى الخبرة غير اللغوية للطفل الاصم تختلف عن مثيلتها لدى الطفل العادي، ذلك ان خبرة الاصم لا تتضمن السمع، ومن ثم فان سلوكه غير اللغوي – مثل العمليات الادراكية – يقام وبينما وينمو بطريقة مختلفة.

وعندما نأخذ في اعتبارنا الخبرة اللغوية وغير اللغوية للطفل الاصم منذ المراحل المبكرة، فاننا لا نستطيع تجنب احتفال ان مثل هذه الاعاقة قد تحد من الامكانيات العقلية الحقيقية لدى هذا الطفل، وهذا يتعارض مع الافتراض القائل بان الصمم والتآخر العقلي يوجدان بشكل منفصل عن بعضهما، واذا كان التعلم العقلي يتباين اساساً كتابع للقيود في اكتساب اللغة، فانه يتبع ذلك ان القصور اللغوي اذا امكن القلل منه او علاجه، فان التعلم العقلي للطلاقة العقلية يمكن ان يتبع ذلك.

والتساؤل عن طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر له تاريخ بعيد يبدأ من اسطو الذي اشار في «المشكلات» الى ان الصم لا يمكن ان يتكلموا او يتعلموا اللغة. واذا كان الكلام مظهراً لعملية الاستدلال فان الاصم يفتقد هذه العملية العقلية، ومن ثم يوضع في فئة الاغبياء، وظللت آراء اسطو هذه، مثل غيرها، مسيطرة على الفكر الاوروبي حتى القرن السابع عشر، حيث عارضه ولأول مرة الفيلسوف Cardano الذي ذكر ان الاصم يمكنه تعلم السمع بواسطة القراءة والكلام بواسطة الكتابة (٢٦ : ٢٧)، ويعتبر ايتين كوندياك Condillac اول مفكر اعطى اهتماماً

منظما للسؤال الاستدلالي اللغوي كما نفهمه الان (٢٧ : ٧٧).

وتناثرت كتابات الفلاسفة حول هذه العلاقة حتى اواخر القرن الماضي عندما تزايد الاهتمام بقوه، وظهرت تيارات متلاصصان، ذهب الاول الى ان التفكير غير ممكن بدون اللغة وقاد هذا التيار ماكس مولر، وذهب التيار الثاني الى معارضته هذا الرأي، وجاء على رأسه كل من جالتون الذي ذكر ان دراسة الافراد الصم ولاديا قد ثبتت خطأ وجهة نظر مولر، وجودج دومانس الذي اعتمد على مرض الحبسة Aphasia في معارضته رأي مولر وذهب الى ان الفرد بمجرد ان يكتسب تكوين المفهوم الرمزي يظل قادرًا على استخدامه حتى بدون الكلمات، ويضيف «... لانه عندما يصاب شخص فجأة بالحبسة فإنه لا يصبح على الفور بلا فكر مثله مثل الاعجم، يجب الاعتراف بأنه فقد كل اثر للكلمات، ولكن (قد وته على) الاستدلال قد تظل سليمة بدون اصابة». (في ٢٦ : ٤٠). رغم ان جولدشتين يؤكّد ان اولئك الذين اعتادوا التفكير في ضوء المفاهيم اللغوية تظهر عليهم بعض نقصان التفكير بعد الاصابة بالحبسة (٤ : ٤٨١).

واعطى التقدم الكبير خلال القرن الماضي لعلم وظائف الاعضاء العصبي و المجال علاج امراض الكلام قوة دافعة جديدة للبحوث في مشكلة اللغة — الفكر، واشارت نتائج البحث — خاصة تلك التي اجريت حول العلاقة بين نمو الكلام عند الطفل واضطرابات التواصل عند الراشد — الى نتيجة عامة، ان اللغة هي بالتأكيد امتداد للفكر اكثر منها متطلب سابق له.

ولكن ماذا نقصد بـ مصطلح «اللغة»؟ ان افضل اجابة حتى الان — من وجهة نظرنا وبدون الدخول في تفاصيل التعريف المختلفة — هي التي قدمها ساير Sapir في عام ١٩٢١، حيث ذكر ان «اللغة هي طريقة انسانية بحتة وغير غريزية للتواصل الافكار، والمشاعر، والرغبات، بواسطة نظام من الرموز انتجه الانسان بنفسه طوعاً».

(في ٢٦ : ٤٤) ويوجّي هذا التعريف ان اللغة الانسانية ليس من الضروري ان تكون لفظية، وهو ما ذهب اليه البعض في البحث عن نشأة اللغة عند الانسان، حيث اشاروا الى ان الارجح انها بدأت كنظام ايمائي اكثر منها كنظام صوقي — سمعي، ويدلّون على ذلك ببحوث تعلم الكلام للقردة العليا ولغة الاشارات عند الصم، ويرى هؤلاء ان اللغة ظهرت عند الانسان من حاجته للتواصل مشاعره (٢٦ : ٩٤).

ويرى كوندياك ان الفو العقلي للانسان مستحيل في غياب عامل لغوي اساسي هو العلامات Signs وتنبع اهميتها الحيوية من كونها الاداة او الوسيلة التي ترتبط بواسطتها الافكار بعضها ببعض واطلق على العلامات مصطلح «رابطة الافكار» (٢٧ : ٨١) وانطلاقاً من الفصل الذي اقامه بين اللغة والتفكير يرى ان الافراد الصم من اجل القيام بعمليات الاستدلال عليهم اختراع نظام ما للعلامات الداخلية.

والواقع ان قضية العلاقة بين اللغة والتفكير حصلت على ابعاد جديدة عند البدء في محاولات تعلم الصم، خاصة في منتصف القرن الثامن عشر عندما انشأ Abbé L'Eppé مدرسته الشهيرة

لتعليم الصم، والذي يعتبر وحق دائم تعليم الصم (٢٦ : ٩٣)، وقد كان من اوائل العلماء الذين ادركوا ان العقل يعمل من خلال اللغة، التي هي نظام رمزي، وتوصل الى ان اللغة اليمائية واغاث التفكير ليسا شيئا واحدا، ولكنها يتحرّكان معا في نفس الوقت، ولن يتيسر المقام هنا للتوسيع في هذه القضية التي تحتاج الى دراسة خاصة منفصلة نظرا لاهيتها في تعميق فهمنا للنشاط العقلي عند الانسان، خاصة الاصم.

والبحوث المنشودة عن ذكاء الصم حتى الان اصبحت تمثل تراثا علميا كبيرا، وقام عدة باحثين بدراسات لحصر هذه البحوث لمعرفة النتائج العامة حول هذا الموضوع، توصلت الى وجود عدم اتساق عام بين نتائج البحوث، ومن ثم اشارت الى وجوب الحذر عند تفسير البيانات المتاحة عن الوظيفة العقلية عند الصم، وذكرت هذه الدراسات بصفة خاصة على اهمية الاخذ في الاعتبار نمط الاختبار المستخدم في البحث، حيث ان الفروق الكمية التي قد تجدتها ما هي الا انعكاس لفروق كيفية في الوظائف النفسية، فالصم على سبيل المثال يمكن ان يؤثر على نمو بعض العمليات النفسية اكثر من غيرها، ومن ثم فالاطفال المصابون بالصم الولادي، وحتى الاطفال الذين اصيروا بالصم فيما بعد في حياتهم، قد يكون اداؤهم اقل على الاختبارات التي تقيس الوظائف النفسية الاكثر تأثيرا، مثل العمليات اللغوية واللفظية وتكوين المفهوم، فقد قام فيرث Furth في (٨٦ : ٢٥) بمسح التراث الخاص بتكون المفهوم عند الاطفال الصم، ووجد العديد من الدراسات التي تشير الى ان الفروق الموجودة بين الصم والعاديين غالبا ما تكون دالة عندما تزيل الجوانب اللغوية من الاختبارات.

يقودنا ذلك الى مناقشة قضية حيوية هي : كيفية قياس القدرة العقلية لدى الاصم، وقد يبدو للوهلة الاولى ان هذه القضية تطرح في غير مقامها، فكل البحوث التي عرضت في هذه الدراسة استخدمت اختبارات الذكاء لقياس القدرة العقلية لدى الاطفال الصم، ومن ثم فالاختبارات هي الاداة الوحيدة المطروحة، حتى الان، وهي من الناحية الواقعية اكثر الطرق شيوعا بين الاخصائيين النفسيين لجمع المعلومات. وتكمي البذائية الشديدة للاختبارات في ان الادوات التي تقع تحت مظلة «الاختبار» متوفرة لتغطية مدى واسع ومتتنوع من اغراض القياس، وفي وقت اقل وبخطاء وتحيزات اقل نسبيا من اي طريقة اخرى.

ومع ذلك فهناك اسئلة خطيرة ترتفع الان وبشكل متزايد في علم النفس المعاصر تتعلق بميزاها هذا الاتجاه وعيوبه، خاصة فيما يتعلق بذلك الاعتقاد الزائد على الاختبارات لتقدير الانسان، انه لا مر بسيط اذا كان من الممكن ظهور السلوك الانساني في شكل مجموعة من درجات الاختبارات، فكل ما يحتاج اليه اذن هو ان نربط نسبة ذكاء بدرجة اختبار في سمات الشخصية، مع اضافة درجة اختبار تحصيلي الى جانب درجات اي اختبارات اخرى يتم تطبيقها، وهذا نصل الى صورة نفسية ندعى انها شاملة ومتکاملة عن شخص ما، ولكن الطبيعة الانسانية ليست بهذه البساطة او السهولة، لذلك نجد بعض الباحثين (١٩ : ٣٦٦) يطالب بجر الاختبارات النفسية حيث ان اهتمامها الاكبر ينصب في وضع وتصنيف الافراد في خانات وفئات.

ويمنع هذا الاتجاه من اعتقاد خاطئ شائع هو ان الاساليب والطرق تشكل في ذاتها ادوات التقويم النفسي، ولكنها في الحقيقة غير ذلك، اهنا – وبشكل محدد – مجرد استراتيجيات لجمع المعلومات. فالتقويم النفسي لا يمكن في هذه المعلومات الجموعة – والتي تحتاج بالطبع الى مؤهلات ومهارات خاصة لمن يجمعها – ولكن في التعرف على وتفسير تلك الحقائق ذات الدلالة، و «الاداة» الوحيدة المصممة لهذا الغرض هي الفاحص نفسه، انه هو الذي يقول لنا ما معنى المعلومات في حالة معينة، وليس هناك اداة او طريقة تحمل عمل تفسير الفاحص وحكته، وفي هذا يرى الروخاوي (١٦) ان ادوات البحث في كل من علم نفس النمو وعلم النفس المرضي يجب ان تكون الباحث فقط، ويقول مليكه «ويمكن القول بأنه ابتداء من الأربعينات، بدأ تدريجيا ظهور تحول في حركة القياس العقلي من الاختبار الى الفاحص، ومن المؤشرات «الموضوعية» التي تخلص السلوك الى التفسير الذي يعتمد على مهارة الفاحص وحسه الاكلينيكي». (١١: ١٩٨)، لذلك تحول الحديث عن تكيم الانسان وتحويله الى مجموعة من درجات الاختبارات واصبح المهم الان هو الخبرة الانسانية وليس الدرجة، هو معرفة «الانسان» وليس معرفة درجة الانسان على اختبار ما، مع الاخذ في الاعتبار ان مؤيدي الاختبارات كأدوات اساسية او حتى وحيدة في التقويم النفسي هم الاكثر عدداً والاعلى صوتاً في علم النفس المعاصر خاصة في عالمنا العربي. بعد ان عرجنا على دور الاختبارات بصفة عامة، نعود الى اختبارات الذكاء العام والتي تستخدم عادة في قياس القدرات العقلية عند الصم، وهنا نجد اتجاهها اصبح شائعاً وجوهره ان هذه الاختبارات هي اقل عمومية مما كان مفترضاً فيها، وانها ليست عينة ممثلة للسلوك الانساني، فهي كما يبدو معدة للاستخدام في الثقافة المعاصرة مع اطفال المدارس او الراشدين، وبالتالي تؤكد القدرات اللغوية الى حد كبير، والقدرات التي تتعامل مع الرموز العددية وال مجردة الى حد اقل، فهذه الاختبارات تتغافل عدداً من النشطة العقلية الهامة التي لها اهميتها النظرية والتطبيقية مثل القدرات الميكانيكية والحركة والموسيقية والجمالية وغيرها.

لذلك نجد انستازи (١٨: ٣٤٨) تؤكد على اهمية النظرة الفارقة في قياس الذكاء، من خلال زيادة عدد الاختبارات التي تقيس جوانب مختلفة من الذكاء بحيث لا تعطي درجة واحدة كلية مثل نسبة الذكاء، وانما مجموعة من الدرجات لمختلف جوانب النشاط العقلي. وواكب ذلك زيادة الاهتمام بالفروق الفردية داخل الفرد وتأكيدها بدلاً من اختزالها كما كانت تفعل اختبارات الذكاء التقليدية، والتي وان كانت تتكون من عدد من الاختبارات الفرعية او الاسئلة الا ان اصحاب هذه الاختبارات كانوا يختارونها على اساس الاتساق الداخلي حتى يمكنهم الوصول الى درجة كلية موحدة، مع استبعاد تلك الاختبارات الفرعية او الاسئلة التي ترتبط ارتباطاً منخفضاً بالدرجة الكلية رغم اهميتها في تحديد الفروق داخل الفرد.

لذلك فمن النادر ان تميز اختبارات الذكاء التقليدية بين اكبر من فئتين للسلوك، هما النشاط اللغوي والنشاط العملي، رغم ان نتائج التحليل العاملی لهذه الاختبارات تؤكد ان الذكاء العام كما تقيسه ليس بسيطاً او متجانس التكوين، ولكنه مركب من قدرات عديدة، ويستخدم المصطلح فيها ليشمل هذا

المركب من القدرات اللازمة للبقاء والتقدم في ثقافة معينة، ويعني ذلك ان القدرات التي يتألف منها هذا المركب وكذلك اوزانها النسبية تختلف تبعاً للزمان والمكان، فلا شك ان متطلبات الانجاز الناجح تختلف من ثقافة لآخر، بل انها تختلف من ثقافة فرعية لآخر داخل الثقافة العامة الواحدة، بل ان مركب الذكاء يختلف داخل الفرد الواحد من مرحلة نمو لأخرى فع التقدم في العمر تزيد قدرة الفرد في الوظائف التي تؤكد لها ثقافته العامة او النوعية وتتناقص الوظائف التي يقل الاهتمام الثقافي بها (١٨) . (٣٤٨)

والى جانب ذلك هناك عدد من التغيرات التي تؤثر على تحيز واضعي هذه الاختبارات فعلى سبيل المثال نجد ابو حطب (٤) بعد مناقشته لمتغير «الريف» - الحضر يقول : «وهكذا يتتأكد لنا ان الاختبارات المحيزة للحياة الحضرية والتي يدها خبراء يعيشون ويعملون في ثقافة المدينة لا تصلح لتحديد المستويات العقلية لابناء الريف وهذه احدى مشكلات الاختبارات التقليدية للذكاء مثل ستانفورد-بيبنيه ومقاييس وكسلر»، وفي موضع آخر يناقش متغير المستوى الاقتصادي الاجتماعي، ويذكر «... ان اختبارات الذكاء» التقليدية «تقيس التدريب على الثقافة اللغوية لبناء الطبقة المتوسطة»، واذا نظرنا في مجتمع الصم نجد ان النسبة الاكبر تأتي من الريف والمناطق النائية غير المتحضرة، ومن ابناء الطبقة الاجتماعية الاقتصادية الدنيا في المدينة، معنى ذلك ضرورة الحذر والشك في نتائج هذه الاختبارات المتعددة والمستخدمة في البحث.

وقد يجادل البعض في ان هذه الصوره التي عرضناها لا تتطبق الا على قلة من البحث في ميدان الصم، وان الاغلبية منها استخدمت اختبارات ذكاء عملية او غير لفظية وبعضها قنن على الصم انفسهم، وبالتالي فلا مجال للمحذر او الشك هنا، ولكن قياس الذكاء بطرق غير لفظية يثير امامنا صعوبات معقدة وتمثل مشكلة في حد ذاتها، فاختبارات الذكاء غير اللفظية يجب ان تستخدم مع الصم الذين بدأوا اصابتهم في مرحلة ما قبل الكلام اذا كان الصمم يعوق استخدام السمع في اكتساب اللغة، ويصدق هذا بغض النظر عن عمر الفرد الذي تقوم بدراسته، لأن هذا فقط من الصمم يجعل صاحبه معيناً لغوبا طوال حياته، وفي الكثير من الاحيان قد يكون من الضروري استخدام هذا النوع من الاختبارات حتى مع الافراد الذين اصيروا بالصم في مرحلة متأخرة من حياتهم - اي بعد اكتساب اللغة واستخدامها لعدة سنوات - ذلك ان الافتراض القائل ان مثل هؤلاء الاشخاص يمكنهم فهم التعليمات عن طريق قراءة الشفاه او القراءة، وانه يمكنهم التعبير عن انفسهم بامكانية متساوية في الكلام وبالكتابة، هذا الافتراض نفسه ليس صحيحاً في معظم الاحوال.

وبقدر ما يكون استخدام الاختبارات غير اللفظية والادائية ضرورياً، فان مشكلة التشابه والاختلاف بينها وبين الاختبارات اللفظية يجب تقويمها، فالرغم من ان هذين النوعين من الاختبارات مرتبطة دالة، الا انه من الواضح انها يقيسان جوانب مختلفة في الذكاء، فالاختبارات التي تتطلب مهارة لفظية ترتبط بتلك القدرات المكتسبة من المواد التعليمية الدراسية بل وكثيراً ما تسمى الذكاء العام هذه باختبارات الاستعداد المدرسي، وبالتالي فإن الاختبارات غير اللفظية ليست بذات

فائدة كبيرة في التنبؤ بهذا النط من التعلم.

وهناك مشكلة أخرى تتمثل في الافتراض الشائع بأن كل الاختبارات غير اللفظية متساوية غير لفظياً، وهذا غير صحيح، فبعض اختبارات الذكاء التي تصنف على أنها غير لفظية تتضمن قدرة من النوع الذي نعتبره عادة قدرة لفظية، حتى لو توافر لدينا اختباران لها نفس الاسم كاختبارات ذكاء، فإن ذلك لا يعني أنها بالفعل متطابقان ويقيسان نفس السمة أو الخاصية، فالاختبار – كما ينص على ذلك تعريفه – هو «عينة سلوك»، فإذا اختلفت العينات التي تتضمنها الاختبارات المختلفة – وهو ما لا بد أن يحدث – فإن النتائج التي نحصل عليها من التطبيق مختلف، وهذا يعني أن الاختبارات المختلفة قد تتضمن «قدرات» مختلفة.

ونعرض أمثلة لهذا التنوع في القدرات بالرغم من أنها اختبارات ذكاء وكلها إدائية أو غير لفظية : اختبارات هيلي لتكمة الصور : تقدير سرعة الاستجابة النفسية – الحركية والقدرة على تقييم الموقف، اختبار كوز لرسوم المكعبات : تقدر آثره أنه يقيس التفكير المنطقي في حين يعتبره كوز اختباراً للنشاط العقلي التحليلي – التركيبي، اختبار متاهات بورتيوس : يؤكّد مؤلفه أنه في الأساس مقياس للقدرة التخطيطية وبعد النظر وانه يتتفوق على الاختبارات اللفظية في قياس جوانب الذكاء الأكثر أهمية في الاتكفاء الاجتماعي العملي، اختبار المصفوفات المتتابعة : تؤكّد الدراسات العاملية أن الأداء في الاختبار يتتأثر بعدد من العوامل منها الاستعداد المكاني والاستقرار والدقة الادراكية، اختبار رسم الرجل : تشير الدراسات إلى احتلال اختلاف ما يقيسه الاختبار من وظائف عقلية باختلاف السن (١١ : ٢٢٢ – ٢٣١).

بالإضافة إلى ذلك هناك مشكلة أخرى هي : هل درجات الاختبارات المتشابهة تكون واحدة في حالة استخدامه مع الصم والعاديين، وهل يمكن استخدام هذه الدرجات للتنبؤ بنفس النط من النجاح أو الفشل في التعلم أو التوافق لكلا المجموعتين ؟ فقد يحصل الأصم على نفس الدرجة التي يحصل عليها العادي، ولكنها تحتاج إلى تفسير متخصص، ذلك أن التفسير على أساس دليل الاختبار لا يؤدي إلى النتيجة المتوقعة. والمثال الشائع على ذلك هو الارتباط المنخفض بين درجات اختبارات الذكاء والتحصيل الدراسي للصم مقارنة بالعاديين، فمن الواضح أن الفرد الذي لديه قيود شديدة في اللغة يحل مشكلة الاختبار بعمليات نفسية مختلفة حتى لو حصل على نفس الدرجة التي يحصل عليها العادي، وبالتالي فإن المهمة العقلية تصير مشكلة مختلفة على أساس نوعية القدرات المطلوبة لها، ومعنى هذا أن افتراضيات الاختبار المستمدة من التقنيين والاستخدام مع العاديين ليس من الضروري أن تكون صحيحة عندما يستخدم نفس الاختبار مع الصم.

وهناك عامل آخر يجب اخذه في الاعتبار عند تفسير نتائج اختبارات الذكاء عند الصم، فعندما قام بورتيوس بقياس الدقة التشخيصية لاختباره (في ٢٥ : ٨٩) وجد أن درجات الأطفال الصم الذين يقع ذكاؤهم في المدى المتوسط على الاختبارات الأخرى تقل على اختباره عامين عن العمر الزمني لهم، بينما حصل المتخلفون على انخفاض متوسطه ٥٠ عاماً، ويوحي ذلك باختلاف تأثير الاعاقة السمعية على

الذكاء باختلاف مستوى القدرة العقلية للاصم. وقد اجريت بحوث تجريبية عن تأثير الحرمان الحاسبي على الحيوانات، وتوّكّد النتائج انه يؤدي الى تدهور اداء الحيوانات الذكية بينما لا يؤثر تأثيراً دالاً في اداء الحيوانات الغبية (٤٩٣ : ٤)، معنى ذلك ان الحرمان الحاسبي اشد تأثيراً في اصحاب المستويات العقلية العليا، وقد يرجع ذلك انهم اكثر حاجة الى الخبرات الحسية لتعلم المهارات الادراكية وغيرها من المهارات التي تيسّر التعلم – في ظروف الاستارة العادية، اما اصحاب المستويات العقلية الدنيا فانهم لم يستفيدوا بالقدر الكافي من الخبرات العادية بحيث تساعدهم على التعلم، وبالتالي فان الحرمان الحاسبي لا يؤثر فيهم تأثيراً اشد.

من الواضح اذن ان طبيعة وبناء وقياس القدرات العقلية عند الصم في حاجة الى المزيد من البحث الذي يسعى الى معرفة خصوصية هذه القدرات، في ضوء اطار نظري مرجعي يحدد الاهداف الكبرى والاتجاهات، وليس المزيد من البحث المتكرر الذي يدور في اطار نفس المفاهيم السابقة، اتنا في حاجة الى نموذج نظري خاص بالقدرات العقلية عند الصم والذي قد يختلف قليلاً او كثيراً عن النماذج النظرية المعروفة سواء كانت نماذج التحليل العامل او نماذج تجهيز المعلومات او غيرها، بل اتنا نذهب الى ان هذا النموذج النظري الخاص قد يعكس على فهمنا للقدرات العقلية عند العاديين، وهناك ايضاً مبررات تطبيقية ملحة من اجل التقدم العقلي والتربوي للصم من خلال النظم والمناهج والاساليب التي تقدم لهم في المؤسسات والمدارس الخاصة بهم.

## القدرة على التجريد عند الصم

قد يترك العرض السابق انطباعاً بان بحوث القدرات العقلية لدى الصم تدور فقط حول الذكاء، وهذا صحيح في المراحل المبكرة لتطور هذه البحوث، ولكن ظهر تيار جديد من الدراسات يحاول ان يخرج عن هذا الاطار ويبحث في بعض القدرات العقلية النوعية، وتستعرض فيما يلي بعض البحوث التي تناولت القدرة على التفكير المجرد كمثال على هذا التيار، على اعتبار ارتباط هذا التفكير بتكوين المفاهيم، والتي يرى البعض انها من اكبر الجوانب تأثيراً على الصم، وقد اهتم علماء النفس بدراسة هذه القدرة منذ عشرات السنوات فقد درس جولد شتين وشيرلد التجريد في علاقته بامراض المخ العضوية، كما درس آخرون ومن تخصصات مختلفة – الفلسفة وعلم اللغة وعلم النفس والطب النفسي – العلاقة بين التفكير وخاصة التجريدي – واللغة.

وهناك اتفاق عام على ان قدرة الانسان على التفكير التجريدي احد الخصائص الفريدة له، ولكن رغم ذلك لا يوجد مثل هذا الاتفاق على تعريف طبيعة هذه القدرة، بل ان هناك قدرة من الخلط فيها يتعلق بالدور الخاص الذي تلعبه اللغة في السلوك التجريدي للانسان، وقد اكد فلاسفة اكثراً من غيرهم على الاعتقاد المتبادل بين اللغة والقدرة على التجريد وذهب آخرون الى ان السلوك التجريدي غير ممكن الا من خلال استخدام اللغة، وعلى ذلك فان دراسة هذه القدرة لدى الصم تقدم مساعدة هامة في

الكشف عن هذا الجانب الاساسي في السلوك الانساني.

وتزايد الادلة من الدراسات العصبية النفسية على ان النصف الكروي اللحائی الایمن يرتبط بالوظائف غير اللغوية، مثل الادراك المکانی، بينما يتضمن النصف الكروي اللحائی الایسر اسس النشاط اللغوي، ويسمح هذا التقسيم الوظيفي للمخ لبعض الوظائف النفسية ان تعمل بغض النظر عن الوظيفة اللغوية، فهناك تفرقة عصبية بين العمليات اللغوية وغير اللغوية، وكلاهما يستخدم بطريقة متبادلة ومتكمالة في الشخص العادي، اما في حالة الصمم منذ الطفولة المبكرة والذي يؤثر على النمو اللغوي للطفل فانه يفوق عمليات الاستدلال اللغوي المتوضعة في النصف الكروي اللحائی الایسر، ولا يعني ذلك التأثير على العمليات النفسية غير اللغوية لتواجدها في النصف الكروي اللحائی الایمن. وتشير الدراسات التي اجريت حول عمليات الاستدلال مجرد عند الاطفال الصم، ائم اقل بدرجة دالة عن العاديين، ولكننا لا نستطيع تعميم هذه النتيجة الى درجة القول بأن الصمم يؤثر على كل انماط السلوك التجویدي، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : اي نفع من هذه الانماط يتاثر بالصم؟ وقد اکد اولىرون ان الاطفال الصم يحصلون على درجات اقل من العاديين في الوظائف التجویدية التي تتطلب الاستنباط، والتي تظهر في الاعمال التي تكون مفاتيحها Clues غير ملحوظة بدرجة واضحة، مثل اختبار المصفوفات المتتابعة، حيث نجد ان مشكلة المصفوفة لا يمكن حلها الا باستنباط مبدأ، ولكن هل يعني ذلك ان الصم اقل من العاديين في كل الاعمال التي تتطلب الاستنباط؟ ليست هناك اجابة واضحة ومحددة عن السؤال، فالامر يحتاج الى مزيد من البحث حول هذه القضية، ولكن الذي دفعنا لاثارة هذا السؤال ان نتائج دراسة استخدمت اختبار شيكاغو غير اللغوي كشفت عن ان الصم ليسوا اقل من العاديين على بعض اختبارات تكوين المفهوم، وهي نوع من الاختبارات للتفكير التجویدي، يتطلب النجاح فيها استنباط مبدأ ما حيث تكون كل المفاتيح غير ملحوظة.

وهناك دراسة قام بها رايت عن القدرة على الاستدلال التجویدي على عينة من طلاب كلية الصم مع استخدام مجموعة ضابطة، وقد تساوت المجموعتان في متغيرات نسبة الذكاء، والمستوى الاجتماعي الاقتصادي، وعدد سنوات الدراسة بالكلية واستخدم بطارية من الاختبارات من بينها اختبار المصفوفات المتتابعة، واظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة بين المجموعتين على هذا الاختبار، وهو ما يتناقض مع نتائج هذا الاختبار في عدد من الدراسات، وقد يرجع ذلك الى ان عينة البحث تعتبر عينة متحيزه لا تمثل مجتمع الصم فهم طلاب وصلوا الى مستوى الدراسة الجامعية، اما بقية نتائج البحث فقد اشارت الى ان الصم ليس له تأثير واحد على كل العمليات التجویدية، حيث كان الصم اقل على الاختبارات التي تتطلب دموزاً لغوية، سواء كانت كلمات او ادقاماً، ولكنهم ليسوا اقل في الاختبارات التي تستخدم مثیرات غير لغوية في شكل صور او مكعبات (٢٢ : ٨٥).

وفي مقابل ذلك نجد نتائج بعض البحوث الاخرى التي تتعارض مع النتائج السابقة، حيث درست علاقة اللغة بالعمليات الفكرية، وأظهرت ان القدرة على التفكير مجرد لا تختلف بين الاطفال والراهقين الصم والعاديين، ويشير احد الباحثين (١٤ : ١٥٩) الى انه «ما يؤيد هذا الاتجاه وجود عدد

كبير من الصم المتفوقين في الاحصاء والرياضيات». ولكن النسبة الاكبر من البحوث لا تتفق وهذا الاتجاه، وتکاد تجمع على اخفاقات درجات الاطفال الصم عن العاديين في القدرة على التجريد. ولكننا في نفس الوقت لا نستطيع الاخذ بهذا الاستنتاج بشكل مطلق وعام، فن الواضح ان بعض اثبات القدرات الابتكارية وعمليات تكوين المفهوم لا تتأثر بالصم، ومع ذلك علينا ان نفترض ان الصم مرتبط بنمو التجريد، ويبدو ان هذه العلاقة مرتبطة بدرجة وثيقة بالاعاقة في اللغة اللفظية، ومن ثم فن المنطق ان نخلص — على الاقل وبدرجة ما — الى ان هذا التأثر في القدرة على التجريد ثانوي وليس اساسيا، وانه تابع للقيد اللغوي، وانه ليس تأخراً حقيقياً في بعض القدرات العقلية، فإذا امكن زيادة الوظيفة الرمزية — اللفظية لدى الصم فان مستوى قدرته على التجريد لا بد وان تزداد وبالتالي.

### قضايا فكرية ومنهجية

يشكل التراث العلمي المنشود عن القدرات العقلية لدى الصم ذخيرة ضخمة في فهم هذا الجانب من سيكولوجية الصم، حيث نجد امامنا اعداداً كبيرة من النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسات والبحوث، ومع ذلك نجد انفسنا امام مشكلة ذات بعدين، يتمثل البعد الاول في التناقض المترد الذي نلاحظه بين هذه النتائج، ويتمثل البعد الثاني في تفسير النتائج التي انتهت اليها هذه البحوث، ويرجع ذلك في المقام الاول الى جوانب فكرية ومنهجية نعرضها فيما يلي :

١— ان اي بحث لا بد ان ينبع من اطار نظري معين، سواء كان ذلك بوعي شعوري من الباحث او بلا وعي شعوري او بوعي لا شعوري، فخلف كل بحث توجد وجهة نظر واضحة او مستتبجة، ورغم تباين الاطر النظرية للبحوث المتعلقة بالقدرات العقلية لدى الصم الا انه يجمعها اطار فكري مرجعي واحد قد يكون له دور في هذا الخلط القائم، ويتمثل هذا الاطار المرجعي في كون الاطر النظرية هذه منطلقة من دراسة العاديين في السمع مع محاولة تطبيقها على الصم، نحن لا ندعى ان لدى الصم قدرات عقلية غير موجودة لدى العادي — في حدود المعرفة العلمية الحالية عن سيكولوجية الصم — فالابنية العقلية واحدة لديها سواء في نوع العملية او نوع المحتوى او نوع النواتج، اذا استخدمنا نموذج جيلفورد الشهير، او في المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة واحكام ما بعد الخل او الاداء في النموذج النظري لابو حطب، ولكننا ندعى ان الفرق يمكن في جانبين، الاول هو الجانب الوظيفي الدينامي للقدرات العقلية، اي في شبكة علاقاتها المترادفة معاً واللازمة للقيام ب اي سلوك عقلي، والجانب الثاني هو طبيعة العمليات العقلية المستخدمة في الانتاج او الاداء العقلي، فعند تقديم مشكلة عقلية لطفل اصم وآخر عادي قد يصل كلامها الى نفس الخل ولكن بطريق مختلفة رغم استخدامهما لنفس القدرات العقلية، ولا يعني ذلك رفض النماذج النظرية العقلية المعروفة عن العاديين في السمع، ولكن علينا على الاقل ان نبدأ بمحوتها بالتحقق من صدق هذه النماذج عند تطبيقها على الصم، بدلاً من التسليم بصحتها وتصميم البحوث

## بحوث ودراسات

والاختبارات التي تتسق معها.

٢ - ان نقطة البداية في عملية تقويم القدرات العقلية لدى الاصم تمثل في ان يحدد الباحث بدقة ووضوح ما الذي يرغب في تقديريه، ان المهدى يجب ان يتعدى معرفة ما اذا كان الاصم يستطيع القيام بالواجبات المطلوبة منه حل مشكلة الاختبار، فالاهم من ذلك ان تكون قادرین على معرفة درجة الجودة التي يستطيع ان يتحققها في القيام بهذه الاعمال، وعلى ذلك فان مستوى الاداء الوظيفي للاصم في المجالات التي نهتم بها يعتبر احد الابعاد بالغة الامامية التي يجب علينا تقويمها، ليس ذلك فحسب بل علينا معرفة معدل قيام الطفل بواجب من الواجبات، ثم معرفة الاسلوب او الطريقة التي يستخدمها في معالجة هذا الواجب، اي ان احد الاهداف الرئيسية لعملية التقويم هو وضع وبناء مستويات للاداء الوظيفي والمعدلات، والاساليب الفردية في مواجهة الظروف والمواقف البيئية ذات الدلالـة.

وهذه القضية ذات اهمية خاصة بالنسبة للطفل الاصم، فهو احد الفئات الخاصة من المجتمع الانساني، ومن ثم فان التركيز على الاتجاه السيكومترى لا يكفى وحده لفهم قدراته العقلية، فـنـ المرجح ان الاتجاه الـاـكـلـيـنـيـكـي يـسـاعـدـ فـيـ تـحـقـيقـ المـزـيدـ فـمـنـ الفـهـمـ وـالـوـضـوـحـ.. الىـ جـانـبـ انـ كـوـنـ هـذـاـ الطـفـلـ مـنـ الفـئـاتـ الـخـاصـةـ يـعـنـيـ اـرـتـبـاطـاـ وـثـيقـاـ بـيـنـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ وـالـخـدـمـاتـ الـفـعـلـيـةـ الـتـىـ تـقـدـمـ لـهـ، وـمـنـ ثـمـ فـاـنـ اـنـتـقـالـ نـتـائـجـ الـبـحـوثـ الـىـ مـجـالـ الـتـطـبـيقـ لـاـ يـسـتـفـرـقـ وـقـتـاـ طـوـيـلاـ، مـاـ يـعـنـيـ ضـرـورـةـ انـ يـحـدـدـ الـبـاحـثـ اـهـدـافـهـ مـنـ عـلـمـيـ تـقـوـمـ الـطـفـلـ الـاـصـمـ.

٣ - يقودنا ذلك الى قضية العلاقة بين القدرات العقلية والجوانب غير العقلية في الشخصية، وهي قضية قدية جديدة لـسـنـاـ فـيـ مجـالـ تـقـصـيـلـهـاـ، وـلـكـنـاـ تـمـثـلـ اـهـمـيـةـ خـاصـةـ لـدـىـ اـفـرـادـ كـلـ الفـئـاتـ الـخـاصـةـ حيثـ بنـاءـ الشـخـصـيـةـ وـدـيـنـاميـاتـهاـ يـخـتـلـفـ بـالـضـرـورـةـ لـدـىـ الـعـادـيـنـ، وـيـتـمـثـلـ الاـخـتـلـافـ الـحـوـرـيـ فـيـ زـيـادـةـ حـجمـ وـفـاعـلـيـةـ الـعـوـاـمـلـ الـوـجـدـانـيـةـ فـيـ تـحـدـيدـ السـلـوكـ، وـمـنـ الـمـعـرـوفـ بـيـنـ اـخـصـائـيـ الـقـيـاسـ النـفـسـيـ انـ اـدـاءـ المـفـحـوصـ العـادـيـ عـلـىـ اـخـتـبـارـاتـ الـقـدـرـاتـ الـعـقـلـيـةـ يـتـأـثـرـ بـعـوـاـمـلـ وـجـدـانـيـةـ مـثـلـ الدـافـعـيـةـ وـالـاـتـرـانـ الـانـفعـالـيـ وـالـمـاـشـبـرـةـ وـمـيـكـانـيـزـمـاتـ الـدـفـاعـ...ـ الخـ، مـعـنـ ذـلـكـ اـسـتـحـالـةـ الفـصـيلـ بـيـنـ الـجـوـانـبـ الـعـقـلـيـةـ وـالـوـجـدـانـيـةـ عـنـدـ قـيـاسـ الـاـولـ، وـهـذـاـ مـاـ دـعـاـ وـكـسـلـرـ مـثـلـاـ إـلـىـ مـرـاعـاةـ الـجـوـانـبـ الـوـجـدـانـيـةـ فـيـ اـعـدـادـهـ لـقـايـيـسـهـ الـمـعـرـوفـ لـلـذـكـاءـ، فـهـوـ يـقـولـ «ـاـنـ مـاـ يـهـمـنـاـ هـنـاـ لـيـسـ اـنـ سـمـاتـ الـشـخـصـيـةـ يـكـنـ اـكـتـشـافـهـاـ بـالـاـدـاءـ فـيـ اـخـتـبـارـاتـ الـعـقـلـيـةـ، وـلـاـ اـنـ الشـخـصـيـةـ وـالـظـرـوفـ غـيرـ الـعـادـيـةـ تـؤـثـرـ فـيـ نـتـائـجـ اـخـتـبـارـاتـ الـذـكـاءـ وـلـمـاـ اـنـ سـمـاتـ الـشـخـصـيـةـ مـتـضـمـنـةـ فـيـ فـعـالـيـةـ السـلـوكـ الـذـكـيـ، وـبـالـتـالـيـ فـيـ ايـ مـفـهـومـ شـمـوليـ لـلـذـكـاءـ ذاتـهـ» (٢٩ : ١٥٨)، ويضيف ابو حطب «ـاـنـ السـلـوكـ الـوـجـدـانـيـ مـثـلـ يـتـضـمـنـ سـلـوكـاـ مـعـرـفـياـ....ـ كـمـاـ انـ السـلـوكـ الـمـعـرـفـيـ لـيـسـ مـتـحـورـاـ تـامـاـ عـنـ الـخـبـرـاتـ الـوـجـدـانـيـةـ»، وـيـنـتـيـ اـلـىـ القـولـ «ـ...ـ بـزـيـفـ الفـصـلـ الحـادـ بـيـنـ ثـلـاثـيـةـ الـعـقـلـ -ـ الـوـجـدانـ -ـ الـحـرـكـةـ (٤ : ٣٥)ـ.

ويـتـعـتـرـ الكـثـيـرـونـ انـ تـقـيـيـقـ مـقـيـاسـ سـتـانـفـورـدـ -ـ بـيـنـيهـ هـوـ فـيـ حـدـ ذاتـهـ مـقـابـلـةـ اـكـلـيـنـيـكـيـةـ كـمـاـ انـ مـقـيـاسـ وـكـسـلـرـ لـلـذـكـاءـ تـسـتـخـدـمـ فـيـ التـشـخـيـصـ اـكـلـيـنـيـكـيـ، وـتـتـحـدـثـ مـاـيـمـانـ وـزـمـلـاؤـهـاـ عـنـ الـجـوـانـبـ

الاسقاطية في بعض مقاييس الذكاء، وفي نفس الوقت نجد بعض الاختبارات الاسقاطية تتحدث عن تقدير الدference العقلية للمفحوص، مثل اختبار روشاخ واختبار دسم المنزل والشجرة والشخص واختبار تقهم الموضوع.

نخلص من ذلك الى ضرورة الاهتمام بالعوامل الوجدانية عند دراسة القدرات العقلية عند الصم، خاصة عند مقاديرهم بالعاديين.

٤ – يعود جزء من الخلط في نتائج البحوث الى الخلط بين المصطلحات المستخدمة لنفس الافراد، فاما منا مصطلحات الصم وضعاف السمع والمعوقين سمعياً وغيرها، وفي نفس الوقت لا يقدم معظم الباحثين تعريفات اجرائية محددة تجعل هذه المصطلحات تكتسب معانٍ ودلالات واضحة، مما يتربّط عليه ان أصبحت مقاومة نتائج البحث المختلفة والتي تدرس كلها هذا النوع من المعاقين لا تخلي من مخاطرة علمية، ذلك لأن عينات من مجالات سيكولوجية مختلفة تداخلت مع بعضها البعض بحيث تصبح المقارنة هنا في الواقع غير قائمة.

٥ – يلاحظ المتابع للدراسات المنشورة عن القدرات العقلية عند الصم وجود عدد كبير من الاختبارات سواء اللغوية او غير اللغوية او الادائية والتي قننت على عينات من العاديين او العاديين والصم، ومن بين هذه الاختبارات نجد نسبة مرتفعة منها تتجاهل البيانات التي تصف بدقة انواع الجماعات التي استخدمت في التقنين، بل ان بعضها لا يتواافق فيه التقنين الملازم على اساس بعض التغيرات ذات الأهمية مثل السن او الجنس او المستوى الاجتماعي – الاقتصادي – والاكثر من ذلك اهمية ان المسؤولين عن العمل التشخيصي يطبقون هذه الاختبارات على الاطفال المعوقين بطريقة آلية، ويستخدمون الجداول المعيارية في الحصول على درجات، وكل ذلك يتم دون توجيه العناية الكافية للتعرف على الجماعات التي قوونت بها درجات الاطفال الذين قاموا بتشخيصهم او تقويمهم.

وهناك عدد من البحوث يحاول تجنب مثل هذه الاخطاء ويلجأ الى استخدام بطارية من الاختبارات او استخدام اختبار يتكون من مجموعة من الاختبارات الفرعية، مستخدماً بين الفروق في الدرجات لتحديد مظاهر القوة والضعف عند التلميذ الاصم، ولكنهم يقومون بهذه المقارنات دون العمل على فحص عدد من الحقائق الجوهرية، منها على سبيل المثال «ان اخطاء القياس في الاختبارات تتراكم وتتجمع عند استخدام الفروق بين الدرجات في عدد من الاختبارات، وان تباين القياس يميل الى الاختفاء عند استخدام هذه الفروق... وثبتت الفروق بين الاختبارات ينخفض عندما تكون معايير الاختبارات مبنية على جموعات مختلفة من الافراد» (٢٤ : ٩).

٦ – ان معظم البحوث المنشورة اجريت على عينات من الاطفال المنتظمين في الفصول والمعاهد الخاصة، وتم تعميم نتائج هذه البحوث على مجتمع الصم، ولكن هل يمكن اعتبار هذه العينات ممثلة لهذا المجتمع، اليست في الواقع عينات منحازة، فبعض الاطفال الصم قد لا يذهبون الى هذه المعاهد والمدارس، وبعضهم ينضمون اليها لفترات من الوقت قصيرة نسبياً، وفي الدول الغربية، والتي

ننقل عن باحثيها التراث العلمي في هذا المجال، نجد ان الاطفال الذين لا يذهبون الى المعاهد والفصول الخاصة من نوع الاطفال الذين يعتمدون بقدر مرتفع من القدرات العقلية والاستعدادات الاكاديمية او المرونة الاجتماعية او انهم يعيشون في بيئات مفضلة اجتماعية ونفسية، وفي نفس الوقت نجد الاطفال الاقل قدرة والذين يعيشون في بيئات اجتماعية ونفسية من مستوى اقل، والاطفال الذين يعانون من جوانب متعددة من العجز او القصور الى جانب اعاقة السمع، نجدهم مثليين في عينات هذه البحث بدرجة عالية (٨ : ٢٢٣)، بمعنى اخر فان اطفال عينات هذه البحث معاقون وغير عاديين لاسباب وعوامل اخرى غير السمع، فهم اذن اطفال لا يمثلون مجتمع الصم تثليلاً صحيحاً.

٧ - معظم مدارس ومعاهد تعليم الصم من النوع الذي يتطلب الاقامة الداخلية للתלמיד، ومن المعروف ان هذه الاماكن الداخلية لا توفر بيئة مثالية لتنشئة الاطفال ودعایتهم، وعلى الرغم من قلة البحوث المنشورة حول الاثار الكاملة لبقاء هؤلاء الاطفال في المؤسسات الداخلية الا ان الدراسات التي اجريت على اطفال الملاجىء والاصلاحيات وغيرها من مؤسسات الرعاية الداخلية - مثل بحوث جون بولي المشهودة - تشير الى ان درجات اطفال المؤسسات في الاختبارات، ومنها اختبارات الذكاء يكون اقل من تلك التي يحصل عليها اطفال المؤسسات الذين يعيشون مع ذويهم او حتى مع الاسر البديلة وبيوت التبني، وعلى ذلك فيجب علينا مراعاة هذا التغير عند مقاومة نتائج البحث وفحص تناقضاتها خاصة اذا كانت العينات من مدارس داخلية في مقابل المدارس النهارية، حيث يرجع احتفال ان هذه البيئة الداخلية قد لا تكون بصفة عامة من البيئات التي تستثير استعدادات اطفالها، وبالتالي فان قدراتهم لا تستثمر الاستهثار الكافي. ويرتبط هذا العامل ايضاً بمعايير الاختبارات، فهي تفترض في معظم الاحيان ان الافراد الذين سوف تطبق عليهم هذه المعايير في مواقف للحياة تشبه مواقف الحياة للمجموعة التي تم تقيين الاختبار عليها، وعندما لا يكون هذا الافتراض صحيحاً فان معياره يصبح موضع شك كبير.

٨ - يقول الفيلسوف المعاصر برتوناند دسل ان الحيوانات التي تناولها بالدراسة اصحاب نظرية التعلم من الامريكيين تعلمت عن طريق النشاط والمحاولة والخطأ، مما يتفق مع الفلسفة البرجاتية الامريكية، اما تلك التي درسها العلماء الالمان فقد كانت تتنتظر لحظة الاستبصار، مما يتفق مع الفلسفة المثالية الالمانية (٤ : ١٣٣). ولا ندري كيف ستتعلم الحيوانات لو درسها الباحثون العرب؟ نسوق ذلك لطرح البعد الحضاري والفلسفي في بناء الاختبارات وبالتالي ما يتربت على استخدامها من نتائج. ورغم ان علماء النفس الغربيين ادركوا ذلك وانشأوا عدداً من اختبارات الذكاء المتحررة من تأثير العوامل الحضارية، الا ان هذا الرزيع سرعان ما تبين خطأه، فهذه الاختبارات الادائية تسلم بوجود قدرات ومهارات معينة لازمة للنجاح في حل مشكلة الاختبار قد لا تتوافق بنفس الدرجة المطلوبة الا لدى ابناء الحضارة الغربية، هذا من ناحية ومن ناحية

اخرى فان الثقافة اليونانية والتي قامت عليها الثقافة الغربية الحديثة تتحاول الى الجوائب المعرفية دون الوجودانية في الانسان، ومن ثم فهي تؤكد القدرات اللغوية والقدرات التي تعامل مع الرموز العددية والمحردة، وبالتالي فان متطلبات الانجاز الناجع للفرد الذي يعيش في هذه الثقافة تتفق وهذه القدرات، واختبارات القدرات العقلية لابد لها اذن أن تقيس قدرة الفرد في الوظائف التي تؤكد لها ثقافته العامة أو النوعية.

و رغم ان الحضارة الغربية المعاصرة تلقي بظلها وظليلها على مجتمعاتنا العربية، و رغم ان كل اختبارات القدرات العقلية المنشورة في مجتمعاتنا هي ترجمة لاختبارات امريكية او بريطانية مع اجراء التعديلات السيكومترية اللازمة لكي تتناسب مع المجتمع العربي (دون المساس بالاسس الفلسفى او المضارى القائم وراء هذه الاختبارات) و رغم ان الاطار الفكري المرجعي لجل علماء النفس العرب يدور في اطار علم النفس الاوروبى والامريكي، رغم كل ذلك فلا تزال متطلبات الانجاز الناجع للانسان في الثقافة العربية ونوعية القدرات التي تؤكد لها هذه الثقافة ما خصوصياتها التي تميزها عن الثقافة الغربية، وعليه فان الصورة العلمية التي نعرفها من التراث المنشور حول القدرات العقلية لدى الطفل الاصم يجب توخي الحذر عند تعميمها. على اطفالنا الصم في مجتمعاتنا العربية.

### .... بداية جديدة

تؤثر الاعاقة السمعية على القدرات العقلية النوعية اكثر مما تؤثر على القدرة العقلية العامة، هذا هو ما يتفق عليه الان معظم المشتغلين بسيكولوجية الصم، والاختلاف بينهم يدور حول ماهية هذه القدرات التي تتأثر ومقدار هذا التأثير. واذا انطلقنا من نظرية جيلفورد الشهيرة في تصنيف القدرات العقلية نجد خمسة انواع من العمليات العقلية، هي : قدرات الذاكرة، وقدرات التفكير المعرفي، وقدرات التفكير التقديري، وقدرات التفكير التابعى، وقدرات التفكير التقويى.

وبالنسبة لقدرات الذاكرة عند الصم فقد اثبتت البحوث انها تتأثر في بعض انواعها سواء بالارتفاع او الانخفاض. اما قدرات التفكير المعرفي وقدرات التفكير التقديري فانها لا يتاثران بالصم اذا استخدمنا اختبارات غير لفظية، ويظهر الاثر الاكبر للصم على قدرات التفكير التابعى والتفكير التقويى (٢٢) .

ومدى صدق هذه الصورة العامة يعتمد على نوع الاختبارات النفسية المستخدمة في دراسة هذه العمليات العقلية، فالاختبارات التي تتطلب الومزية اللفظية لا بد وان تعكس تأثيرا واضحا للصم على القدرة العقلية المقاسة. ونحن كسامعين وثقافتانا المعاصرة واختباراتنا النفسية تؤكد اهمية السلوك اللفظي في حياتنا العقلية، ومع ذلك فهناك جوانب غير لفظية في كل انواع العمليات العقلية، بل ان فهم سلوك الآخرين وسلوكنا هو في الاساس غير لفظي كما يقول جيلفورد. ان جوهر الخلط في دراسة القدرات العقلية عند الصم هو اعتقاد الباحثين على المنهج الادسسططالي دون

المنهج الجاليلي، فالمنهج الاخير يفسر الظاهرة موضوع البحث في ضوء قوى المجال التي تؤثر وتأثر بها، بسر اغوار الظاهرة والتي ينظر اليها ككل متكامل، ويبحث في داخلها عن التفاعل والدينامية التي تؤدي اليها وتكتسبها خصائصها وصفاتها. اما المنهج الارسططالي فهو على عكس ذلك اذ يفسر الظاهرة بحسبها ومقارنتها الى غيرها من الظواهر، الى الفئة التي تحتويها والجنس الذي تنطوي تحته.

ان ميدان القدرات العقلية عند الصم في حاجة الى بداية جديدة تقوم اولا على دراسات كشفية تعتمد الطريقة الاكلينية في البحث، وتنطلق من اطار نظري محدد – اي كان – عن القدرات العقلية، حتى تتوجه جهود الباحثين نحو المشكلات الاساسية ولا تصبح مجرد خبطات عشوائية تحكم فيها الصدف والمناسبات، مع استخدام اساليب متنوعة في جمع البيانات، خاصة الملاحظة والاستبار الى جانب الاختبارات، والتي يشترط ان تكون غير لفظية وتم اكتشاف مكوناتها العاملية من خلال تقنيتها على الصم، مع مراعاة العوامل الثقافية والحضارية عند اختيار هذه الاختبارات.

وهذا العامل الاخير يلعب دورا هاما يغفل عنه الكثير من الباحثين في الدول العربية عند تقنيتهم لاختبارات الذكاء القراءية، وتورد انتصاري مثلاً لباحث امريكي قام بتطبيق اختبار للذكاء بعد تقنيته على طفل شرقي، ومن فقرات الاختبار فقرة تتضمن صورة لوجه ينقصه الفم، ومطلوب من المفحوص اكتشاف الجزء الناقص في الرسم، واجاب الطفل بان الجزء الناقص هو باقي الجسم. وتعلق انتصاري على ذلك بان هذا الطفل لم يألف في ثقافته اعتبار دسم دأس يعتبر صورة كاملة في ذاتها، ومن ثم فان غياب الجسم اكتر اهمية له من مجرد حذف تفصيل صغير مثل الفم، وتضيف «ان استخدام الصور في حد ذاته قد لا يكون مناسبا للثقافات التي لم تتعود التثليل بالرسم» (١٨ : ٣٤٥).

ان المهد من اقتراح الاعتماد في البداية على المنهج الجاليلي هو اكتشاف طبيعة القدرات العقلية عند الاصم من داخلها اولا، هو محاولة فهم العمليات المعرفية وليس البنية المعرفية، هو الوصول الى اعمق عالم الاصم لمعرفة كيف تمارس القدرات العقلية وظائفها وليس مجرد مقدار وجودها مقارنة بالعاديين في السمع. واذا استطاع هذا المنهج ان يصل الى فروض جديدة محددة فيمكن بعد ذلك التتحقق من صدقها على عينات اكبر من الصم والعاديين. ولعلنا نذكر ان بياجيه في الجانب العقلي وفرويد في الجانب الوجداني قد توصلتا الى بناء صرحهما النظري الشامخ باستخدام المنهج الجاليلي والطريقة الاكلينية وعلى اعداد محدودة من الافراد.

ويود الباحث ان يسجل ظاهرة اثارت انتباذه وهي ان التاريخ يحفظ لنا اسماء العديد من المعاقين الذين اظهروا تقوقا او ابداعا في مجالات متنوعة من النشاط الانساني، ولكن لم يظهر بينهم – في حدود علم الباحث – افرادا من الصم، باستثناء بتهون والذي لا يعد اصلاً حقيقياً، بمعنى ان اصابته بالصم حدثت في اواخر حياته، وبشكل متدرج وبعد ان قدم الكثير من مؤلفاته الموسيقية، فهل هذه الظاهرة علاقة بالاعاقة اللغوية المصاحبة للاعاقة السمعية، ام بنمط حضارتنا المعاصرة.

يثير ذلك قضية العلاقة بين اللغة والفكر والتي اشارت الدراسة اليها من قبل، ولعل دراسة هذه القضية، خاصة عند الصم، واستجلاء طبيعتها ومعرفة المتغيرات المرتبطة بها وأثارها، قد يؤدي الى

مدخل جديد لفهم وتفسير القدرات العقلية عند الصم.

## قائمة المراجع

- ١ - أحد عكاشه. علم النفس الفسيولوجي. الطبعة الرابعة. القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٧.
- ٢ - طلعت منصور، واند الشرقاوي، عادل عز الدين، فادوق ابو عوف. اسس علم النفس العام القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨١.
- ٣ - عثمان لبيب فراج. العوامل المسيبة للاعاقة وبرامج الوقاية في منطقة الخليج. المnama : الحلقة الدراسية لرعاية المعوقين بالدول العربية الخليجية، ١٩٨١.
- ٤ - فؤاد ابو حطب. القدرات العقلية. الطبعة الثانية. القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٤.
- ٥ - فؤاد ابو حطب، وسيد عثمان. التقويم النفسي. الطبعة الثانية. القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٤.
- ٦ - فؤاد البهى السيد. الذكاء. الطبعة الرابعة. القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٧٦.
- ٧ - فتحي السيد عبد الرحيم، وحليم السعيد بشاي. سيكولوجية الاطفال غير العاديين. الجزء الاول، الطبعة الثانية. الكويت : دار القلم، ١٩٨٢.
- ٨ - فتحي السيد عبد الرحيم. سيكولوجية الاطفال غير العاديين. الجزء الثاني، الطبعة الثانية. الكويت : دار القلم، ١٩٨٢.
- ٩ - فتحي السيد عبد الرحيم. قضايا ومشكلات في سيكولوجية الاعاقة ورعاية المعوقين. الكويت : دار القلم، ١٩٨٣.
- ١٠ - لويس كامل مليكه. مقاييس وكسلر - بلفيو لذكاء الراشدين والراهقين. القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٦.
- ١١ - لويس كامل مليكه. علم النفس الاكلينيكي. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.
- ١٢ - محمد عماد الدين اسماعيل. الاطفال مرأة المجتمع : التو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية. الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ١٩٨٦.
- ١٣ - مختار حمزة. سيكولوجية المرضى وذوي العاهاهات. الطبعة الثالثة. القاهرة : مكتبة الحاخامي، ١٩٧٥.
- ١٤ - منديل، أ.، وفرنون، م. انهم ينمون في صمت : الطفل الأصم وأسرته (ترجمة: عادل عز الدين الأشول). القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٦.
- ١٥ - نعم عطية. ذكاء الاطفال من خلال الرسوم. بيروت : دار الطليعة، ١٩٨٢.
- ١٦ - يحيى الرخاوي. الباحث : أدلة البحث وحلقه في دراسة الطفولة والجنون. الإنسان والتطور، ١٩٨٠، ٤، ٢٦ - ٤٤.

17 - Alcock, J.E. Parapsychology; Science or magic? Oxford; Pergamon Press, 1982.

- 18 - Anastasi, A, Psychological testing, 5th ed. London; Collier Macmillan Publishers, 1982.
- 19 - Goldman, L. Tests and counseling; the marriage that Failed. In; James C. Hansen (Ed), Counseling Process and Procedures, New York; Macmillan Publishing co, 1978.
- 20 - Harris, D.B. Goodenough-Harris Drawing Test. New York; Harcourt Brace Jovanovich, 1963.
- 21 - Levine, E.S. The ecology of early deafness. New York; Columbia University Press, 1981.
- 22 - Myklebust, H.M. The Psychology of deafness. 2 ed ed. New York; Grune & stratton, 1964.
- 23 - Repaport, D, Gill, M. & Schafer, R. Diagnostic Psychological testing. New York; International University Press, 1968.
- 24 - Rieber, R.W. & Vetter, H. Theoretical and historical roots of Psycholinguistic research. In; R.W. Rieber (Ed), Psychology of language and thought. New York; Plenum publishing co, 1981.
- 25 - Savage, R.D, Evans, L. & Savagee, J.F. Psychology and Communication in deaf children. Sydney; Crune & Stratton, 1981.
- 26 - Seigel, J. P. The Perceptible and imperceptible; Diderot,s speculation on Language his letters on hte deaf and blind. In; R.W. Rieber (Ed), Psychology of Language and thought. New York; Plenum Publishing Co, 1980.
- 27 - Stam, J.H. Condillac's epistemolinguistic question. In; R.W. Rieber (Ed.), Psychology of language and thought. New York; Plenum Publishing co., 1980.
- 28 - Warren, R.M. Auditory Perception; A new synthesis. New York; Pergamon Press, 1982.
- 29 - Wechsler, D. The measur ment of adult intelligence, 3rd ed. Baltimore; Williams & Wilkins, 1949.



## بحوث ودراسات

### البعد الاجتماعي للأمن في دولة الإمارات العربية المتحدة \*

مريم سلطان أحد لوتاه

أولاً :

#### السكان وال العلاقات الاجتماعية السائدة في مجتمع الامارات قبل اكتشاف النفط

اعتمدت حياة السكان في السابق على عدد من الانشطة الاقتصادية التقليدية كالغوص على اللؤلؤ والتجارة والزراعة وصيد الأسماك وبناء السفن، الا ان الغوص على اللؤلؤ كان النشاط الرئيسي لسكان الامارات في تلك الفترة حيث عمل ما يزيد على ٨٥٪ من سكان الامارات في مهنة الغوص.

\* انطلاقاً من حرص مجلة «شؤون اجتماعية» على تعميم الفائدة فإنها تنشر الفصل الثاني من رسالة الماجستير التي أعدتها الباحثة «مريم سلطان أحد لوتاه» بعنوان «الأبعاد الداخلية للأمن الخليجي العربي مع التطبيق على دولة الإمارات العربية المتحدة» والتي تقدمت بها إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة - وحصلت على درجة امتياز وذلك بتاريخ ٢١/٣/١٩٨٧م.

ولم يكن الغوص مجرد مصدر للدخل وإنما كان غطأ وطريقة للحياة أيضاً حيث أثر هذا الشاطئ في الحياة الاجتماعية ودبّط أهل الخليج – بما فيهم أهل الإمارات – بجموعة من العلاقات الاجتماعية والاعراف والتقاليد التي كان من الصعب عليهم التخلّي عنها أو تغييرها<sup>(١)</sup>.

لقد قامت مهنة الغوص على تقسيم واضح للعمل حيث يمكن التمييز بين اربع فئات من البحارة :

١ - **النوخذة** : البيان وقد يكون النوخذا قائداً للسفينة مالكاً أو متاجراً بها أو عاملًا عليها لحساب الغير.

٢ - **الغواص** : وهو الذي يقع عليه عبء الغوص إلى قاع البحر لجمع الحبار الذي يتواجد فيه اللؤلؤ.

٣ - **السيب** : وهو مساعد الغواص الذي تتحدد مهمته بمراقبة الغواص على ظهر السفينة حتى إذا انتهى الغواص من عمله في القاع قام السيب باجتذابه إلى ظهر السفينة.

٤ - **الرضيف أو الجلاس** : هم الصبيان الذي يقومون على خدمة العاملين على ظهر السفينة، كما يقومون بتشريح الحبار للبحث عن اللؤلؤ فيه.

وكان توقيل عمليات الغوص يتم باحدى طرفيتين : تعرف أحدهما بالخمamis : وهي مشاركة كل من على السفينة في الحصيلة النهائية للعملية على أن يأخذ صاحب السفينة خمس مخصوص الموسم، بينما تعرف الطريقة الثانية السلبية أو الاقتران حيث يأخذ الغواص فيها سلفة نقدية ي匪 بها احتياجات اسرته قبل بدء موسم الغوص على ان يتناقضها الممول – صاحب رأس المال – من حصة هذا الغواص التي لا تزيد عن ٢٠٠ أو ٣٠٠ روبية في افضل الظروف، بينما يصل دخل صاحب رأس المال الى ما يزيد على ١٥٠٠ روبية<sup>(٢)</sup>. وإذا استثنينا النشاط الزراعي لسكان الإمارات لانه لم يكن يحقق للمزارعين ذلك الفائض الذي يمكن ان يكون اساساً في تكوين الملكية ومن ثم يمكن ان يكون اساساً للتمايز الاجتماعي.

وإذا استثنينا التجارة ايضاً باعتبارها تقوم اساساً على وجود رأس المال ومن ثم فان من لا يملك لا يستطيع القيام بالتجارة، وعليه لا يمكن اعتبار النشاط التجاري اساساً للتمايز الاجتماعي في مجتمع الامارات، وان كانت التجارة تعمل على تعميق التمايز الاجتماعي – ان وجد وانه من خلال العرض الموجز لتقسيم العمل في مهنة الغوص والتفاوت الاقتصادي الذي عاشه سكان الخليج وسكان الامارات، وما نشأ عن ذلك من تمايز اجتماعي بين فئة التجار الذين كانت تجارتكم تقوم اساساً على ما يحصلون عليه من مردود الغوص وبين باقي الفئات من يعملون في مهنة الغوص ومن لا يعملون فيها كالمزارعين وصيادي السمك.

هذا التفاوت في الكسب انعكس الى حد ما على العلاقات الاجتماعية في مجتمع الامارات ومجتمعات الخليج بصفة عامة، فبالاضافة الى ما كان يلاقيه الغواص من مخاطر في مهنة الغوص فقد كان يعيش تحت رحمة الممول – صاحب رأس المال – الذي اقرضه قبل رحلة الغوص على ان يسترد هذه السلفة بعد انتهاء موسم الغوص – كما سبقت الاشارة الى ذلك – الا أن الغواص في اغلب الاحيان لم يكن يتمكن من سداد دينه نظراً لضائقة ما يحصل عليه في نهاية كل موسم وبذلك يعيش الغواص طيلة حياته مدينا لصاحب المال أو صاحب السفينة بل وقد يتوفى الغواص قبل ان يتمكن من سداد دينه وبذلك يرث احد ابنائه هذا الدين ويضطر للعمل في مهنة الغوص لسداد دين ابيه، او قد يلتجأ صاحب السفينة الى الزواج من امرأة الغواص كوسيلة لسداد دينه<sup>(٣)</sup>.

و رغم ما كان يعانيه الغواص والسيب وجيع العاملين على ظهر السفينة من مشاق الغوص ومن قلة عائداتها الا ان النوخذ او مول السفينة لم يكن بمنأى – في كثير من الاحيان – عن اخطار هذه المهنة ومشكلاتها، فكثيراً ما يتورط النوخذ في ديون يعجز عن سدادها اذ أن غلة هذه المهنة غير مضمونة، وكثيراً ما كانت تعود سفن الغوص بمحصلة لا يخرج منها المول بأي قدر من الربح الى درجة قد يتعرض معها المول او النوخذ للافلاس، ويتحول من صاحب سفينة الى غواص، وقد كثرت ظاهرة افلاس السفن عندما تدهورت مهنة الغوص في الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن<sup>(٤)</sup>.

و اذا كانت مهنة الغوص هي محور النشاط الاقتصادي كما اتضح ذلك مما تقدم، وان سكان الخليج والامارات كانوا يقومون بالغوص ومن ثم فقد كانوا يعيشون تحت رحمة النوخذ او المول الى جانب ما يلاقونه في هذه المهنة من اخطار، وأن هذه المهنة – مهنة الغوص – قد عملت من ناحية اخرى على ايجاد نوع من التوازن الاجتماعي بين فئة النواخذة وكبار التجار وبين باقي افراد المجتمع من غواصين وصيادين ومزارعين، ويمكن القول بأن هذا التوازن الاجتماعي قد خلق نوعاً من التقسيم الطبقي في مجتمع الامارات فيما قبل النفط باعتبار ان التفاوت في المنزلة هو احد اسس التوازن الطبقي، ويمكن اطلاق تسمية طبقة التجار على فئة كبار التجار والنواخذة باعتبار ان هذه الفئة تقوم بدور اجتماعي مغاير للدور الذي تقوم به باقي فئات المجتمع، وان لها طرازاً للمعيشة وسلوكاً نفسياً واجتماعياً مغايراً لسلوك أبناء الفئات الأخرى «الصيادين والغواصين والمزارعين» وكلها عناصر اساسية في الفروق الطبقة<sup>(٥)</sup>.

ان مجتمع الامارات واحد من المجتمعات التي تتصف البيئة الاجتماعية فيها بالجماعية فهي تقوم على جماعة الاسرة، او جماعة القبيلة التي تضم عدداً من الاسر، وهنا لا يمكن التمييز بين الطبقات الاجتماعية بالمعنى الحديث للكلمة. ففي مجتمع الامارات لم يكن التقسيم الطبقي واضحاً ومحدداً رغم وجود التباين في الملكية. وفي الدور الذي يقوم به الافراد وطبيعة المعيشة<sup>(٦)</sup>. والحالة الوحيدة التي يمكن ملاحظة التباين

الطبقي فيها في مجتمع الامارات هي حالات الزواج. حيث كان الزواج مخصوصاً بين افراد القبيلة الواحدة او من هم في مستواها الاجتماعي وليس المادي، وهنا يفقد التقسيم الطبقي احد معاييره الاساسية حيث لا يعطي العامل المادي دوراً أساسياً في تحديد مستوى الفئات الاجتماعية في مجتمع الامارات. وفيما عدا حالة الزواج لا يمكن ملاحظة هذا التمايز الاجتماعي بين الفئات الاجتماعية. الا ان ذلك لا يعني وجود التمايز الطبقي الذي قام اساساً في مجتمعات الخليج عن طريق القوة، او عن طريق الزواج بين القبائل المتحالفه مع الحكام، وذلك لضمان بقاء تلك التحالفات، كما ان قيام بعض الحكام باعطاء بعض الاراضي الى زعماء القبائل كهبة لضمان استمرار ولائهم لهم مما ادى فيما بعد الى تكوين طبقة مالكة جديدة، هذه الطبقة قامت باستئثار ثروتها في تجارة اللؤلؤ، ثم تكونت النخبة التقليدية في مجتمع الامارات فيها قبل النفط من الحكام وملوك الاراضي وتجار اللؤلؤ ورؤساء القبائل، بينما كون باقي افراد المجتمع من غير ملاك الاراضي من صيادين وغواصين ومزاعدين الطبقة الاجتماعية الثانية، وبقى العبيد في اسفل درجات الهرم الاجتماعي<sup>(٣)</sup>. ورغم ذلك فلم تكن حقائق التقسيم الطبقي مستوعبة لدى سكان الامارات، حيث كانت هناك علاقات قربة تربط بين البعض من سكان الامارات الاصليين الذي ينتمون الى الطبقة الاجتماعية الثانية التي تضم ابناء الصيادين والغواصين والمزاعدين وبين افراد النخبة التقليدية مجتمع الامارات والتي تضم طبقة الحكام وزعماء القبائل وكبار ملاك الاراضي وكبار التجار، هذه العلاقات – علاقة القرابة وكبار ملاك الاراضي وكبار التجار، هذه العلاقات – علاقات القرابة – التي تقوى احياناً على العلاقات التي تربط بين افراد من نفس الطبقة الاجتماعية ومنهم في مثل وضعهم المادي ويزاولون نفس المهنة. مما يفسر غلبة تأثير القرابة وصلة الدم على العوامل الأخرى كالمشاركة في مزاولة نفس المهنة ومستوى العيشة في تحديد العلاقات الاجتماعية<sup>(٤)</sup>.

وهكذا يمكن القول بأن مجتمع الامارات قبل ظهور النفط كان ينقسم الى ثلاث فئات اجتماعية وهي فئة النخبة التقليدية وفئة الصيادين والمزاعدين والغواصين والفئة الثالثة الاخيرة وهي فئة الرقيق او العبيد.

غير أن هذا التمايز الذي يفصل بين افراد النخبة التقليدية وعامة الشعب لم يكن واضحاً لدى افراد المجتمع ذلك لأن من ينتمون الى المجموعة الثانية أميون اساساً بالإضافة الى انشغالهم الدائم بتتأمين متطلبات حياتهم اليومية، ومن ثم كانت هذه الفئة عاجزة عن فهم واقعها بالطريقة التي تمكنها من تغيير هذا الواقع والانتقال الى مستوى افضل من المعيشة. واذا كان افراد المجموعة الثانية والثالثة يشعرون في كثير من الاحيان بالغبن وبالظلم الاجتماعي الا ان هذه المشاعر لم تكن بتلك الحدة التي يمكن اعتبارها تعبيراً عن وجود الصراع الطبقي في مجتمع الامارات<sup>(٥)</sup>.

وما تقدم يتضح ان التمايز الاجتماعي في مجتمع الامارات كان موجوداً، وان أنس التقسيم الطبقي

كانت موجودة الى حد ما، وان كانت ولا تزال غير واضحة. الا ان افراد هذا المجتمع غير قادرين على استيعاب هذا التمايز على انه تمایز طبقي، وان انعدام الوعي الظبي لدى افراد هذا المجتمع هو العامل الأساسي في ابقاء العلاقات الاجتماعية في مجتمع الامارات قائمة على أساس القرابة، وحال دون قيام تعاون كاف بين أبناء الطبقة الاجتماعية المحرومة للمطالبة بحقوقها من أجل تغيير واقعها والانتقال الى مستوى معيشة أفضل.

### ثانياً : البترول والتغيير الاجتماعي في مجتمع الامارات

#### ١ - أثر البترول على السكان من حيث الحجم والتركيب :

لقد كانت ظروف الحياة والبيئة الصحراوية في مجتمع الامارات تتمثل عاماً من عوامل الطرد لسكان هذا المجتمع. حيث كانت ظروف الحياة في مجتمع الامارات في الفترة ما بين الثلاثينيات والستينيات من هذا القرن قاسية جدأً، مما اضطرر ما يزيد عن ١٨٠٠٠ شخص من سكان الامارات للهجرة الى كل من البحرين والكويت وقطر والمملكة العربية السعودية للبحث عن فرصة للعمل والكسب بعد ان تعسرت سبل العيش في بلادهم. الا أن هذا الوضع قد تغير بعد اكتشاف النفط في امارة أبوظبي ثم باقي الامارات.

فيينا بلغ عدد سكان الامارات حسب تعداد عام ١٩٦٨ م ١٨٠١٨٤ نسمة اخذ هذا العدد في الارتفاع بمعدل زيادة سنوية بلغت ٤٪ حيث قدر عدد السكان في عام ١٩٧٢ م حوالي ٣٢٠٠٠٠ نسمة، وترجع هذه الزيادة أساساً الى المиграة الواسعة الى الامارات التي بدأت منذ منتصف السبعينيات وبصفة خاصة الى امارة أبوظبي باعتبارها الامارة التي سبقت باقي الامارات في اكتشاف النفط(٩).

وقد دلت الاحصائيات الرسمية لعام ١٩٦٨ على أن ٥٨٪ من سكان الامارات يعيشون في امارة أبوظبي ودبي وذلك لاكتشاف النفط في امارة أبوظبي ولاعتبار امارة دبي مركزاً للنشاط التجاري. كما بلغت نسبة سكان كل من امارة الشارقة ورأس الخيمة الى اجمالي عدد السكان في الامارات ١٨٪ و ١٣٪ فقط على التوالي، في حين لم يزد تعداد كل من امارة ام القيوين وعجمان والفجيرة — كل منها على حدة — عن عشرة آلاف نسمة.

وبحسب نفس الاحصاء تبين أن ٣٧٪ من مجموع سكان الامارات هم من المهاجرين الذين وفدوا

للعمل في الامارات، وان هذا يعني ادخال الكثير من التغييرات على المرمي السكاني لمجتمع الامارات من حيث السن والجنس باعتبار أن معظم الوافدين إلى الامارات هم من الذكور ومنهم في السن القابلة للعمل. ولما كان ترکز المهاجرين إلى الامارات بصفة أكبر في كل من امارة أبوظبي وامارة دبي فن الطبيعي ان يكون تأثير التركيبة السكانية في هاتين الامارتين من حيث السن والجنس والآثار الاجتماعية الأخرى للوافدين أكثر وضوحاً عنه في باقي الامارات حيث بقيت نسبة الذكور إلى الإناث ونسبة الكبار إلى الصغار متناسبة بين سكان الامارات الأخرى حسب نفس التعداد<sup>(١٠)</sup>.

واذا كانت جميع الاحصائيات التي اجريت حول حجم وتركيبة السكان في مجتمع الامارات تدل على ان التركيب العام للسكان تركيب غير شاب وان هناك اخلالاً في نسبة الذكور الى الإناث حيث ترتفع نسبة الذكور الى حد كبير بينما تنخفض نسبة الإناث مما نجم عن ذلك من المشكلات الاجتماعية<sup>(١١)</sup>. الا انه لا يجوز الأخذ بهذه الاحصائيات دون النظر في العوامل التي أدت الى جعل التركيب العام للسكان تركيباً غير شاب، وأدت الى ارتفاع نسبة الذكور الى نسبة الإناث، والتي من اهمها أن معظم الوافدين الى مجتمع الامارات جاؤوا بغرض العمل ولذا فإن اعمارهم في الغالب تتراوح بين ١٦ - ٤٠ سنة، وأن معظمهم جاء دون اصطحاب اسرته مما انعكس وبالتالي على التركيب العام للسكان وجعله تركيباً غير متوازن من حيث «السن / والجنس» وهذا ما يجعل دراسة الهجرة والعمالة الوافدة الى دولة الامارات امراً في غاية الاهمية باعتبار أن عامل الهجرة الى الامارات هو العامل الاهم من حيث التأثير على حجم وتركيبة السكان في دولة الامارات.

وفيما يلي جدول يوضح تطور عدد السكان « مواطنون / وافدون » في دولة الامارات :

الفترة	السنة	عام ١٩٦٨	عام ١٩٧٥	النسبة	عام ١٩٨٠	النسبة
مواطنون		١١٤٠٣٣	٢٠١٥٤٤	%٣٦١	٢٩٠٥٤٤	%٢٧٩
غير مواطنين		٦٦١٩٣	٣٠٦٣٤٣	%٣٦٧	٧٥١٥٥٥	%٧٧٢١
الجملة		١٨٠٢٢٦	٥٥٧٨٨٧	%١٠٠	١٠٤٢٠٩٩	%١٠٠

المصدر : التعداد العام لسكان الامارات، الادارة المركزية للإحصاء والمتابعة، وزارة التخطيط، أبوظبي.

ولما كانت الدراسة قد تناولت موضوع العمالة الوافدة وأثارها الاجتماعية والثقافية والسياسية في مجتمعات الخليج العربي في الفصل الأول من هذا الباب، وان هناك الكثير من الابحاث والدراسات

الميدانية التي اجريت حول موضوع العمالة في دولة الامارات العربية المتحدة، فان دراسة موضوع العمالة الوافدة الى دولة الامارات العربية المتحدة سوف يركز على ثلاثة قضايا اساسية :

- أ— اسباب الهجرة
- ب— الآثار الاجتماعية للهجرة
- ج— الآثار السياسية للهجرة

### ١— أسباب الهجرة :

كان مجتمع الامارات قبل اكتشاف النفط مجتمعًا تقليدياً في نظامه الاجتماعي والاقتصادي، وفقيراً بمعايير الثروة المادية والمهارات البشرية، وكانت بيئه الامارات خاصة بعد اضمحلال صناعة الغوص على اللؤلؤ بيئه طاردة، مما اضطر سكان الامارات الى السفر للبحث عن اسباب الرزق في الدول المجاورة — كما سبقت الاشارة — ومن خلال هذا المنظور يمكن اعتبار ال碧رون بمثابة عامل محرك او معجل بالتغيير في مجتمع الامارات حيث تغير البناء الاقتصادي لدولة الامارات، واحتلت الصناعات الاستخراجية والنشاطات المرتبطة بال碧رون المقام الاول في الاسهام في الدخل القومي، بينما تدهورت النشاطات الاقتصادية التقليدية كصيد السمك والزراعة بالإضافة الى تدهور صناعة الغوص على اللؤلؤ بعد اكتشاف اللؤلؤ الصناعي. وبدأ البناء الاجتماعي في التغير حيث أخذت الامارات تدخل مرحلة التحضر السريع وبدأ التغير يشمل كل جزء من اجزاء البناء الاجتماعي ودرجات متفاوتة. وقد شهدت دولة الامارات في الفترة ما بين عام «١٩٧٢ - ١٩٨٠» نموا تلقائياً — غير مخطط — تأثر اساساً بعائدات النفط وقيام الاتحاد، وطموحات الحكام في التعجيل بعملية التنمية مما تولد عنه العديد من الاختلالات التنموية لعل من اهمها اعتقاد جهود التنمية بشكل كلي على اليد العاملة الوافدة مما كان له الاثر الكبير في تغيير ملامح المرم السكاني لدولة الامارات، فضلاً عن تأثيراته السلبية على جميع اوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية<sup>(١٢)</sup>.

ويرغم هذه السلبيات ظاهرة العمالة الا ان ظاهرة استقدام العمالة الاجنبية والآسيوية بصفة خاصة ظاهرة مستمرة وذلك لأن فرص العمل قد ضاقت بهؤلاء العمال الآسيويين في موطنهم الاصلي، وهم يبحثون عن فرص العمل في الخارج وتحت اي ظروف، هذا بالإضافة الى كون رخص اليد العاملة الآسيوية «غير العربية» يعتبر عاملًا مشجعاً للقطاع الخاص وللقطاع الحكومي — الى حد ما — في دولة الامارات على استقدام هذه العمالة بدلاً من العمالة العربية التي لن ترضى في أغلب الاحيان بهذا المستوى من الدخل ومن المعيشة التي يرضى بها العمال غير العرب.

هذا الى جانب كون المشاكل التي يواجهها العمال الاجانب القادمين للعمل في دولة الامارات

والتي تتمثل في كيفية الحصول على عقد عمل واستخلاص الاوراق والوثائق الرسمية ومشكلة توفير المال اللازم للهجرة ومشكلات اخرى اقل اهمية كرغبتهم في اصطحاب اسرهم، وتعليم ابنائهم وتوفير الرعاية الصحية لهم، الا ان هذه المشكلات ليست بتلك الحدة التي تحول دون قدوم هؤلاء العمال الى دولة الامارات (١٣).

## ب – الآثار الاجتماعية للهجرة في مجتمع الامارات :

بالرغم من ان بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع قد حاولت تضخيم هذه الآثار خاصة فيما يتعلق بتأثير العمالة الوافدة على قيم الأفراد ومعتقداتهم الا ان تأثير العمالة الوافدة على المواطنين في دولة الامارات لم يكن بتلك الحدة وذلك لأن احتكاك المواطن بالوافدين لا يتم الا ضمن اضيق الحدود «نطاق العمل» ونتيجة لذلك يق تأثر المواطن بالوافد محدوداً اذا ما قومن بتأثير العمالة الوافدة على حجم وتركيبة السكان في مجتمع الامارات، وان كان ذلك لا يعني شيوخ بعض اغاط السلوك الغريبة على هذا المجتمع نتيجة وجود هذه الاعداد الكبيرة من العمالة غير العربية، الى جانب شيوخ ارتکاب الجريمة في مجتمع الامارات من قبل بعض الوافدين الى الامارات والناتجة اساساً عن بقاء اعداد كبيرة من العمال الوافدين الى الامارات دون اصطحاب اسرهم ولفتره طويلة الامر الذي ولد لدى الكثيرين منهم شعوراً بالحرمان بما في ذلك الشعور بالحرمان العاطفي الذي دفع بالبعض منهم الى ارتکاب عدد من الجرائم، هذا بالإضافة الى الضغوط النفسية والمادية التي يعني منها هؤلاء العمال والناتجة عن التفرقة في المعاملة وفي الاجر بين المواطن والوافد سواء من قبل الجهات الحكومية او من قبل المواطنين وتعاملهم مع الوافدين الامر الذي ادى الى خلق ضغوط نفسية كبيرة لدى الوافدين وحال دون قيام علاقات تعاونية بين مجتمع الوافدين والمواطنين في دولة الامارات (١٤).

الا ان الوافدين غير العرب الى دولة الامارات قد يستطيعون تحمل هذه الضغوط النفسية، وهذه التفرقة في المعاملة والتعالي من قبل المواطنين في تعاملهم مع الوافدين نظراً لأن العامل الآسيوي جاء اساساً من اجل جمع ما تيسر له من اجر وانه لم يكن يطمع في اقامة علاقات اجتماعية مع مواطني دولة الامارات او اي دولة خليجية يفديها بخلاف العامل العربي الذي تربطه مع مواطني دولة الامارات علاقات الدين واللغة والتاريخ والمصير المشترك، والذي لم يتوقع ان يجد هذه التفرقة في المعاملة وانعدام الصلة بينه وبين المواطن رغم كل العلاقات التي تربط بينهما (١٥). هذا الى جانب عدم رضا العمال العرب في دولة الامارات عن مستوى المعيشة المتدني الذي يرضى به العامل غير العربي نظراً لأن العامل العربي جاء للعمل وللحصول على المال ولخدمة هذا البلد الذي يعمل فيه في آن واحد وانه كان بالامكان تنمية هذا الشعور لديه لو انه لم يلاق هذه التفرقة الكبيرة في التعامل بينه وبين المواطن والتي دفعت بكثير من الوافدين العرب الى محاولة تجميع اكبر قدر ممكن من المال في اقصر مدة زمنية للعودة الى

بلادهم في اسرع وقت، وقتلت لدى الكثيرين منهم أي رغبة في العمل والانتاج والمساهمة في تنمية البلد الذي يعملون فيه.

هذا الى جانب كون التفرقة في معاملة الوافد والمواطن من حيث الشروط الواجب توافرها في كل منها للعمل في اي وظيفة بحيث يوضع المواطن والوافد في نفس الدرجة الوظيفية بالرغم من كون الوافد يحمل مؤهلا علمياً وشهادات خبرة تفوق تلك التي يحملها المواطن، هذا الى جانب اعطاء المواطن اجرأ يفوق بكثير الاجر الذي يحصل عليه الوافد رغم قيامها بنفس العمل، هذه التفرقة انعكست سلبياً على انتاجية المواطن والوافد على حد سواء في دولة الامارات حيث انعدمت العلاقة بين مستوى الانتاجية والأجر الذي يتلقاه كل منها وقتلت لدى كلها اي رغبة في العمل وبذل مزيد من الجهد من اجل انتاج افضل<sup>(١٦)</sup>.

### ج – الآثار السياسية للعماله الوافده في دولة الامارات

فيما يتعلق بالآثار السياسية للوافدين في دولة الامارات والتي يمكن ملاحظتها من خلال معرفة مدى تمعن الوافدين الى دولة الامارات بحقوقهم السياسية، وهل يقوم هؤلاء الوافدون أو أي جهة تمثلهم بأي عمل من شأنه الضغط على حكومة الامارات في حال اتخاذها لاي قرار يضر مصالحهم فيها ؟ وهل هؤلاء الوافدين اي دور سياسي تحديدي على مواطني دولة الامارات ؟ في الحقيقة ان هناك اندية لدى اغلب الجاليات الاجنبية في دولة الامارات تتيح لابناء هذه الجاليات الفرصة للقاء وتبادل وجهات النظر حول القضايا التي تهمهم، وان تجتمع ابناء اي جالية في هذه الاندية او في اي تنظيم آخر – قد يكون غير معروف لدى حكومة دولة الامارات – يقوى من تأثير ابناء هذه الجالية على الحكومة الاتحادية، هذا الى جانب كون حكومة الاتحاد تراعي – بدرجة او بأخرى – ردود فعل ابناء هذه الجاليات الاجنبية عند اتخاذها لاي اجراء يمكن ان يضر بصالحها كما اهنا تراعي ايضا ردود فعل الحكومات الموفدة لهذه العمالة<sup>(١٧)</sup>.

اما فيما يتعلق بوجود الوافدين في دولة الامارات ومدى تأثيره على اشارة الاهتمام السياسي لدى المواطن فانه من الطبيعي ان يؤدي وجود هذه الاعداد الكبيرة من الوافدين لفترة زمنية طويلة – نسبياً – الى اشارة اهتمام المواطنين بالحياة السياسية في مجتمعهم نظراً لما خلقه وجود الوافدين وبصفة اساسية «الوافدون العرب» من تمية الوعي السياسي لدى مواطني دولة الامارات، بالإضافة الى ما خلقه وجود هذه الاعداد الكبيرة من الوافدين في المجتمع الامارات من قلق لدى المواطنين على مستقبلهم وما يمكن ان يحصل عليه المواطنين في دولة الامارات – بعد ان كانوا يتحولون الى اقلية – فيما لو استمرت الزيادة في اعداد هذه العمالة الوافدة الى دولة الامارات، هذا بالإضافة الى دور وسائل

الاعلام في ابراز مشكلة العمالة الوافدة وما ادى اليه ذلك من زيادة قلق المواطنين في دولة الامارات بخصوص هذا الموضوع، الى جانب كونه قد دفع بالمواطنين الى الاهتمام بمحريات الاحداث في بلدتهم بما في ذلك الاهتمام بالحياة السياسية، وزاد من اهتمامهم بالسياسة الخارجية لدولة الامارات وعلاقتها بالدول الموفدة لهذه العمالة، بل وانه قد دفع بالبعض الى الاهتمام بمحريات الاحداث السياسية الداخلية لهذه الدول مما كان له اكبر الاثر في ادقاء درجة اهتمام المواطنين في دولة الامارات بالحياة السياسية في الامارات وعلاقتها بالدول الأخرى<sup>(١٨)</sup>.

### ٢ – البترول والتعليم في مجتمع الامارات

نظرأً لظروف الحياة الصعبة التي عاشها مجتمع الامارات قبل ظهور النفط والتي حالت دون تقدمه فان التعليم لم يحظ باهتمام سكان المنطقة حيث كان العمل من اجل كسب الرزق هو الشاغل الاول والوحيد لم الامر الذي ادى الى تفشي الامية بين سكان الامارات وسكان دول الخليج بصفة عامة. اذ لم تعرف الامارات التعليم النظامي الا منذ فترة بسيطة وكان نظام «الكتابيب» هو النمط المعروف للتعليم في الامارات. وطبعي ان تقوم دولة الامارات بعد اكتشاف النفط فيها بتحسين ظروف معيشة الأفراد وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية من اجل توفير سبل العيش الكريم لهم<sup>(١٩)</sup>.

ولكن بعد مرور ما يقارب خمسة عشر عاماً على قيام الاتحاد وعشرين عاماً تقريباً على اكتشاف النفط في الامارات ومن ثم توفير الامكانيات المادية لدى حكومة الاتحاد ما الذي حققه هذه الثروة المادية وما هي انجازات الاتحاد في مجال التعليم؟.

في الحقيقة انه بالرغم من جهود الحكومة الاتحادية في سبيل نشر التعليم وبذل الكثير من الجهد والمال من اجل تحقيق هذا الهدف، وبالرغم من وجود اعداد كبيرة من المتعلمين من ابناء هذه الدولة الا ان ذلك لا يكفي للحكم على محاولات نشر التعليم في دولة الامارات بالنجاح، اذ ان هناك العديد من التحفظات على السياسة التعليمية في دولة الامارات والتي حالت دون ان يتحقق التعليم الفرض المرجو منه، ولعل اهم هذه التحفظات :

- ١ – لا يوجد ربط بين سياسة التعليم واحتياجات عملية التنمية، فالتعليم الفني والصناعي لم يلق حتى الان الاهتمام الكافي، ولم يجد الاقبال عليه رغم حاجة دولة الامارات لمثل هذه التخصصات، وقد يكون ذلك راجعاً في احد جوانبه الى ان اختيار التخصصات العلمية متترك لرغبة الطالب وما يحصل عليه من تقديرات.
- ٢ – لا توجد حتى الان سياسة تعليمية تحاول التوفيق بين توزيع هذه التخصصات على المجالات الامثلية بالنسبة لعملية التنمية.

هذا الى جانب كون التعليم في دولة الامارات لم يستطع حتى الان ان يغير الكثير في قيم ابناء هذا المجتمع خاصة فيما يتعلق بضرورة عمل المرأة، واهمية مزاولة الاعمال والحرف اليدوية، اذ لا زال ابناء الامارات يحصرون عمل المرأة في مجال التعليم والطب – الى حد ما – ولا زال هناك تعامل واستهجان من قبل مواطني دولة الامارات لممارسة بعض المهن كالحدادة والتجارة وبعض الاعمال اليدوية الأخرى، الامر الذي ادى بمجتمع الامارات الى ان يكون مجتمعًا استهلاكيًا بالدرجة الأولى وغير قادر على الانتاج ومعتمدًا اعتماداً كلياً على اليد العاملة الوافدة، في حين ان مجتمع الامارات قبل اكتشاف النفط كان مجتمعًا انتاجياً تشارك فيه كل من المرأة والرجل مشاركة فعالة في سبيل العيش والتغلب على ظروف الحياة الصعبة<sup>(٢٠)</sup>. مما يعني ان الرخاء المادي لهذا المجتمع كان السبب الأول في تعطيل قوى هذا المجتمع الانتاجية بالنسبة للمرأة والرجل وكان له أكبر الأثر على انتشار بعض القيم السلبية كانعدام الاحساس بال الحاجة للعمل، والتزلف عن مزاولة بعض المهن، وانعدام العلاقة بين ما يبذله الفرد من جهد وما يحصل عليه من اجر، وان انتشار التعليم لم يعمل على القضاء على هذه القيم الخاطئة ولم يعمل على استعادة طاقات المجتمع المعطلة.

### ٣ - واقع الثقافة والشباب في دولة الامارات :

لقد اختللت التعريفات التي اعطيت لمفهوم «الثقافة» حيث كان البعض منها شاملاً بحث يرى اصحابه ان الثقافة هي كل ما ينتجه المجتمع والانسان من نتاج فكري ومادي علمي وترفيهي، وكان البعض منها ضيقاً بحيث قصر مفهوم الثقافة على النشاط الفكري، الا ان مناقشة واقع الثقافة والشباب في دولة الامارات ستنم من خلال الأخذ بالمدلول الشامل لمفهوم الثقافة وهو «جوهر المجتمع» اي كل ما ينتجه من نتاج مادي ومعنوي، الى جانب تأثير المجتمع بنتاج المجتمعات الأخرى وتأثيره فيها، ومن ثم فان الثقافة تعني السمات الاساسية الروحية والمادية والفكرية التي يتميز بها مجتمع ما او جماعة معينة عن غيرها من الجماعات، وتكتسب نتائجها خصوصيتها وتقرده<sup>(٢١)</sup>.

وفي ضوء ما سبق فان ابناء الامارات هم امتداد لواقع عربي واسلامي، ومن ثم فهم يحملون السمات الروحية والفكرية التي حملها اجدادهم العرب المسلمين، وثقافتهم بذلك جزء من ثقافة الوطن العربي العربية الاسلامية، هذا الى جانب تأثر ابناء الامارات وابناء الخليج بثقافة الدول المجاورة المطلة على الخليج كاليوان ذات الثقافة الفارسية الاسلامية والثقافة الهندية «غير العربية وغير الاسلامية» ولذلك فان السمات الروحية والعاطفية والفكرية «الثقافية» لابناء الامارات هي السمات العربية الاسلامية المختلطة ببعض السمات من الثقافة الايرانية وثقافة شبه القارة الهندية والاساحل الافريقية، وذلك لما يربط ابناء الامارات وابناء هذه البلاد من علاقات تجارية منذ زمن طويل، كما كانت هذه البلاد مستقرًا لمحجرات عربية من الخليج، وكان الخليج في احياناً كثيرة مستقرًا لمحجرات عديدة من هذه البلاد الامر الذي اسهم في النهاية في تشكيل هذا النتاج الثقافي لابناء الخليج وابناء الامارات<sup>(٢٢)</sup>.

ولما كانت ثقافة اي مجتمع هي امتداد لثقافته عبر التاريخ، ولما ينبع ان يغير ثقافته، ومن ثم فان ثقافة مجتمع الامارات اليوم هي ثقافة هذا المجتمع منذ ان وجد المجتمع الانساني على هذه الأرض وحتى اليوم، ولذلك لا يمكن الفصل بين ثقافة مجتمع الامارات قبل اكتشاف النفط وثقافته بعد اكتشاف النفط. واذا كان النفط قد اسهم في احداث بعض التغيرات الاقتصادية والاجتماعية الا انه لم تكن بتلك الحدة التي تتبع امكانية الفصل بين هاتين المرحلتين «ما قبل وما بعد» اكتشاف النفط وبصفة خاصة فيما يتعلق بالنتاج الثقافي، مع ملاحظة ان النتاج الفكري لكل مرحلة لابد وان يكون اكثراً تعبيراً عن القضايا الاساسية للانسان وللمجتمع في تلك المرحلة. فبينما كانت الاناشيد الشعرية – وهي احدى الوسائل التي يعبر بها الانسان عن همومه وقضاياها – قد تركزت في معظمها في الفترة التي سبقت اكتشاف النفط في الامارات حول قسوة الحياة وجذب البيئة الطبيعية ومعاناة سكان المنطقة من السفر الى البلاد المجاورة للبحث عن الرزق، نجد انه قد ظهرت للانسان في دولة الامارات هموم أخرى كرغبتة في التخلص من الاستعمار وتأييده لنضال الشعب الفلسطيني ضد العدو الصهيوني، وكذلك مناصرته وتأييده للاتجاه القومي العربي<sup>(٢٣)</sup>. هذا الى جانب ما قاله بعض شعراء الامارات من ايات شعرية يعبرون فيها عن رغبتهم في ان يكون اتحاد الامارات اتحاداً قوياً ودائماً. ومن ذلك يتضح ان ثقافة مجتمع الامارات اما هي ثقافة عربية واسلامية وتعبير عن هموم الانسان العربي في كفاحه ضد الاستعمار، وهموم الانسان في الخليج في صراعه مع الحياة.

وفيما يتعلق بالشباب في دولة الامارات فان منطقة الخليج بما فيها دولة الامارات قد شهدت تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية. ومن هذه التحولات ما كان سريعاً وفي فترة زمنية قصيرة وذلك نتيجة للتغيرات كبيرة لعل من اهمها اكتشاف النفط وما صاحب ذلك من آثار مباشرة وجانبية عديدة، يضاف الى ذلك موقع دولة الامارات ومنطقة الخليج بصفة عامة والتأثيرات المختلفة على هذه المنطقة نظراً لكونها تقع في قلب الأحداث الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية حيث لم تعد منطقة الخليج منطقة ثانوية وبعيدة عن الصراع الدولي، هذه الوضعية اثرت على النظم السياسية في المنطقة وعلى مؤسساتها الاجتماعية القائمة، وعلى جميع القطاعات والفئات الاجتماعية فيها، ونظرها لكون مجتمع الامارات مجتمعاً شاباً حيث تراوحت نسبة من هم اقل من ٢٥ عاماً ما بين ٤٥٪، ٥٠٪ من اجمالي عدد السكان في دولة الامارات فان قطاع الشباب يعد من اكبر القطاعات تأثيراً وتأثراً بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تشهدها الدولة.

هذه النسبة للشباب قد تعني ان هذا المجتمع قادر على بناء نفسه وعلى التقدم اكثر من اي مجتمع آخر نظراً لكون الشباب هم قوة المجتمع الحقيقة، وهم أداة المحدثة والتغيير. الا ان الشباب في مجتمع الامارات يعني من مشكلة تحول دون ان يقوم بدوره المرجو منه وهي مشكلة «الاغتراب» فالشباب هم اكبر الفئات الاجتماعية انفتاحاً وتأثراً بما يجري في العالم الخارجي ومن ثم فان الشباب يحمل الكثير

من الافكار الجديدة والخيالية في احياناً كثيرة. غير ان الواقع والامكانيات لا تسمح بتحقيق بعض هذه الطموحات ومع ذلك يظل الشباب الطموح يسعى الى تحقيق الصعب او المتعدد تحقيقه احياناً، وتتصبح الفجوة بين طموحات الشباب ومعطيات واقعهم هي سبب اذمتهم، حيث يشعر الشباب بالعجز عن تقبل معطيات الواقع والتفاعل معه، وعندما ينشأ الصراع بين الشباب والمجتمع بمختلف مؤسساته بدءاً بالاسرة والمدرسة وانتهاء بالتردد على قوانين المجتمع والنظام السياسي الذي يتضمن له (٢٤). وبالطبع فان المجتمع من خلال مؤسساته الرسمية وغير الرسمية يملأ من الوسائل ما يمكن بها مواجهة تردد الشباب واعادتهم الى سبل الحياة الاجتماعية المتعارف عليها والمقبولة اجتماعياً غير ان هذه الوسائل احياناً تقف عاجزة امام ابعاد الشباب عنها تعارف عليه اجدادهم واباؤهم منذ فترة طويلة باعتبار ان لكل عصر قوانينه ونظمها وظروفه الخاصة ومن هنا تبدأ ازمة الشباب الرافض للقدم المتعارف عليه والعاجز عن تقديم الجديد. ومع حدوث التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في دولة الامارات بدأ الشباب يتعامل مع القديم بطرق مختلفة تتراوح بين التردد واللامبالاة او القبول الظاهري. وبالتالي ظهرت بذور الاغتراب في سلوك وقيم وعلاقات الشباب بباقي الفئات الاجتماعية في المجتمع وبالمؤسسات الرسمية وغير الرسمية فيه، وحول ما يعنيه مفهوم الاغتراب الثقافي فان اغلب المدارس والنظريات حول هذا الموضوع قد اتفقت – رغم اختلافها – على فكرة اساسية وهي ان الاغتراب يعني العجز وعدم القدرة على الانقاء او المشاركة فكلما زادت درجة الاغتراب لدى الفرد كلما قل انتهاؤه ومشاركته وكلما زاد الشعور بالانفاء انعدم او قل الصراع والتناقض بين الانسان والنظم الاجتماعية والثقافية السائدة، بحيث يشعر الانسان انه جزء من هذه البني الاجتماعية ومن ثم لا يتعامل معها كجزء منفصل عنه ومضاد له.

ومن هنا يمكن معرفة الخطط الذي يهدى من مجتمع الامارات نتيجة ما يعني منه معظم الشباب – وهم اكثربنات المجتمع عدداً وتأثيراً – من مشكلة الاغتراب واي دور يمكن ان يقوم به المفترض اجتماعياً وثقافياً عن مجتمعه بكافة مؤسساته والرافض لواقعه وما يدور فيه من محりات وغير قادر على التكيف معه والمشاركة في بنائه؟ وأي مستقبل ينتظر هذا المجتمع واي نوع من الامن الاجتماعي يمكن ان يتحقق فيه بعد ان ضعفت الروابط الاجتماعية بين جميع فئاته : بين المواطنين والوافدين من جهة وبين مجتمع المواطنين وما يسوده من صراع الاجيال «جيـل الكـبار باـفـكارـه التقـليـدية وـتزـمـته للـقـديـم ضدـ كـلـ جـديـدـ وجـيلـ الشـبابـ الطـموـحـ الرـافـضـ لـوـاقـعـهـ وـالـرـاغـبـ فيـ مـسـتـقـبـلـ أـفـضلـ» هذا التفكك وعدم التماسك الاجتماعي اثنا يتم في جو لا يتيح فرصه للمشاركة وللتعبير عن رأي كل فئة او جماعة مما يجعل كل جماعة من هذه الجماعات المتصارعة تعيش في شبه عزلة اجتماعية قد تتصل بالبعض الى الشعور باللامبالاة، وعدم الاكتئان لما يجري حولها من احداث هذا الشعور الذي من الممكن ان يتطور الى درجة يفقد معها الانسان في هذا المجتمع شعوره بالولاء لمجتمعه والحرص على كل ما يحقق منه (٢٥).

فضلاً عن بروز ظاهرة اجتماعية خطيرة تعمل على تعطيل طاقة الشباب بشكل كلي وحرمان المجتمع

ما تمتلكه هذه الفئة من قدرة على المشاركة والاسهام في بناء المجتمع الا وهي ظاهرة «الادمان» سواء بتعاطي المخدرات او الخمور. واذا كانت ظاهرة الادمان هي ظاهرة منتشرة في كثير من المجتمعات الا انها في المجتمع الامارات تعد اكثرا خطورة وتأثيرا على هذا المجتمع الذي يعاني اساساً من ضائقة سكانية وقلة في اليد العاملة المحلية المدربة، وندرة في الخبرة العلمية، وتعطيل لقوى المرأة وامكانية مساهمتها في العملية الانتاجية لهذا المجتمع، ومن ثم فهو بحاجة لعمل وطاقة كل فرد فيه. هذا الى جانب ما قد يؤدي اليه الادمان من جرائم اجتماعية خطيرة تهدد امن وسلامة الأفراد في المجتمع<sup>(٢٦)</sup>.

### ٤ - التطورات التي طرأت على التركيبة الطبقية لمجتمع الامارات بعد اكتشاف النفط :

لقد ساعد الوضع القائم قبل اكتشاف النفط على التفاوض «تجار اللؤلؤ ورؤساء القبائل» حول حكم الامارات نظراً لعدم اكتفائهم ذاتياً من الناحية المادية، الأمر الذي جعلهم في حاجة دائمة لدعم تجار اللؤلؤ الى جانب حاجتهم الى تأييد زعماء القبائل لهم. وبذلك ساهم الوضع الاقتصادي السائد قبل اكتشاف النفط في تشكيل «النخبة التقليدية» المكونة من تحالف الحكام مع تجار اللؤلؤ وزعماء القبائل.

لا ان اكتشاف النفط بعد ذلك ادى الى استقلال الحاكم مادياً عن فئة التجار اذ لم يعد بحاجة الى دعمهم المادي له، كما لم يعد بحاجة الى تأييد زعماء القبائل له – بتلك الدرجة التي كانت من قبل.

غير ان عوائد النفط وحاجة البلاد لاقامة الكثير من المشروعات أدى الى ثراء بعض التجار الذين استطاعوا ان يستغلوا ظروف الوفرة المالية للدولة، والقيام ببعض المشروعات الاقتصادية الامانة التي حققوا من خلالها ارباحاً كبيرة واصبح كبار التجار والشيخوخ يشكلون مرة أخرى اعضاء النخبة الجديدة التي تملك زمام الامور في الدولة. بالإضافة الى اثر الثروة النفطية التي ساعدت على القيام ببرامج التنمية والتحديث لهذه الدولة وكان من نتائجها ان ظهرت طبقة متوسطة من الموظفين وصفار التجار والفئة المتعلمة من ابناء الطبقة الفقيرة التي استطاعت ان تنتقل – بفضل التعليم – لتكون جزءاً من الطبقة الوسطى. والجدير بالذكر ان الطبقة الوسطى هي الطبقة العريضة في مجتمع الامارات والتي ينتمي اليها معظم الموظفين، وبين صفوف ابناء هذه الطبقة هناك من استفاد من منجزات الدولة الاتحادية الى حد كبير، ومن يسعى الى ابقاء الوضاع على ما هي عليه باعتبار ان الواقع الذي يعيشه ابناء الامارات اليوم هو افضل بكثير من واقع هذا المجتمع قبل اكتشاف النفط وقيام الاتحاد. ولكن هناك ايضاً من ينتمي الى هذه الطبقة المتوسطة من الفتاة المتعلمة والمثقفة وغير الراضية عن هذا الواقع لا لأن الماضي كان أفضل ولكن لكون طموحاتها عند قيام الاتحاد كانت أكبر بكثير مما استطاع الاتحاد أن يحقق، ولأن افراد هذه الفئة واثقون بأنه لو كان هناك تخطيط شامل وسلمي لهذه الدولة لكان الاخذات اكبر ولكن مردود النفط ومحدود الاتحاد افضل بكثير مما هو عليه اليوم<sup>(٢٧)</sup>.

وتأتي الى اسفل هذه الطبقة الفقيرة وهي مشكلة في الغالب من ابناء المواطنین «الذین کانو یعملون فی الصید والغوص والزراعة» والذین لم یتحقق لهم البترون ولا الاتحاد اي شيء والذین لم یستطعوا الاستفادة من البترون وقيام الاتحاد على اکثر من الحصول على بيت شعی واعانة اجتماعية على افضل تقدیز، ولا يزال ابناء هذه الفئة یعانون من تدنی مستوى المعيشة ومن الفقر في ظل الدولة النفطیة التي وصل متوسط دخل الفرد فيها الى اعلى مستوى للدخل في العالم، وفي ظل ظروف التضخم وارتفاع الاسعار حيث لا یتمكن ابناء هذه الفئة من الحصول على كثیر من احتجاجاتهم الاساسیة. ویبدو ان ابناء هذه الفئة لا یشعرون بهذه الفروق الاجتماعية الى الحد الذي يجعلهم یشعرون بوجود تفایز طبی في المجتمع وذلك یرجع الى انعدام الوعي بين افراد هذه الطبقة بصفة عامة نظراً لان معظمهم غير متعلمين الى جانب انعدام الوعي الطبی لدى افراد مجتمع الامارات بصفة عامة<sup>(۲۸)</sup>.

### ٥ - واقع المرأة في دولة الامارات :

ليس من السهل اعطاء صورة عامة عن واقع المرأة في الامارات وذلك لكون مجتمع الامارات قد تعرض لكثير من المتغيرات – كما سبقت الاشارة – والتي لم يكن تأثيرها بنفس الدرجة بنفس الدرجة في جميع الامارات او في جميع المناطق في الدولة، ومن ثم فان واقع المرأة في اي مدينة من مدن الدولة سوف یختلف عن واقع المرأة في الباڈية. ومع ذلك يمكن القول بأن التغيرات التي شهدتها مجتمع الامارات قد اثرت على جميع جوانب الحياة فيه، حيث تحول المجتمع من حالة الاكتفاء الذاتي رغم قسوة البيئة في الماضي الى مجتمع يقوم على الاستيراد، وبالتالي فقد كل من الرجل والمرأة دوره في الانتاج وفي العمل والمشاركة في الحياة العامة، وأخذت الحرف الانتاجية في الانحسار بينما تحول المجتمع الى مجتمع استهلاكي من الدرجة الأولى.

وهكذا فقدت المرأة في الامارات دورها في الانتاج، ورغم حصول المرأة في الامارات على اعلى الشهادات العلمية الا أنه لا يجب النظر الى التعليم في حد ذاته على انه يعبر عن واقع افضل للمرأة اذ لم یستطع التعليم ان یغير من نظر المجتمع لقيم العمل والانتاج<sup>(۲۹)</sup> – كما سبقت الاشارة – هذا بالإضافة الى ان %٩٠ من النساء العاملات في الامارات یعملن في مهنة التعليم، وبالرغم من اهمية وقداسة هذه المهنة الا أنها تتطلب قدرات خاصة لا تتوافر في الجميع، خاصة وان مهنة التعليم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية التنشئة الاجتماعية والثقافية والسياسية لاجيال المستقبل. هذا الى جانب ان هناك مجالات أخرى بحاجة الى مساعدة المرأة فيها، بالإضافة الى التراجع الحاصل في دور المرأة التقليدي «دورها في المنزل وفي تربية الاطفال» حيث یكان لا يخلو بیت في الامارات من وجود المستخدمين والمربيات سواء بالنسبة للامهات العاملات او غير العاملات.

اما فيما یختص بوسائل الاعلام ودورها في تنمية واقع المرأة فقد كان لهذه الوسائل الاعلامية دور سلی في هذا المجال اذ لم تعمل وسائل الاعلام في الامارات على تنمية قدرات المرأة واطلاق طاقاتها من

أجل المساهمة في بناء مجتمعها، وكل ما ينشر عن المرأة وقضاياها إنما ينشر بطريقة تكرس هذا الواقع بما فيه من سلبيات، هذا إلى جانب كون الصحافة النسائية في الإمارات لا تعمل على اعطاء صورة صادقة عن المرأة وهومها وقضاياها، وإنما تحاول أن تظهرها دائمًا على أنها امرأة متربة لا تعنى بأي شيء سوى زينتها (٣٠).

ومن خلال مناقشة أهم الجوانب الاجتماعية لمجتمع الخليج ومجتمع الإمارات يمكن القول بأن البنية الاجتماعية لهذه المجتمعات بنية تتعج بالكثير من المشكلات والتي من أهمها مشكلة العمالة الوافدة وما طرحته هذه المشكلة من آثار اجتماعية وسياسية تمثل جانباً هاماً من جوانب الضعف في بنية هذه المجتمعات، إذ أن هذه البنية كما اتضحت مما تقدم مهددة بالانهيار بسبب ضخامة عدد الوافدين فيها وتحول المواطنين فيها إلى أقليّة، وما يمكن أن يقود إليه هذا الوضع في المستقبل، هذا إلى جانب مشكلة عدم التجانس بين مجتمع المواطنين ومجتمع الوافدين من جهة ومجتمع الوافدين «عرب / وغير عرب» من جهة أخرى، وما يمكن أن يشيره ذلك من مشكلات وصراعات عرقية. ومن ناحية أخرى هل يمكن التساؤل بعد التعرض لدراسة واقع الثقافة والشباب وواقع التعليم والمرأة، وعمليات الحراك الاجتماعي من خلال الاشارة الموجودة للتغيرات التي طرأت على التركيبة الطبقية لمجتمع الإمارات. أين مجتمع الخليج بصفة عامة ومجتمع الإمارات من سياسات التحديث والتنمية التي تتبعها هذه الدول؟

والحقيقة أن جميع برامج وخطط التنمية التي تتبعها دول الخليج بما في ذلك برامج التنمية الاجتماعية لم تستطع أن تغير من سمة الجمود الاجتماعي التي تميزت بها هذه المجتمعات إذ لازالت النظرة السلبية للعمل اليدوي ولعمل المرأة باقية رغم حاجة هذه المجتمعات لليد العاملة مما يعني الاستمرار في تعطيل قوى المجتمع البشرية ومنعها من المشاركة والاسهام في بناء المجتمع، بالإضافة إلى كون هذه النظرة السلبية للعمل اليدوي ومساهمة المرأة الفعلية في العمل والانتاج إنما تعني مزيداً من اعتناد هذه المجتمعات على العمالة الوافدة ومن ثم استمرار المشاكل الناجمة عن وجود هؤلاء الأجانب في المنطقة وزيادة احتمالات الخطير الذي يهدد إمنها. وحتى فيما يتعلق بالتعليم الذي كان من المفترض أن يكون العامل الأول في تحويل المجتمع وفي تغيير كل القيم التقليدية السلبية واستبدالها بقيم اجتماعية جديدة تساعده على بناء المجتمع وتطويره، نجد أن واقع التعليم في هذه الدول لم يساعد على تغيير الكثير من هذه القيم ولم يساعد على تنمية هذه المجتمعات وذلك ناتج عن كون خطط وسياسات التعليم لا زالت تتوضع بناءً عن احتياجات عملية التنمية. ثم ما الذي استطاع التعليم أن يغيره في عقلية أبناء هذه المنطقة؟ إذ أن المحك الأساسي لنقييم عملية التنمية هو النظر إلى ما حققته سياسات التنمية بما في ذلك سياسات التعليم وهل استطاعت هذه السياسات أن تحد من حاجة هذه المجتمعات للخارج؟ وهل ساعدتها في التخلص من كل معوقات التنمية بما في ذلك التخلص من القيم التقليدية السلبية واستبدالها بقيم جديدة؟ والحقيقة أنه لا التنمية الاجتماعية ولا سياسات التعليم المتتبعة قد ساعدت المجتمعات الخليج بما في ذلك مجتمع الإمارات على التخلص من كل هذه المعوقات ولا زال الإنسان في مجتمع الخليج عاجزاً عن بناء مجتمعه واستغلال طاقاته بالطريقة التي تكفل فهو وتطويره وتحقيق أمنه.

## الهوامش

- ١ — محمد الرميحي، قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين ص. ٧٦.
- ٢ — محمد الرميحي، البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م، الكويت ص. ٤٢، ٤٣.
- والروبية هي عملة هندية وكانت العملة المتداولة في دول الخليج قبل استقلالها، واستبدلت بعملة كانت متساوية لها كالدرهم في دولة الامارات، الا أن قيمة الروبية الهندية انخفضت بشكل كبير حتى أصبح درهم الامارات — على سبيل المثال — يعادل ٣ روبيات هندية.
- ٣ — محمد الرميحي، المرجع السابق، ص. ٤٦.
- ٤ — محمد الرميحي، قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين، مرجع سبق ذكره، ص. ٧٦.
- ٥ — بيار لاروك، الطبقات الاجتماعية، ترجمة جوزف عبود كبة، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م بيروت — باريس ص. ١١.
- ٦ — محمد غانم الرميحي، قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين ، مرجع سبق ذكره ص. ٦٦.
- ٧ — د. احسان محمد الحسن، البناء الاجتماعي والطبقية، دار الطليعة، ١٩٨٥م ص. ٧٠ — ٧١.
- ٨ — بيار لاروك الطبقات الاجتماعية، مرجع سبق ذكره ص. ٢٤.
- ٩ — محمد غانم الرميحي، البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص. ١٠٥ — ١٠٦.
- ١٠ — د. أمل يوسف العزيزي الصباح، سكان دولة الامارات العربية، دراسة في جغرافية السكان، الجمعية الجغرافية بجامعة الكويت، الكويت يونيو ١٩٧٦م، ص. ٣٢ — ٣٣.
- ١١ — أثبتت التعداد العام لعام ١٩٨٠م بأن مجتمع الامارات في طريقه لأن يفقد هويته العربية وذلك بعد أن شكل الوافدون غير العرب نسبة ٥١٪ من إجمالي السكان ومعظمهم من الآسيوين، وتضاعلت نسبة المواطنين فيه حتى بلغت ٢٧.٩٪ فقط من إجمالي عدد السكان وهناك مفارقة أكثر غرابة تمثل في الأخلاقيات في نسبة النوع أي نسبة الذكور إلى الإناث، حيث بلغت هذه النسبة في دولة الامارات ٢٢.٣ ذكراً لكل مائة إنثى أي أن نسبة الإناث في مجتمع الامارات أقل من ٣١٪ وما يتزوج ذلك من آثار غير صحية وغير انسانية، تعداد ومعدلة، الأزمات العربية العدد ١٤١ آذار مارس ١٩٨٤م، لندن، ص. ٧.

- ١٢ – تم نيلوك، المشكلات المرتبطة بآية الاقتصادية غير النفطية في الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص. ١١.

١٣ – د. صلاح العقاد، معالم التغير في دول الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، يونيو ١٩٧٧م الكويت ص. ٢٠٥ – ٢٠٦.

١٤ – موزة عبيد غباش، المиграة الخارجية والتنمية، دراسة تطبيقية لأثر المиграة الوافدة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، مطبعة الوفاء القاهرة، ١٩٨٦م، ص. ٢٠٥ – ٢٠٦.

١٥ – تعقيب الدكتور سعد الدين ابراهيم على موضوع آثار العمالة الأجنبية على التأثير الاجتماعي، العمالة الأجنبية في اقطار الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٢٨ – ٢٩٢.

١٦ – د. فيصل السالم، د. احمد جمال ظاهر، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣.

١٧ – تعقيب للدكتور عبدالله فهد النفيسي على موضوع الآثار الاجتماعية للهجرة الأجنبية، العمالة الأجنبية في اقطار الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٨٧ – ٢٨٩.

١٨ – موزة عبيد غباش، مرجع سبق ذكره، ص. ٣٣٤ – ٣٤٥.

١٩ – محمد غانم الرميحي، البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص. ١٣٨ – ١٤١.

٢٠ – محمد غانم الرميحي، الخليج ليس نفطاً، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٠٥ – ٢٠٧.

٢١ – محمد غانم الرميحي، المراجع السابق، ص. ١٨١.

٢٢ – المراجع السابق، ص. ١٩١ – ١٩٢.

٢٣ – سلطان علي العويس، الخليج الذي ظل حاضراً، مجلة أوداق، العدد (٤١) ديسمبر ١٩٨٥م، الشارقة، الامارات العربية المتحدة.

هناك الكثير من القصائد والابيات الشعرية وبصفة أساسية ما كتب باللهجة العامية والتي تصف قسوة الحياة في تلك الفترة، ومن بينها على سبيل المثال :

لو لي بخت ما بيت لكويت  
حشا ولا فارقت الاوطان  
اسيميك يا حظي ترديت  
وابعدتنى عن ماحال عمان

كما عبر الشاعر سلطان علي العويس عن قلقه على مستقبل الاتحاد وامنياته بأن يكون هذا الاتحاد قوياً ودائماً :

دعوا ما مضى واستقبلو الأمر بالحزم  
أقول لقومي بعد أن جد جدهم  
فهل بيتنا ضد العواصف والرجم  
أقول لقومي ان في الجو عاصفاً

٢٤ - حيدر ابراهيم علي، الشباب الخليجي العربي ومشكلة الاغتراب، جريدة البيان، ٢٨ ديسمبر ١٩٨٥ م دي،  
الامارات العربية المتحدة.

٢٥ - حيدر ابراهيم علي، المرجع السابق.

٢٦ - محمد غانم الرميحي، الخليج ليس نفطاً مرجع سبق ذكره، ص. ٢٥٥.

٢٧ - محمد غانم الرميحي، البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص. ١٨ - ١١

٢٨ - محمد غانم الرميحي، المرجع السابق ص. ١٠٩ - ١١٠

٢٩ - د. فوزية العطية، المرأة والتغير الاجتماعي في الوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية بغداد، ١٩٨٣م،  
ص. ١٠٨ - د. اسماعيل صبري مقلد، في التنمية العربية، دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٨٢م ص. ١٥٩.

٣٠ - جريدة البيان، ٢٩ يناير ١٩٨٦م، دي دولة الإمارات العربية المتحدة، ص. ٩.  
ناصر ثابت، المرأة والتنمية والتغيرات الاجتماعية المعاقة : دراسة اجتماعية ميدانية على عينة من العاملات،  
منشورات ذات السلسل، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٣م ص. ١٥ - ٢٢.



## بحوث ودراسات

### دراسة النظم السياسية المقارنة نحو نموذج التبادلات السياسية المجتمعية

\* د. السيد عبدالمطلب غامد

يمكن للمتتبع للدراسات المقارنة في علم السياسة ان يكتشف انها مرت بثلاث مراحل، هدفت في المرحلة الاولى الى تعميق المعرفة بالظواهر وفهمها، وفي الثانية الى وضع ما يسمى باستراتيجيات المقارنة، وفي الثالثة الى تقديم اسهام يتخطى حدود فرع المعرفة الواحد، ولكن ما شهدته الفكر من «ثورة» في، او «تنافس» على الدراسات المقارنة عقب الحرب العالمية الثانية ليس الدافع اليه عدم قناعة بالغايات السابقة فقط واغا حركتها عوامل سياسية اساسها ثلاثة عوامل : الاول حركة الاستقلال الواسعة التي شهدتها العالم الثالث بما تبعها من انهيار الامبراطوريات وانحسار النفوذ الغربي نسبيا – او على الاقل انحسار الصور المباشرة لهذا النفوذ – والثاني ظهور النازية والفاشية والشيوعية بما تمثل من «تحديات» للديمقراطية الغربية، والثالث ظهور تحالفات العسكرية وكذلك التكتلات الاقتصادية واشكال التعاون المشترك المختلفة الطابع.

\* كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة

فقد أصبح من الضروريات الملحة توسيع النطاق الجغرافي للدراسات السياسية وتعزيز المعرفة بهذه المجتمعات وتلك، والغاية من ذلك واضحة وهي تكين صانعي القرارات من العمل في وضوح رؤية وتوفير بدائل الحركة وتوقع الآثار والمضاعفات المحتملة للحركة، وباختصار تكين صانعي القرارات من صنع القرارات والسياسات الملائمة للمواقف المجتمعية المختلفة وتعديل او تطوير مسارات العلاقات مع هذه المجتمعات او تلك.

وعلى الرغم من هذا المغزى الحركي للدراسات المقارنة فإن مغزاها العلمي كان أكثر عمقاً وتأثيراً، فبعد أن شهدت العلوم الإنسانية – مثل العلوم الطبيعية – موجة عارمة من التخصص انتهت بها إلى جزئيات متباينة هنا وهناك بما يتضمنه ذلك من تكرار وتدخل وافتراض في التخصص، إذا بهذه العلوم تشهد محاولات إعادة التوحيد تحت مسمى «المنهج التخطي حدود الفروع» وتشهد محاولات وضع نظرية او إطار عام للمعرفة تصلح او يصلح للتطبيق على الفروع المختلفة للعلوم الإنسانية وكذلك العلوم الطبيعية، ولذلك شهدت العلوم الإنسانية حركة استعدادات ومحاولات واسعة النطاق سواء لبعضها البعض او للعلوم الطبيعية.

وعلى الرغم من هذا الاتفاق على الوجهة النظرية والعملية للدراسة المقارنة داخل علم السياسة إلا ان طبيعته التي تشبه البحر المفقر إلى شاطيء وإلى قاع فرضت نفسها على تحديد موضع الدراسة المقارنة من هذا العلم، ففرضت حالة من عدم الرضا المستمرة، وخلقت اتجاهات غير توفيقية وتطبيقات كثيرة جداً ولكنها جزئية، ولذلك فإن هدف هذه الدراسة يتلخص في إبراز معلم تطور دراسة النظم السياسية المقارنة، وإلى اثارة العديد من الأسئلة التي قد تسمح ببلورة منهاجية «او على الأقل إطار» صالحة «صالح» لإجراء مقاونات بين نظم سياسية متباعدة كل التباين، بل وقد تكون متعارضة، ويسمى هذا الإطار إطار التبادلات السياسية المجتمعية.

وتحقيقاً لهذه الأهداف المتواضعة يتمحور البحث حول خمس نقاط أساسية، تدور الأولى حول المشكلة التي تواجه دراسة النظم السياسية المقارنة، وتدور الثانية حول موقف هذه الدراسات من الرؤية المجتمعية، وتطرح الثالثة مقدمات المفهوم المقترن، أما الرابعة فتناولت فرض وعلاقات المفهوم المقترن، وتوضح الخامسة – جزئياً – جدوى المفهوم المقترن.

– ١ –

المشكلة التي تواجه دارس النظم السياسية المقارنة ثلاثة الأبعاد حالة عدم رضا مستمرة، تصنيفات متباعدة للنظم السياسية، واهتمامات منهاجية وعملية متباعدة لرواد تحليل النظم السياسية.

١ - حالة عدم الرضا : يمكن تتبع هذه الحالة في اتجاهين : أحدهما عدم تحقيق الدراسة المقارنة لغاياتها المنشودة (١) وثانيها عدم الاتفاق على طبيعة الدراسة المقارنة (٢) لقد انتقدت المناهج التي سادت قبل الحرب العالمية الثانية على أساس أنها جزئية تقتصر على دراسة أوروبا، أما ما عدتها فوضع اهتمام القلة، ونوع تنظيرها من تجاذب النظم الغربي وحدها، ووصفية تقتصر على وصف الأوضاع من خلال النصوص القانونية والدستورية، وشكلية فهم فقط بالمؤسسات الحكومية وأسسها القانونية والتنظيمية والأيديولوجيات التي تتبناها الدول رسمياً، ولذلك كان كل ما يتطلبه التطوير هو : توسيع مجال الدراسة بدراسة النظم غير الأوروبية والنظم الأوروبية الديمقراطية بالمعنى الليبرالي، والواقعية بمعنى الابتعاد عن الصيغ الرسمية والمؤسسات، وعن الاهتمام بالقانون والأيديولوجية إلى كل العمليات المرتبطة بالسياسة وصنع القرار، والدقة بمعنى الابتعاد عن الأحكام القيمية إلى القياس الكمي والاعتداد على الملاحظة، ووضع أطر فكرية بمعنى وضع أطر مفاهيمية ونظرية قادرة على استيعاب وبلورة النتائج واللاحظات الجديدة في علم السياسة.

ولكن حالة عدم الرضا هذه ما زالت قائمة، وتعود في أحد جوانبها إلى التطبيق المكثف وغير الانتقادي لاصدارات «الثورة السلوكية» التي أسيء استخدامها في اتجاهين متطرفين : أحدهما الجهد المبذولة «لبناء نظرية ضخمة» وثانيها ما يمكن أن يسمى «بالتفاهات السياسية» فعل الرغم من أن المنطقة التي بين الاتجاهين حقل مثير للدراسة والاستكشاف، فإن معظم العمل وجه إلى الاتجاهين المتطرفين دون تحديد النتائج، وفي جانب آخر إلى طبيعة الظواهر السياسية المعقدة وغير المؤكدة إلا احتمالاً، وندرة الجمع بين التحليل الكلي والتحليل الجزئي في آن واحد، وصعوبة تطبيق نتائج التحليل الجزئي – خاصة – النابعة من نظام سياسي على نظام سياسي آخر بدقة كافية، وفي جانب ثالث إلى وجود عدة عوامل تحول دون توازن متطلبات التحليل العلمي الذي يسهم في تحقيق الأهداف المرجوة. وعلى الرغم من احتلال السياسة المقارنة والحكومات المقارنة – إن لم تكن النظم السياسية المقارنة أيضاً – مكاناً واضحاً في مفردات علم السياسة منذ ظهوره كفرع مستقل، فإن الاختلاف على طبيعة الدراسة المقارنة ما زال قائماً، فبينما اعتبرها البعض مجالاً فرعياً في علم السياسة – وهذا ما نراه – اعتبرها البعض الآخر أسلوباً خاصاً للمعالجة، فاختلت تفسيرات «المقارنة» في التحليل السياسي (٢) ولم تعد المسألة تقبل أو رفض الأسلوب المقارن، بل إمكانية أو عدم إمكانية التطبيق على الظواهر السياسية، بل إن الذين يشكرون في كفاية التحليل المقارن للظواهر السياسية لا يعتقدون أن علم السياسة علم أو يمكن أن يكون علم، وعلى النقيض من ذلك العلوم الاجتماعية الأخرى التي ترى أنه إذا لم تعكس الظاهرة انتظاماً ما يبرر استخدام الأسلوب المقارن فلا مبرر لجعل «المقارنة» مجالاً فرعياً «للاستكشاف» وطورت أعمالاً منهاجية جيدة، والواقع أن هذا هو الاستخدام الشائع في علم السياسة، فالقليل من الدراسات السياسية المقارنة هو الذي استخدم الأسلوب المقارن كما استخدمه دور كايو ونادل وموردوك «كأسلوب بحث وتحليل فقط» ولم يقدم علماء السياسة أي كتابات عن أسلوب التحليل

المقارن ترقى الى مرتبة الأعمال المنهاجية التي قدمها علماء الاجتماع والأنثربولوجيا، وإنما تتركز معظم العمل على كون «المقارنة» مجالاً فرعياً لعلم السياسة<sup>(٤)</sup>.

٢ - بؤراهتمام مختلفة : تكمن المشكلة الأساسية أمام تصنيف النظم السياسية في تعدد وتباعد بؤر الاهتمام، الأمر الذي ينذر أخذه في الاعتبار عند وضع معايير التصنيف، ويمكننا تصنيف الدراسات السياسية المقارنة في أربع جموعات قد لا تكون متميزة كل المميز ولكنها تعكس جانبًا أو آخر من الاهتمام المتميز، وهي : الحكومات المقارنة، السياسية المقارنة، والسياسات العامة المقارنة، والنظم السياسية المقارنة<sup>(٥)</sup>.

ما زالت مجموعة الحكومات المقارنة - حتى بعد تطويرها تحت تأثير المدرسة السلوكية تعطي اهتماماً الأول لمفاهيم ثلاثة : الدولة وأشكالها، والحكومة وأشكالها، والحقوق العامة، وإن اهتممت حديثاً بالعلاقة بين «السلطات الثلاثة» فن منطلق دستوري ومن خلال فكرة الفصل بين السلطات، وبالوظيفة الاجتماعية والاقتصادية للدولة فن منطلق الفلسفة الرسمية، وبدينامييات الحياة السياسية - كالأنحزاب وجماعات المصالح والرأي العام - فن منطلق الأشكال التنظيمية والقانونية، وعندما أذيبت في التحليل السياسي - على يد داهل ودوبيتش وبلوندل - فقد الكثير من نسقيتها.

أما مجموعة السياسة المقارنة فإن اهتمامها منصب على دراسة «ما هو سياسي» بغض النظر عن موضعه من الحقيقة الاجتماعية، يمكن ابراز ثلاثة اتجاهات رئيسية : يركز الأول على مفهوم البنية وما يرتبط به من مفاهيم كالقوة والنفوذ، فهدفه تأكيد الطابع السياسي لأشكال معينة من الوجود الاجتماعي وتعبيراته المختلفة، ويركز الاتجاه الثاني على مفهوم النشاط «السلوك» وما يرتبط به من مفاهيم كالعمليات السياسية والوظائف السياسية، ويركز الاتجاه الثالث على مفاهيم التغير والتحديث والتنمية ليجعل من السياسة أداة تغيير وتحديث وتنمية سياسية.

وتهتم مجموعة السياسات العامة المقارنة - التي تعود معظم أدبياتها الى السبعينيات - بتطبيق على السياسة - أساساً - والعلوم الاجتماعية والقرارية الأخرى على المجالات الاشكالية في عمل وتشغيل وأداء النظم السياسية «أو المجتمعات السياسية» فهي مجموعة حركية، يعني أن توجهها خدمة رجل الحركة.

وتأتي النظم السياسية المقارنة لتعكس من جانب اهتماماً منهاجياً، ومن آخر اهتماماً حركياً، فهي تحاول تزويد دارسي السياسة المقارنة بأدوات بعثية وأطر فكرية ملائمة، كما تحاول مواجهة ما تفرضه دراسات السياسة العامة من تحديات فكرية وعملية.

٣ – طموحات متباعدة : أدى غموض بؤرة الاهتمام وتقطيعها مع بؤر أخرى إلى مشكلات عديدة في تصنيف النظم السياسية، ويزيد الأمر تعقيداً – بالنسبة للتصنيف والدراسة على حد سواء – تعدد وتباعد طموحات رواد تحليل النظم السياسية، فقد أثاروا العديد من المشكلات وعبروا عن الكثير من الطموحات.

أراد دافيد استون أن يتخبط التفرقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية كمجالين مستقلين للبحث، كما أراد طرح حل مشكلة الفجوة بين التنظير وتحليل الواقع الملموس، وأيضاً تقديم إسهام في النظرية العامة للمعرفة وذلك بتطوير «نظرية موحدة للسياسة» قادرة على تفسير سلوك النظم السياسية القومية وغير القومية. وانطلاقاً من ادراكه لأن المهمة الأولى لعلم السياسة هي تحليل مشكلات عامة مشتركة في كل النظم أي «مشكلةبقاء ودوار النظم السياسية» جعل استون الهدف الأساسي للنظرية العامة هو «وضع معيار لتحديد هوية المغيرات الهامة التي تتطلب فحصاً في كل النظم السياسية» وبذلك طرح استون ضرورة التمييز في معالجة الظاهرة بين مستويين : التنظير والواقع الملموس، فال المشكلة الواقعية هي بقاء النظم واستمراريتها، والمشكلة التنظيرية هي وضع «اطار مفاهيمي» أو «هيكل للتحليل»(٦).

واهتم الموند بشكليتين متوازيتين(٧) الأولى بناء نظرية «أو منهج لنظرية» تسمح بتفسير تغير النظم السياسية من الصورة التقليدية إلى الانتقالية ثم إلى الحديثة، أو بعبارة أكثر دقة تقدير نظرية للتنمية السياسية، والثانية تصنف النظم السياسية بطريقة ذات معنى، ليس بقصد تأكيد «أن نظاماً سياسياً أفضل من آخر» وإنما بقصد تطوير «علم سياسة مقارنة». وميز أبتر بين مستويين للبحث(٨) المستوى الواقعي، وتواجه التحليل السياسي فيه مشكلتان، أولاً تحليل الاختيار، ثانياً تحليل المستوى الذي يتم فيه الاختيار، والمستوى التحليلي، وي يتطلب منهجاً مزدوجاً – «بنائي / سلوكي» – فقد كان اعتقاد أبتر هو أن السياسة تبدأ بمناجاة بداعية قيمة وفي المرتبة الثانية أمبيريقية « وأن المشكلة الهامة التي يجب أن تعالجها العلوم الاجتماعية هي كيفية الاختيار، خاصة الاختيارات الحكومية لأن لها مضاعفات وأثاراً بالنسبة لكل أعضاء المجتمع، والمشكلة الأساسية التي يناقشها أبتر هي تفسير القائم من خلال المعرفة، فهو يحدد المشكلة بأنها دراسة التحديث»، فقد كان معيناً بتوضيح أثر عملية تحديث الهيكل الاجتماعي على العملية السياسية وعلى تطوير أشكال الحكومة بالقدر الذي يجعل رجال السلطة قادرين على الاختيار في مستوى أشكال مختلفة من البنية الاجتماعية دائمة التغير، ولذلك يأتي تحليل أبتر أقل نسقية من تحليل استون والموند، ولكنه أكثر تفصيلاً وتعديداً بخصوص مشكلته البعضية، اختيار وتنمية الحكومات في المجتمعات التحديدية.

وحاول دويتش التقليل من أهمية فكرة «القوة» كمقوم للنشاط السياسي وكعنصر فيصل في تعريف علم السياسة و «ما هو سياسي»(٩) وليس ذلك انكاراً لفكرة القوة كجانب هام من – وأداة هامة في – النشاط السياسي، ولكن لتقليل أهمية «القوة المادية» في تعريف «القوة السياسية» فالقوة «ليست

مركز جوهر علم السياسة» وإنما هي أحد الميكانيزميات الهامة للتقييد والضبط القاسي، حيث يفشل النفوذ أو العادة أو التعاون الاداري في خدمة وظيفة تحقيق الهدف خدمة كافية، فنقطة الجوهر في السياسة هي «منطقة القرارات الملزمة» إنها التنسيق المتعمد للجهود الانسانية لتحقيق أهداف المجتمع، ولا تعتمد الزامية القرارات على مجرد التهديد بالقوة وإنما – في المدى الطويل – على واقعة أن أعضاء المجتمع أصبح من العادة لديهم أن يأتمروا بقرارات من في السلطة، ذلك أن المجتمع يحتوي على ميكانيزميات تشجع على تكوين «العادة» عن طريق اكتساب المعلومات و اختيارها و تخزينها «مسهل الذاكرة» و اختيار وتنمية قواعد السلوك المرتبطة باستخدام المعلومات المكتسبة، ولذلك يقول دوبيتشر : «المصدر الداخلي للقوة السياسية» هو بنية الذاكرة المستقرة والمتساكنة نسبياً، والعادات والقيم، وهي تعتمد على التسهيلات الموجودة للاتصال الاجتماعي من الماضي إلى الحاضر وبين المعاصرین، فالمعلومات تسبق الاجبار، والنظام السياسي «شبكة قنوات اتصال».

وعلى نقىض فكرة دوبيتشر حاول لاسوبل وداهل (١٠) التأكيد على فكرة «القوة» فجوهر علم السياسة عند لاسوبل تشكله القوة كعملية، وبذلك يجعل لاسوبل من النفوذ وأصحابه والقوة ومارسيها إطاراً مرجعياً، ويجعل من المسألة التوزيعية مثلاً في قوله «من يحصل على ماذا، متى، كيف» تعبيراً عن الجانب الاميريقي للمعرفة السياسية، ويجعل داهل من المفهوم نفسه إطاراً لمقارنة النظم السياسية، فيرى أنها تتشابه في السيطرة غير المتكافئة على الموارد السياسية، وفي سعي أعضائها إلى ممارسة النفوذ السياسي، وفي التوزيع غير العادل للنفوذ بينهم، وفي سعي اعضائها إلى تحقيق غaiات متعارضة تصل بهم إلى درجة الصراع، وفي اسناد قوادرات السياسة إلى شرعية ما كثيراً ملستبعها تنمية أيديولوجية لتبرير التصرفات، وفي تأثيرها بالنظم السياسية الأخرى.

— ٢ —

تعمل الرؤية المجتمعية في هذا البحث معنى محدداً، ألا وهو اهتمام دارسي النظم السياسية بغرض تفاعلات النظام السياسي مع المجتمع والمجتمعات الأخرى، وتفاعلات الأخيرة معه، وما يحدث بينها من انتقالات، فعل الرغم من شيوع استخدام مفهوم «النظام» في الدراسات السياسية، فإن الجهد ترقى إلى مناح شتى، فهناك من التزم بالنظريّة العامة للنظم، ومن جأ إلى التحليل البنائي الوظيفي، ومن ركز على صنع القرار، إلا أن بؤرة اهتمامها جميعاً النظام السياسي، ولذلك اتسمت إما بغياب الرؤية المجتمعية أو ضعفها، وذلك على خلاف رواد التحليل البنائي / الوظيفي في علم الاجتماع، ورواد دراسة التنمية السياسية في على السياسة الذين جعلوا بؤرة اهتمامهم المجتمع وليس – أو على الأقل على قدم المساواة مع – النظام السياسي.

١ - **تضاؤل الرؤية المجتمعية :** يعتبر استون رائد تحليل النظم في علم السياسة، وتحليله أقرب ما يكون إلى النظرية العامة للنظم، فلقد دأى أنه وحدة التحليل هي «التفاعلات» ولكنها التفاعلات المرتبطة بالشخصيّات السلطويّة للقيم قل الأشياء ذات القيمة في المجتمع وللمجتمع، والنظام السياسي نظام تحليلي ذو حدود تحليلية أكثر منها واقعية، ولكنه مجموعة من التفاعلات المتراوحة مثل وحدة متميزة عن البيئة المحيطة بها سواء داخل المجتمع أو خارجه. وهي في حالة استعداد دائمًا للاستجابة للتأثيرات البيئية التي تمثل فيها يثار من مطالب أو يقدم من مساندة وهي لا تستجيب إلا بقرارات وسياسات، ومهمة هذه الوحدة هي الحفاظ على بقائها واستمراريتها في مواجهة الضغوط البيئية، وتعدد الانتقادات الموجهة لهذا التحليل، ولكن ما يهمنا هو البنية العالية التجريد للنظام السياسي التي قدمها، وأن مهمة هذه البنية التوزيع «التخصيص» الملزم «السلطوي» لكل ذي قيمة، فهي لا تعكس واقع المبادأة بغلق أو تعديل هذه الأشياء، والتي تقوم بها النظم السياسية اليوم – حتى الغرب منها – وأنها نظم استجابة للضغط – المطالب – فتحولها إلى قرارات وسياسات، وتقوم بتحويل الطاقة – المساندة – فالنظام السياسي سوق رأسمالية مشوهة، فبينما يقوم جهاز السوق من خلال قوى العرض والطلب بتحديد الثمن والانتاج ومن ثم التوزيع، فإن «سوق» استون يعتمد على قوى الطلب وحدها في تحديد قراراته وسياساته التوزيعية، وهدفه ليس تسهيل المبادرات المجتمعية وإنما الحفاظ على وجوده كسوق.

ورoad التحليل البنائي الوظيفي أكثر توجهاً نحو المجتمع الذي يوجد فيه النظام السياسي من استون، وذلك لاهتمامهم بالعمليات والميكانيزميات والوظائف، فنجد ميشيل (١١) يحدد أربع متطلبات وظيفية للنظام السياسي : التحديد السلطوي لأهداف النظام، التبعية السلطوية للموارد الازمة لتنفيذ أهداف النظام، اندماج النظام، وتخصيص الأشياء ذات القيمة والاعباء والنفقات، ونجد أبتر – من خلال دراسته عن التحديث – يتم بطبيعة وغرض الحكومة، وأنواع وأنماط الحكومات، ووظائف الحكومة، ولكن اهتمامه بطبيعة وغرض الحكومة ينصب على كيفية الحفاظ على وجودها أثناء الفترة الانتقالية من التقليدية إلى الحداثة دون أن تقعد شرعيتها، واهتم بتقديم مجموعة ثلاثة من الحكومات – إضافة إلى الديمقراطية والشمولية – هي الحكومات «التحديثية» التي وصفها بأنها قبل الديمقراطية، أما وظائف الحكومة فهي : أن تعمل كمصدر للعقوبات في المجتمع. وأن توفر الرموز التي تربط بين ماضي الشعب ومستقبله، وأن تكون جهازاً مسؤولاً عن تنفيذ الأوامر وأداء الأدوار في النظام، وأن توفر معياراً لتمرير مشاركة وعضوية الناس في المجتمع.

ولا يعدو جهد ميشيل وأبتر – مثل غيرهما من road التحليل البنائي / الوظيفي – أن يكون سعياً نحو تحديد المتطلبات الوظيفية للنظام السياسي، الأمر الذي يظهر بوضوح لدى ألوند الذي سعى لتقديم «نظريّة وظيفية» للنظام السياسي، فيؤيي أن النظام السياسي مجموعة من التفاعلات، ولكنها ليست تفاعلات بين أفراد وإنما تفاعلات بين أدوار تشكل كل مجموعة متراوحة منها بنية معينة، إلا أن جوهـرـ

«السياسة» هو الاستخدام أو التهديد بالاستخدام الشرعي للقوة والاكراه المادي والمعنوي، وأدت وجهته الوظيفية إلى طرح مجموعة من الوظائف المدخلات التنشئة والتجنيد السياسيين، تجميع المصالح، تكتيل المصالح، والاتصال السياسي – وأخرى من الوظائف المخرجات – صنع القاعدة، تنفيذ القاعدة، والتراخي طبقاً للقاعدة.

والى جانب العديد من الانتقادات التي توجه إلى التحليل البنائي / الوظيفي، يهمنا أنه في الغالب الأعم تحليل «محافظ» إن لم يكن رجعياً، فهو تحليل ستاتيكي أكثر منه ديناميكي، ولا يسهل اقتراح تغيرات جوهرية في النظم، وإنما يسمح بتحطيم الطرق والوسائل التي يجعلها تستمر كما هي، كما أنه يعني مما يسمى «بخدعة السبيبية» أي اعتقاد ما يحدث بانتظام ولو في ظل ظروف معينة ضرورة للبقاء وباستثناء ميتشل الذي تأثر كثيراً بتالكوت بارسونز يمكن القول بضعف التوجه الجماعي لدى رواد التحليل البنائي / الوظيفي في علم السياسة، فهمهم الأول هو بقاء النظام واستمراريته، وأيضاً اهتمام ميتشل هو كيفية تشغيل وتسيير النظام بحيث يحافظ على بقائه، ولكنه لا يجعل النظام السياسي نظام استجابة كفيرة، وإنما يوضح أن له دوراً تدخلياً.

ومن رواد تحليل صنع القرار من قدم أفكار تجريدية أو استعارية، ومنهم من قصر اهتمامه على منطقة محدودة هي عملية صنع القرار، فقد أراد دويتش، كما سبق القول. التقليل من أهمية القوة لصالح المعلومات معتمداً في تحليله على ما استعاره من مفاهيم السيرنطيقا والهندسة، وتدور فكرته بايجاز حول كون المعلومات جوهر تسيير النظام السياسي، ويتسم الاطار الذي قدمه بالطابع الهندسي والاستعاري لدرجة يصعب معها تطبيقه، فإذا فحصنا كتاب دويتش «السياسة والحكومة» لوجدنا أنه نفسه لم يطبق حتى خمسة في المائة مما طرحته من أفكار، وعلى الرغم من مناقشته قضايا التغير التدريجي فإنه ينظر إلى المجتمع من فتحة ضيقة جداً هي «المعلومة»، أما لاسوبل وستيدر(١٢) فقد قصر اهتمام على مراحل وعملية صنع القرارات وما يؤثر عليها «والقيم» التي يتم التنافس أو الصراع عليها.

٢ - تكيف الرؤية المجتمعية : لقد كثف اتجاهان اهتماماً بالمجتمع : أحدهما رواد التحليل البنائي / الوظيفي في علم الاجتماع مثل ماريون ليفي، ودوبورت ميرنون، وتالكوت بارسونز، وثانيها رواد التنمية السياسية في علم السياسة ومنهم شيلز، وأودجنسكي، وأبت، وباي، وغيرهم(١٣).

لقد قدم بارسونز اطارات شاملة وتنظيرية لدراسة المجتمعات على أساس التحليل البنائي / الوظيفي واعتبر مفهوم «النظام» فالبداية أن أجزاء المجتمع لا يمكن فهمها إلا من خلال الكل – المجتمع – فهو الأهم، وهو نظام للحركة، ويكون المجتمع كنظام كلي من أدبيع نظم لكل منها وظيفته تعد مطلبها وظيفياً للحفاظ على بقاء المجتمع واستقراره «توازنه»، وهذه المتطلبات الوظيفية هي : التأقلم ويشير إلى قدرة

النظام على الوفاء «بمطالب» الفاعلين، فهو تعامل مع الجانب غير الانساني للمجتمع بغرض تعبئة الموارد، وتحقيق الهدف ويشير إلى تنسيق جهود الجماعة وجهود الوحدات لخلق علاقة مرضية للمجتمع مع بيئته بما يمكنه من الحركة لتحقيق الأهداف التي حددتها لنفسه، والحفاظ على النطاق ويشير إلى التمسك بالمبادئ الأساسية للمجتمع فيما يتعلق بالانماط الثقافية والقيمية سواء عن طريق التوارث الثقافي أو الضبط الاجتماعي أو إدارة التورات، والاندماج ويشير إلى تكيف العلاقات بين وحدات المجتمع من أجل تأسيس درجة من الترابط بينها تسمح للمجتمع بالاستمرار في عمله، ولا يعدو النظام السياسي – في تحليل بارسونز – أن يكون مجرد نظام فرعي للمجتمع، ومن ثم فقد نظر إلى ما يقوم به لذلك المجتمع وقصره على تحقيق الهدف، بينما دأينا أن ميتشل قد وضع أن للنظام السياسي دوراً حيوياً في كل المتطلبات الوظيفية التي طرحاً بارسونز.

وعلى الرغم من توجه دراسات التنمية السياسية إلى دراسة التغير الذي حدث ويحدث في المجتمعات ونظمها السياسية وبصفة خاصة التي توصف «بالنامية» أو «الانتقالية» فإنها ركزت جهودها في اتجاهين : الكشف عن خبرة ما يسمى «بالدول المتقدمة» – خاصة الأنجلو سaxon منها – والبحث في مدى حضور تلك الخبرة لدى الدول النامية، فالمقارنة غالباً واردة بين «المتقدم» و«النامي» أو بين النامي والنامي ودغم ذلك ما زال المفهوم – سواء عبر عنه بالتنمية السياسية أو التحديث السياسي أو غير ذلك – يبحث عن إطار للتحليل، فلم تقدم «محاولات التقويب» إلا مزيداً من «ميوعة» المفهوم. ولم تقد محاولات المراحل إلا إلى مخططات غير اجرائية – غير عملية – سواء لاختلاف المرحلة التاريخية بما تحمله من تغيرات مجتمعية ودولية، أو لاختلاف الفلسفة والمنهجية، ولم تكن تصنيفات النظم السياسية إلا صدى لما ذهب سياسياً وعائد أيديولوجية، وما زالت «التنمية السياسية» تبحث عن معيار يميزها عن صفات أخرى، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، وغير ذلك للعملية التنموية، فالوجهة مجتمعية ولكن ما هو «ما هو سياسي اختلط بها هو غير سياسي».

### – ٣ –

إذا عبرنا عن تكتيف «الرؤيا المجتمعية» وتضاؤلها بمستمر فإن النموذج المقترن يقع في منطقة ما وسط بين هذين القطبين، ويتبين ذلك من مقدمتين : التمييز بين ما هو سياسي وما هو غير سياسي، والكشف عن العمليات السياسية ذات الوجهة المجتمعية، وإذا قبلنا أن السمة الغالبة للدراسات السابقة هي الاستاتيكية، فإن هذا النموذج ديناميكي الأمر الذي يتضمن من مقدمة ثلاثة بعد التحليل.

١ - ما هو سياسي : رفض استون ما كان سائداً من وصف للحياة السياسية باصطلاحات «الانتظام» والقوة والدولة والسياسة العامة وصنع القرار واحتکار الاستخدام الشرعي للقوة

المادية<sup>(١٤)</sup>) ولا يرجع ذلك إلى أن هذه المصطلحات خاطئة وإنما لأنها أقل نفعاً بالنسبة لمستوى معرفتنا الحالي، والبديل لها هو وصف الحياة السياسية كمجموعة من التفاعلات الاجتماعية التي تتم بين الأفراد والجماعات، فتصبح وحدة التحليل الأساسية هي النشاط المتضمن في عملية التفاعل، ولكن الذي يميز التفاعلات السياسية عن غيرها من التفاعلات هو أنها «موجهة بدأة نحو التخصيص السلطوي للقيم في المجتمع» ويدأ الموند من تقبل فكرة فير ولا سوينل من أن القوة الشرعية هي الخيط الذي يجري خلال حركة النظام السياسي فيعطيه صفتة وأهميته ومقاسكته كنظام ذلك أن السلطات السياسية هي وحدها صاحبة الحق الشرعي في استخدام الاكراه وإعطاء الأوامر التي تطاع، فهو عندما يتحدث عن النظام السياسي يضمنه كل التفاعلات التي تؤثر على الاستخدام أو التهديد بالاستخدام الشرعي للإكراه المادي.

وعلى الرغم من معادلة استون الابتعاد عن مفهوم القوة فإنه يلجأ إليه في تعبيره «السلطوي» ذلك أن الصفة السلطوية تعني فرض الالتزام أو ضرورة «الطاعة» وهذا لا يتأقى إلا عن طريق قوة شرعية أو مشروعة، أو باقتناص وتبادل معلومات، ويعيد هذا إلى الذاكرة محاولة دوبيتش التقليل من أهمية القوة لصالح المعلومات، فالحياة السياسية يشد وثاقها جبلان : القوة والمعلومات — الإكراه والاقناع — فهي لا تعدو أن تكون — كما تصور أبتر — ممارسة لفكرة الاختيار<sup>(١٥)</sup> الذي تتزايد فرصه كلما زاد الاعتماد على المعلومات وقل الاعتماد على القوة، وتتضاعف فرصه كلما قل الاعتماد على المعلومات، وزاد الاعتماد على القوة ولكن مشكلة الدول المتقدمة ليست — كما تصور أبتر — «تضييق الاختيار» وليست مشكلة الدول النامية «توسيع الاختيار» وإنما هي من جانب التوليفة المناسبة بين القوة والمعلومات التي تعظم من نتاج الاختيار كما ترشد عملية الاختيار نفسها، ومن جانب آخر الكشف عن البدائل الممكنة للاختيار.

ولا تقوى أفكار هؤلاء إلا إلى جعل النظام السياسي «نظام استجابة» بتعبير استون أو «نظام تسير ذاتي» بتعبير دوبيتش، ومهمته الأساسية هي الحفاظ على ذاته وبقائه وديوميته واستقراره، وهذا قد يصح طبقاً لتعبير الاقتصاديين في حالة المروي الذاتي والتلقائي للمجتمع، فتعمد الحكومة إلى بيتها وتقتصر مهمتها على «دور الحراس»، أما العالم المعاصر يشهد دوراً متزايداً للحكومات وبخاصة عن حالات أفضل للحياة سواء تحت مسمى «دولة الرفاهية في النظم الغربية أو الدولة المثلالية» لدى معتقد الماركسية، أو «التنمية» لدى الدول النامية، فإن النظام السياسي لا يقوم بعملية التحويل فقط — أي تحويل المدخلات إلى منتجات طبقاً لضغوط المدخلات — وإنما يقوم بعمليات خلق وتعديل للأشياء ذات القيمة في المجتمع، ومن ثم يمكن أن نعرف النظام السياسي بأنه التفاعلات المجتمعية القائمة على مزيج من القوة والمعلومات، والتي تغلق وتعدل وتخصص «أي توزع وتوطن» الأشياء ذات القيمة المجتمعية في المجتمع.

ولنلفت النظر إلى ثلاث مسائل مرتبطة بهذا التعريف : أولاً، يقوم هذا التعريف على التمييز بين

**السياسة السياسية والسياسة اللاسياسية (١٦)** فعل الرغم من اختلاف الكتاب حول تعريف ما هو سياسي فإن عناصر ست تلقى نوعاً من القبول العام — أمر، وخاصية للأمر، ومصدر للأمر، وقوة مساندة للأمر، وعقوبة للمخالفين للأمر، ومبرر «أساس من الشرعية أو المشروعية» للأمر — ولا يعدوا الاختلاف أن يكون اختلافاً حول طبيعة ومعنى كل عنصر، ولكن تظل السياسة تفاعلاً بين النظم المجتمعية — الاقتصادي والاجتماعي والثقافي — أو أبنيتها الفرعية والنظام السياسي وأبنيته الفرعية بغضن تحقيق أهداف معينة لا يمكن تحقيقها إلا بعمل حكومي بحث أو بعمل مجتمعي «نشاط مزدوج : نشاط الأبنية الحكومية ونشاط الأبنية المجتمعية ظرف التفاعل»، والسياسة بهذا المعنى الواسع تحدث داخل النظم المجتمعية غير السياسي، وهنا لا بد من التمييز بين جانبي من نشاط هذه النظم، ذلك الجانب الداخلي الذي يتعلق بغلق وتعديل وتوزيع الأشياء ذات القيمة في حدود ذلك النظام الاجتماعي، والجانب الخارجي الذي يعبر عن الانتقالات بين ذلك النظام والنظم المجتمعية الأخرى ومنها النظام السياسي، ويمثل ذلك الجانب الخارجي — أيضاً — جزءاً من تشغيل النظام السياسي أو النظام موضع النظر، ويعبر ذلك الجانب متى كان مع النظام السياسي عن «سياسة لسياسية» بينما يعبر الجانب الداخلي عن «سياسة لسياسية» ويترتب على ذلك عدة اعتبارات : أ — لا تعرف السياسة الحركة الفعل، الفردية، الفردي، وإن كانت محصلة نشاط فردي ب — ولا تعرف السياسة السلوك العشوائي وإنما تعرف السلوك الهدف وإن كانت الرشادة فيه نسبة ج — السياسة أسيرة الخبرة المجتمعية وفيضان الخبرات الأجنبية.

٢ — لا تهدف العملية السياسية إلى مجرد تخصيص «توزيع وتوظيف» أشياء ذات قيمة للمجتمع، وإنما تتمتد إلى استخراج أو خلق وتعديل أشياء ذات قيمة، ويترتب على ذلك عدة اعتبارات : أ — ليس النظام السياسي مجرد ميكانيزم تحويل وإنما هو أيضاً ميكانيزم مبادأة ب — ليس الاختلاف بين النظم السياسية في غياب بعض هذه العمليات دون بعضها الآخر وإنما في التأكيد على عملية أكثر من أخرى ج — يتوقف اخراط النظام السياسي في أي من هذه العمليات على عاملين، قدرة النظم المجتمعية الأخرى على أدائها دون تدخل من النظام السياسي، وقواعد اللعبة التي تحدد حدود ومسؤوليات كل من النظام السياسي والنظم المجتمعية الأخرى.

٣ — يختلف تحديداً للأشياء ذات القيمة من تحديد الموندو واستون للأشياء التي توجه إليها عمليات النظام السياسي، فقد حددتها «بالقيم» ولكننا نحددها بالأشياء ذات القيمة المجتمعية، وهذا التحديد ميزة مزدوجة : من جانب شمول التعريف للقيم للأشياء المادية والأنسانية معاً، وأقل التغييرات عن ذلك الرموز والمعتقدات والوجهات بما في ذلك المعرفة، والفاعلون والأدوار والأوضاع «أو المراكز» الاجتماعية، والسلع والخدمات والالتزامات المادية والمعنوية، والقرارات والسياسات «كأشياء ذات قيمة لا كعمليات»، ومن آخر جعل القيمة مشتقة من تقدير أعضاء المجتمع للأشياء ولا تتضمنها الأشياء نفسها، فتحديد قيمة الشيء لا تبع من ذاته وإنما — كما صور الاقتصاديون — من استخداماته البديلة ومن علاقته ببدائله في نظر المهتمين به، ويترتب على ذلك عدة اعتبارات أ — قيمة الأشياء

نسبة تتوقف على تقدير الفاعلين في المجتمع حتى بالنسبة للأشياء القيمية مثل الحرية والمساواة والعدالة، ففيما يختلف في القيمة المعطاه للشيء اختلافاً في مضمونه وحدوده من مجتمع لآخر إن لم يكن في المجتمع الواحد من وقت لآخر بــ ترتيب الأشياء ذات القيمة مختلف من مجتمع إلى آخر طبقاً للقيمة المقدرة لها، ومن ثم لا يصلح ترتيب وضع مجتمع لتقييم أداء نظام سياسي مجتمع آخر - مختلف النظر إلى الشيء ذي القيمة بين اعتباره غاية واعتباره وسيلة لغاية أخرى أعم وأشمل، وبؤثر هذا على ترتيب الأشياء ذات القيمة بالنسبة للمجتمع دــ لا يستطيع أي نظام سياسي القيام بكل دوره المطلوب في عمليات خلق وتعديل وتخصيص الأشياء ذات القيمة للمجتمع، ولذلك ينحصر دوره في الأشياء التي تحتل قمة قائمة الأشياء مما يعني عملية تجميع و اختيار وفضيل قبل وأثناء الأداء الفعلي.

٢ـ عمليات سياسية ذات وجهة مجتمعية(١٧) ينخرط النظام السياسي في العديد من العمليات التي لا يمكن أن نسحب عنها الصفة السياسية، بل لا بد من اضفاء هذه الصفة عليها، وإن كان بعضها يتم في إطار النظم المجتمعية الأخرى، ولكن هناك منطقة تقاطع بين النظام السياسي وكل من هذه النظم يبرز فيها دور ما له، وليس المدفــ هنا اعطاء صورة تفصيلية لهذه العمليات وإنما نظرة عامة عليها.

**عملية التحويل السياسي :** وت تكون من ثلاثة عمليات متراقبة أحدها العملية القرادية وتدور حول صنع واتخاذ وصياغة القرارات والسياسات، وثانيتها العملية التنفيذية «أو كما يسمى البعض العملية الإدارية» ثم الثالثة عملية التقاضي أو في الواقع عملية تقييم الأداء.

**عملية التعبئة السياسية للموارد :** يتبع مجال نشاط النظام السياسي يوماً بعد يوم سواء في إطار الخدمات العامة أو الانتاج الاقتصادي، ولذلك فإنه لا يحتاج إلى عناصر العملية الإنتاجية فقط رأس المال، الأرض، العمل، والتنظيم، وإنما يحتاج أيضاً بحكم كونه سلطة المجتمع إلى مساندة شعبية، وهذه المساندة هي مخزن الطاقة الذي يسد الفجوة بين ما تتطلبه أهداف النظام من موارد وما هو متاح من هذه الموارد(١٨)، ولدى الدولة وسائلها الخاصة في تعبئة الموارد فيها : الدومين العام والضرائب والاقتراض والدين العام، ومشروعاتها الخاصة المدرة لزيادة كثــ أنها تعــ الأفراد أو تحثــهم على المشاركة التطوعية.

**عملية التخصيص السياسي للموارد :** على الرغم من الطابع الاقتصادي لعملية تخصيص الموارد فإن النظام السياسي هو الذي يتخذ القرار الفيصلــ فيها مثل : ما هي نسبة الانفاق العام من الدخل القومي ؟ وما هو حجم السلع والخدمات التي ينتجهــا النظام ؟ ومن يصنع ويتحــزــ القرارات في هذا الشأن ؟ وكيف يصنع ويتحــزــ القرارات ؟ ومتى تنتــجــ هذه السلع والخدمات ؟ ومن يقوم بانتاجــها ؟ ولا تعددــ الميزانية العامة أن تكون تعــيراً عن هذه العملية.

**عملية التقسيم السياسي للعمل :** وتدور حول عملياتــ خلق وتعديل واسناد الأدوار السياسيةــ وأحياناً غير السياسيةــ في المجتمع، ومن ثم فإن هناك أسئلة عدة لا يجبــ عليها إلا بعمل سياسي : ما هي الأدوار أو التعديلــات في الأدوار التي أدخلــتها النظم المجتمعية أو تحتاجــها هذه النظم ولا بدــ وأن تلقــ دعــماً سياســياً ؟ وكيف تنظم الأدوار المجتمعية ؟ وكيف يجــبــ الأفراد في الأدوار المختلفة ؟ وكيف

ينشئون لأداء هذه الأدوار؟

**عملية الضبط السياسي :** يضع النظام السياسي العديد من الميكانيزميات التي تسمح بضبط فياضانات الانتقالات من النظم المجتمعية إليه أو منه إليها، أو لضبط سلوكه هو وسلوك أبنيته الفرعية، أو سلوك النظم المجتمعية الأخرى وسلوك أبنيتها الفرعية سواء اتخذت هذه الميكانيزميات شكلًا مباشرًا أو غير مباشر، وسواء اتخذت شكل العقوبة أو شكل المكافأة.

**عملية التوزيع السياسي :** وتدور حول توزيع ما ينتجه النظام من سلع وخدمات تشبع حاجة مباشرة أو غير مباشرة، وسلح دمية لا تشبع في الغالب حاجة تشبعها السلع والخدمات السابقة وإنما تشبع حاجة معنوية وتسمح بإعادة تشكيل تفضيلات المواطن، وكذلك توزيع الأعباء سواء كانت أعباء جماعية «كالضرائب والرسوم ذات الطابع النقدي أو الأرض والعمل مما له طابع عيني» أو كانت أعباء المشاركة في الحياة السياسية «ما تستلزمه من وقت وطاقة وموارد أخرى دبها فضل استخدامها في أغراض أخرى» أو كانت أعباء خارجة عن إرادة الأفراد والنظام نفسه لأنها تتبع من التصرفات الشرعية للآخرين ومن الوجود في مجتمع سياسي.

**عملية التغيير والاستقرار السياسيين :** وتدور حول كيفية احداث تغيرات دبها جوهرية أو طفيفة في أداء النظام أو في أبنيته أو شاغلي أدواته، أو في النظم المجتمعية الأخرى بطريقة لا تهدد بقاء واستمرارية النظام أو النظم الأخرى، أو تعرضها للخطر سواء عبر هذا الخطر عن اختلال في التشغيل أو عن انهيار كامل في البنية موضع التغيير.

٣—**بعدان للتحليل :** على الرغم من تعدد المفاهيم المستخدمة، في تحليل النظم السياسية وتعدد ما يعبر عن مضمونها، فإن مفهومين محوريين – هما : البنية والعملية(١٩) يعكسان الاهتمام المعاصر بالقضايا المجتمعية، وطابع التحليل المستخدم، والبنية مفهوم تحليلي أكثر منه مفهوماً واقعياً، ذلك أنه يمكن التمييز بين بنية العضوية التي تشير إلى مجموعة الأشخاص الأعضاء في البنية، والبنية التحليلية التي تشير إلى مجموعة الأدوار المتراقبة والتعمادة والمتميزة عن جموعات الأدوار الأخرى، وال الأولى أقل نفعاً من الثانية في تحليل الأبنية والنظم المجتمعية.

ويشير مفهوم العملية إلى مجموعة الاجراءات العملية المتراقبة والتعمادة والمحاجحة نحو هدف ما، ويتسم التحليل الذي يركز على البنية بالاستاتيكية، بينما الذي يركز على العملية بالдинاميكية، ويظهر الترابط بين البنية والعملية من استخدام بعدين للتحليل : المستوى الموقعي والمستوى الحركي، فالبنية تعبر عن المستوى الموقعي والعملية تعبر عن المستوى الحركي، وعلى المستوى الموقعي تتعدد الواقع النسبية للأدوار المختلفة، وهذه نظرة استاتيكية لا تأخذ التفاعل – التبادلات – بين الأدوار في الاعتبار(٢٠).

لا تسمح مساحة هذه الدراسة بطرح كل، أو معظم فروض وعلاقات التموج المقترن، ولذلك دركنا المناقشة على أبعاد ثلاثة : **الأول** خريطة التبادلات السياسية المجتمعية بغرض بيان النظم والأبنية المنخرطة فيها، ما تتبادله مع غيرها والعملة المستخدمة في التبادل، **الثاني** تشغيل النظام السياسي بمعنى مشكلة المواجهة بين الطلب على منتجاته وعرضها، **والثالث** العوامل المؤثرة على علاقات التبادل السياسي الاجتماعي.

**١ - خريطة التبادلات السياسية المجتمعية :** يمكن التمييز بين أربعة نظم فرعية يتكون منها المجتمع تحليلياً (٢١)، ونسمى كلا منها «نظاماً مجتمعياً»، وينتتج كل نظام مجتمعي ما يحتاجه الآخر ويبعد بقاء الأول كنظام فرعي للمجتمع ومتدين، كما أن لكل منها عملية خاصة – كالنقد في النظام الاقتصادي – تتم على أساسها التبادلات داخل الحدود التحليلية للنظام موضع النظر، كما يتم تمثيلها على أساس علاقتها بعملة تبادل أخرى إذا تم التبادل مع نظام مجتمعي آخر، كما أن لكل من هذه النظم غاية عظمى يسعى إلى تحقيقها تتعلق بطموحات مجتمع «النور الذاتي» أو «التسيير الذاتي»، وله في نفس الوقت غاية دنيا يسعى للحفاظ على، والاستمرار في أدائها لأنها متعلقة ببنائه كنظام مجتمعي وبقاء المجتمع كمجتمع، وبينما تشجع الغاية العظمى على التغيرات الواسعة والجذرية، فإن الغاية الدنيا توقيع الاستقرار والتوازن.

**النظام الثقافي :** وهو نظام التفاعل الرمزي – سواء عبر عن الثقافة بالرموز أو وسائل نقل الرموز – فهو في أوسع معاناته نظام المعتقدات والمعلومات حول الإنسان والعالم المحيط به بما في ذلك الذات – سواء كانت المعتقدات والمعلومات معرفية أو عاطفية أو تقييمية – فالنظام الثقافي هو مجموعة الأدوار والأبنية المنخرطة في عمليات تفاعل مجتمعي خلق وتعديل وتوزيع المعرفة والاتجاهات والتقييم للمجتمع، ويسعى النظام إلى الحفاظ على القيم والمعارف والمعتقدات السائدة فيه أو التوليد ذاتياً للجديد منها، وفيض كل هذا، إلى المجتمعات – أي نظمها الثقافية – الأخرى، ولكنه يعمل على مستمر فيه ثلاثة نقاط : الجمود والمرونة والحفظ على النط، ولذلك فإن معظم النظم الثقافية يتوجه معظم نشاطها إلى تحقيق «المرونة» – الا في أوقات محدودة من الصراع الفكري الدولي – ولا مجال للجمود إلا في الجماعات الصغيرة التي يحتوتها المجتمع قهراً – أي في الثقافات الفرعية – وإن كان هذا مشكوك فيه في ظل الأوضاع الاقتصادية المعاصرة، وأداة التبادل الثقافي هي «الرسالة» أو «المعلومة»، وهي ليست ذات وجود مادي ولكن لها وسائل نقل مادية.

**النظام الاجتماعي :** وهو مجموعة الأدوار والأبنية المنخرطة في تفاعلات مجتمعية تدور حول خلق وتعديل وتوزيع الفاعلين وأدوارهم وأوضاعهم الاجتماعية عاطفياً وواقعياً وتقديمية، فيوجد في كل مجتمع نظام يحدد أعضاءه وأدوارهم وأوضاعهم الاجتماعية، وغاية النظام الاجتماعي العظمى هي تحقيق الاندماج الكامل، أو ما عبر عنه روسو بالادارة العامة أو ما عبر عنه بالجسد السياسي، الواقع أنه

يعلم على مستمر فيه ثلاثة نقاط : التفكك والترفيه والاندماج، فالتفكير لا يسمح ببقاء وجود المجتمع، والتراضية هي الحد الأدنى لاستمرار انجاب الفاعلين أو تنظيم انجابهم والاستمرار في شغل الأدوار المجتمعية والرضا عن هيكل التدرج الاجتماعي ولو نسبياً، وكذلك لوجود حدود لعلاقات الصراع «أو التنافس» والتعاون «أو التنسيق» حتى لا تهدد بقاء المجتمع، ووسيلة التبادل الاجتماعي هي المحبة.

**النظام الاقتصادي :** وهو مجموعة الأدوات والأبنية المنخرطة في تفاعلات مجتمعية تدور حول خلق وتعديل وتوزيع السلع والخدمات بما يتضمنه ذلك من تخصيص وتوطين للمواد، ويسعى النظام الاقتصادي لأن يكون نظام تأقلم ذاتي، أي نظام يحقق الوفرة الاقتصادية بتأقلمه الذاتي مع البيئة المادية والحيوانية والانسانية للمجتمع، ولكنه يعمل على مستمر فيه ثلاثة نقاط هي : الاعتماد الكامل على نظام آخر، والكافية، والوفرة «أو التأقلم» والحد الأدنى لوجود الفاعلين ولتسهيل عملية الانتاج هو درجة أخرى من الكفاية سواء بمواد ذاتية «داخلية» فقط أو بمواد داخلية وخارجية معاً، وعملة التبادل — وهي أكثر أشكال العملات المجتمعية تطوراً — النقود.

**النظام السياسي :** وهو مجموعة الأدوات والأبنية المنخرطة في تفاعلات مجتمعية تدور حول خلق وتعديل وتوزيع الأشياء ذات القيمة المجتمعية للمجتمع ككل بما في ذلك من اصدار وصنع القرارات والسياسات الملزمة للمجتمع، ويسعى النظام السياسي الى تحقيق المدف المجتمعى وهو الوجود الفعال — أيضاً يكون الفاعل — في البيئة الدولية بما قد يعنيه ذلك من سيطرة وفرض نفوذ أو خلق علاقات غير متكافئة يكون هو الأعلى فيها، أو بما يعنيه من تحقيق الطموحات المجتمعية منها كان حجمها أو نوعها، ولكن في الغالب الأعم من نظم العالم المعاصر يعمل عند نقطة أدنى من ذلك على مستمر فيه ثلاثة نقاط : عدم الفعالية والفعالية وتحقيق المدف، فعدم الفعالية يشير الى عدم الوجود المتميز، والفعالية هي الحد الأدنى للحفاظ على النظام السياسي بين النظم الأخرى، وهي من جانب آخر مبرر ممارسات النظام السياسي على النظم المجتمعية الأخرى، وعملة التبادل هي القوة.

ويوضح الجدول التالي هذه الأفكار بصورة مبسطة وأولية للغاية، وتشير الى أن الاهتمام لا ينصرف الى وظائف سياسية محددة وإنما الى مناطق و المجالات تفاعل سياسي يتم بعضها داخل النظام السياسي، وبعضها الآخر في مناطق تقاءع بينه وبين النظم المجتمعية الأخرى، ولا ينصرف الى ما يحافظ على، ويسمح باستمرارية النظام السياسي فقط، وإنما أيضاً الى ما يحافظ على، ويسمح باستمرارية المجتمع ككل في وقت يعمل فيه النظام السياسي — وكذلك النظم المجتمعية الأخرى — على احداث تغيرات تنموية أو وسائلية في المجتمع ككل بما في ذلك النظام السياسي نفسه.

٢ – طلب وعرض مخرجات النظام السياسي (٢٢) : ليس الانسان واحدي البعد، فهو اجتماعي واقتصادي وثقافي وسياسي النشاط، وله في كل مجال احتياجاته التي يستطيع اشباعها من خلال التفاعل في اطار النظام المأمور، فحاجاته الاجتماعية موضعها ومصدر اشباعها تفاعلات النظام الاجتماعي أساساً، وحاجاته الاقتصادية موضعها للنظام الاقتصادي، وحاجاته الثقافية موضعها

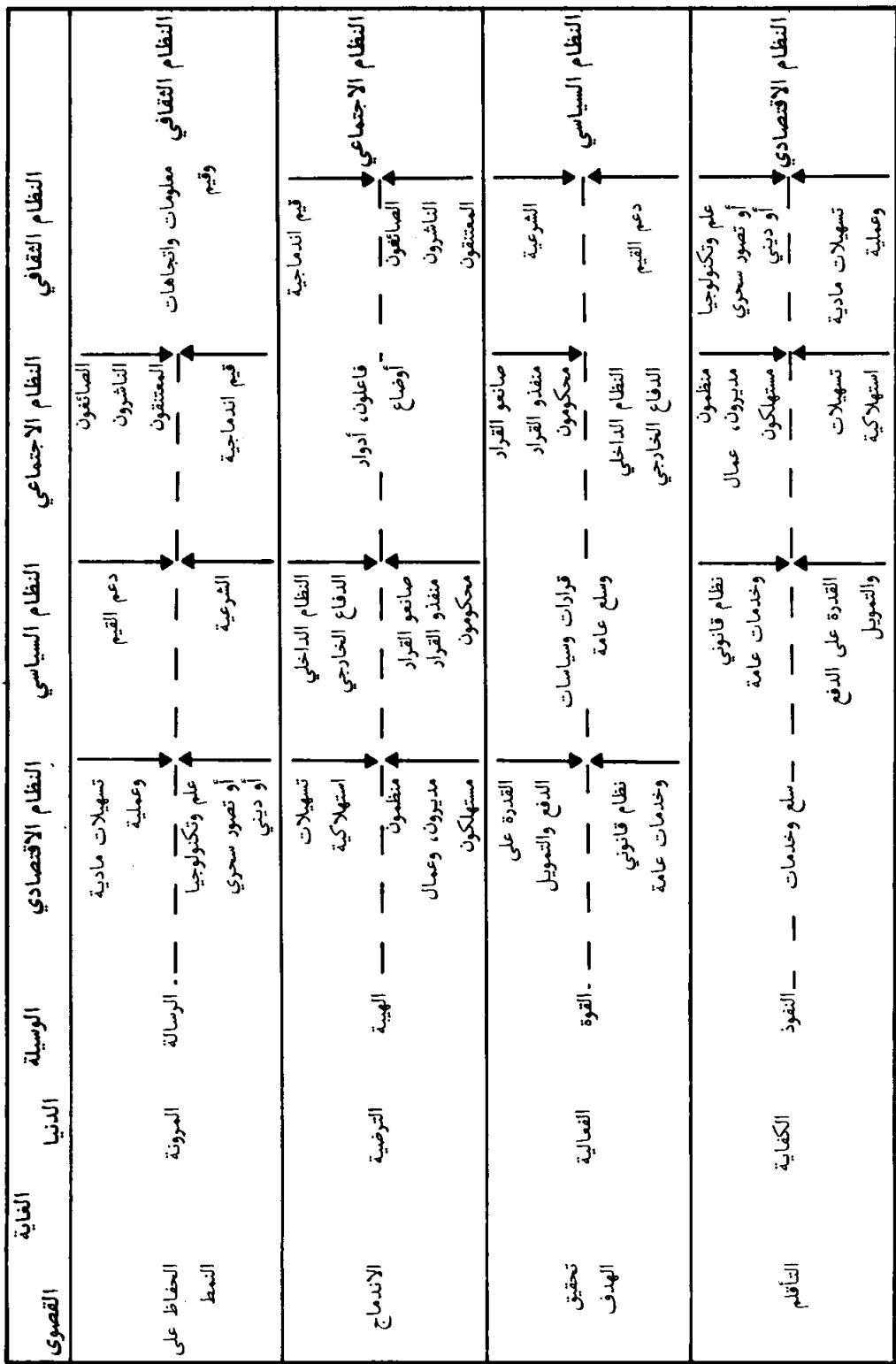
النظام الثقافي، وحاجاته السياسية موضعها النظام السياسي، ويترافق حجم وتنوع هذه الحاجات يوماً بعد يوم، فبعد أن كانت وظائف النظام السياسي مقصورة على الأمن والدفاع وتسويه المنازعات التي تفشل الجهود غير الرسمية في تسويتها، اذ به متدخل في جميع جوانب الحياة المجتمعية، لا شيء إلا أن تفاعلات النظم المجتمعية الأخرى أصبحت غير قادرة لسبب أو آخر – دعماً منها تدخل النظام السياسي – على مواجهة التزايد المستمر والتتنوع الضخم في احتياجات الفاعلين، ولذا ينسجم تعريفنا للنظام السياسي مع طبيعة ونوعية الأنشطة والتفاعلات التي ينخرط فيها سواء في نظم ليبرالية أو شيوعية أو نامية، فالسياسة ليست مجرد استخدام للقوة وإنما استخدام للعديد من الموارد المتاحة للنظم المجتمعية الأخرى، وتتصبغ بصورة متزايدة تحت سيطرة النظام السياسي – أو متاحة له – لعجز أو قصور النظم المجتمعية الأخرى في استخدامها الأمثل أو في توجيهها نحو ما يجب أن يكون من وجهة نظر المجتمع ككل لا وجهة نظر نظام مجتمعي فقط، ولم تعد السياسة مجرد «سلطة» تقيم على أساس شرعيتها أو مشروعيتها فقط، وإنما تقيم أيضاً على أساس أداء النظام السياسي في الحياة المجتمعية، ولم تعد «خدمة» مصلحة فرد أو أقلية أو كثرة معياراً جيداً لتصنيف النظم، وإنما خدمة مصلحة مجتمعية سواء تضمنت خدمة مصالح فردية أو أقلية أو أكثريّة، ولم تعد مجرد «تحصيص سلطي للاقىم» وإنما أصبحت أيضاً خلقاً وتعديلًا سلطويًا وغير سلطوي للأشياء ذات القيمة.

ولذلك فإن المشكلة التي تواجه النظام السياسي ذات وجهين : **الاول** ندرة الموارد المتاحة إزاء الحاجات المتزايدة – المطالب السياسية المجتمعية(٢٣) **والثاني** الاختيار بين الاستخدامات البديلة للموارد المتاحة بحيث يعظم الانجاز في مجالين : اشباع المطالب السياسية، والنحو «التنمية» المعولة في قدرات النظام السياسي والنظم المجتمعية الأخرى «أو بعبارة موجزة قدرات المجتمع السياسي». وإذا كان المستهلك يستطيع اشباع حاجته إلى الطعام مثلاً، بشراء السلعة التي تشبعها ظبالقدر الذي يكفيه، فإن هذا الطلب يقوم على دكيزيتين : الرغبة في تحقيق الاشباع، والقدرة الشرائية، فإذا ما توافرت الرغبة دون القدرة فان الطلب يكون كامناً، وإذا توافرت القدرة دون الرغبة، فلا طلب على الاطلاق، وإن كان من الممكن أن تخلق القدرة الرغبة وليس الأمر على هذا المنوال إزاء كل منتجات النظام السياسي، وإن المبدأ العام ما ذال صحيحاً، وهو أن هدف المستهلك هو «تعظيم» منفعته أو اشباعه، وإذا كانت المنشأة الاقتصادية تسعى إلى «تعظيم» الربح، فتنتتج وتعرض من منتجاتها ما يتسرق وهذا الهدف، فإن هدف أبنية النظام السياسي تعظيم العائد الاجتماعي بما في ذلك – أحياناً – العوائد النقدية.

ويتيح النظام السياسي – في الواقع – أربعة أنواع من السلع والخدمات، بينما يتيح النظام الاقتصادي نوعاً واحداً – الا اذا أدخلنا النظام السياسي كقطاع أنتاج حكومي الى جانب القطاعين العائلي والخاص – وهي (٢٤).

– السلع والخدمات الخاصة : و شأنها شأن السلع والخدمات التي ينتجهما النظام الاقتصادي حيث يحصل عليها من يدفع «معيار الاستبعاد» ومن يستهلك وحدة لا يستهلكها غيره «معيار

## خرطة التبادلات السياسية — المجتمعية



- التنافس» وغياب الأثر العام «معايير الاستقلال في الاستهلاك».
- وإذا ما توافر المعيار الأول والثاني وغاب الثالث فإن السلعة أو الخدمة تكون شبه عامة مثل ما تقدمه المرواق «المنافع» العامة من خدمات.
- وإذا كان استهلاك السلعة أو الخدمة يفتقر إلى المعايير الثلاثة، يعني أن ما يستهلكه «أ» لا يمنع أن يستهلكه «ب»، ويحصل عليها كل فرد بدون تحمل نفقات ما، ولها آثار مجتمعية عامة، فإنها تكون سلعة أو خدمة عامة.
- وهناك نوع داعم ليس سلعاً ولا خدمات وإنما مدفوعات نقدية يقدمها النظام السياسي لغرض أو آخر دون أن يصحبها مقابل ملموس، وإن كان هناك عائد مجتمعي عامر منها.
- وعندما نتحدث عن الطلب على هذه المنتجات لا بد وأن نفرق بين أمرين : استهلاك السلعة أو الخدمة والطلب عليها، فاستهلاك كل هذه المنتجات قد يعالج على أساس فردي، ويمكن دسم منحنيات طلب «استهلاك» فردي لكل منها، واشتقاق طلب «استهلاك» السوق منها، إلا أن الطلب الذي يخلق العرض لا يمكن الحديث عنه على هذا النحو، فبعض هذه المنتجات يمكن اعتبار الطلب «الاستهلاك» السوقى طلباً عليها، وبعضها يواجه نوعاً آخر من الطلب هو الطلب الجماعي «أو الجماعي»، خدمات البنية الأساسية — مثلاً — لا يمكن القول بأن الطلب عليها طلب فردي وإنما هو طلب جماعي تولد عنه استهلاك فردي، وكذلك الحال بالنسبة للطلب على السياسات والقرارات ، وحتى دخول النظام السياسي في انتاج السلع والخدمات لا يمكن اعتباره وليد طلب «استهلاك» فردي وإنما هو وليد طلب جماعي.
- ولا يمكن الحديث عن عرض منتجات النظام السياسي على أنه عرض متولد عن الطلب فقط، ذلك أن بعض المنتجات يتضمن هذه القاعدة كالسلع والخدمات الخاصة وإلى حد ما المنتجات شبه العامة، ولكن في معظم الأحوال يكون العرض وليد «السياسة العامة» وتصورات القيادة عن الصورة المرغوب فيها للمجتمع والاحتياجات المجتمعية، أو وليد فكرة أن العرض يخلق الطلب.
- يمكن القول — إذن — أن النظم السياسية لا تختلف في غايياتها المجتمعية إلا من حيث الدرجة والأهمية، فكلها يسعى إلى تعظيم العائد المجتمعي من خلال زيادة قدراته هو أو زيادة قدرات النظم المجتمعية الأخرى أو كلها معاً، أما الاختلافات الحقيقة فهي في تنظيم وحجم وكثافة و مجال علاقات التبادل بين النظام السياسي والنظم المجتمعية الأخرى.

٣— العوامل المؤثرة على علاقات التبادل السياسي المجتمعى : تقوم النظم المجتمعية بدورين : أحدهما توفير الموارد الازمة لتشغيل واستمرار النظام السياسي «أى تعرض مقومات التشغيل والأداء»، وثانيةها استهلاك متجانس النظام السياسي وتحمل مضاعفات تشغيله وأدائه، ولذلك يثار السؤال «ما هي العوامل أو المتغيرات» المؤثرة على التباينات بين النظام السياسي والنظم المجتمعية في كلا الجانبين ؟

يمكن تقسيم هذه المتغيرات تقسيماً ثلاثةً : المتغيرات البنوية «أي المتعلقة بالأبنية» والمتغيرات الحركية «ال المتعلقة بالتشغيل والعمليات» والمتغيرات التقييمية «المتعلقة بمستوى ونوعية الأداء»، ولا يهدف إلى مناقشة هذه المتغيرات بالتفصيل، وإنما اعطاء صورة موجزة وأولية.

**المتغيرات البنوية :** يوجد متغير هام يظهر في كل النظم المجتمعية بما فيها النظام السياسي، وهو المتغير الذي كثيراً ما استخدمه الدارسون، وهو «تقدير وتقييم الأدوار والأبنية» وهو يشير إذا ما كان الحديث عن «بنية المجتمع» أي تكوين النظم المجتمعية «لكل موحد» إلى جانبين : علاقات الاعتماد المتبادل، والاستقلال النسبي بين النظم، وإذا ما كان الحديث عن نظام فرعي واحد فيشير إلى مدى «تعقد» النظام ومدى استقلال أبنيته الفرعية والأدوار فيه.

أما بالنسبة للمتغيرات الخاصة بكل نظام جمعي فيمكن القول بأن هناك ثلاثة متغيرات أساسية في النظام الاجتماعي هي : بنية التدرج الاجتماعي مقلقة أم مفتوحة؟ مؤسسة على الهيبة الاجتماعية أم على سواها؟ والاندماج الاجتماعي بما يشيره بالنسبة لسألتي : التكوين الطبقي والتباينات الأقليمية سواء قومية أو إثنية أو غير ذلك، واندماج الصفة في الجماهير بما يشيره من امكانيات تعبئة الجماهير والمساندة وكون الصفة معرضة للجماهير أو غير محمية عنها أو مفصولة عنها.

وتوجد ثلاثة متغيرات محورية في النظام الاقتصادي وهي : الامكانيات الاقتصادية للنظام، وفقط التنظيم الاقتصادي «مخطط أم اقتصاديات السوق»، وأحجام المنشآت الاقتصادية.

أما بالنسبة للنظام السياسي فتوجد خمسة متغيرات فيصلية : الوجهات السياسية لصانعي ومنفذى القرارات والسياسات، ومدى تمثيل المجتمع السياسي، ومدى مشاركة أو تعبئة المجتمع السياسي، وحجم واستقرار الشرعية والمساندة، والعلاقات بين صانعي القرارات والسياسات وبعضهم البعض، وأيضاً بالنسبة للمنفذين، والعلاقات بين الفئتين.

وتوجد أربعة متغيرات جوهرية في النظام الثقافي وهي : مدى «علمانية» الثقافة السياسية، والاندماج الثقافي بمعنى عدد وحجم وتأثير الثقافات السياسية الفرعية، والネット الثقافي العام أو المسيطر «ثقافة مشاركة أم دعوية أم ضيقة، الخ»، وتنظيم عملية التنشئة السياسية والاجتماعية.

**المتغيرات الحركية :** وتشير إلى مدى اعتقاد القرارات والسياسات على التفضيلات المجتمعية، وإلى مدى وامكانيات التعبئة السياسية، وإلى مدى قيام النظام السياسي بتخصيص الموارد المجتمعية ومدى قيامه ب التقسيم العامل، وحجم وفعالية ما يضعه من ضوابط لتنظيم المجتمع، ومدى ونطاق التوزيعات السياسية للأشياء ذات القيمة، ومدى وحجم واتجاه ما يدخله من تغييرات في المجتمع، ويمكن تلخيص كل هذا في متغيرين هما : مدى استجابة النظام السياسي للنظم المجتمعية الأخرى، ومدى سيطرة النظام السياسي عليه.

**المتغيرات التقييمية :** وتدور حول الأبعاد التالية : اسهام النظام السياسي في تحقيق الغايات الحركية للنظم المجتمعية الأخرى وهي : المرونة والكافية والترضية، ومدى اسهام أداء النظام في زيادة

قدراته هو، ومدى الالتزام التحقيقي أو «بالتنمية والتغيير» للنظام، ومدى واتجاه الالتزام التأسيسي للنظام، ومستوى الأزمات التي تولد عن أو يواجهها أداء وتشغيل النظام ومدى الاستقرار أو التوازن المجتمعي الذي يحققه أداء وتشغيل النظام.

— ٥ —

بعد هذا العرض الموجز، يجدر تذكير هدف هذه الدراسة، ان ابراز معلم تطور دراسة النظم السياسية المقارنة، وإثارة العديد من الأسئلة التي قد تسمح ببلورة إطار صالح لإجراء مقارنات ذات معنى – علمياً وعملياً – بين مختلف النظم السياسية، ولذلك دكوت الدراسة على المعلم الرئيسية للتطور، وعلى المفاهيم الأساسية وال العلاقات المحدودية والفرضions الجوهرية في المفهود المقترن، ولذلك أسلم مع القاريء أن الكثير مما يطرحه المفهود يحتاج إلى تعريفات اجرائية، ويحتاج إلى اختبارات امبيريقية، ولكن لا يفوتي في هذا المجال أن أشير إلى أن المفهود المقترن قد يسمح بتحقيق اضافة إلى المعرفة السياسية، وقد يكون مفيداً من الناحية التنظيرية، وقد يسمح بتفسير بعض الظواهر السياسية الحيرة، وقد يحل بعض المشكلات التنظيرية والامبيريقية في دراسة النظم السياسية.

فيينا نجح الاقتصاديون في تحديد المشاركون في حل معضلة الاختيار باستبعاد الأنشطة التي لا تتضمن تفاعلاً مع وحدة أخرى – أي تقتصر على الوحدة الفاعلة – والأنشطة التي لا تتضمن انتقالات سوقية والانتقالات غير الانتاجية – أي لا تتحقق قيمة مضافة ما زالت مثل هذه الأنشطة تقيد حركة دارسي النظم السياسية، فما زالت تشهد حالات عدم التفاعل – أو اللامبالاة – وما زالوا ينظرون إلى ما يمكن وصفه بأنه «الاتجاهات» نحو المشاركة السياسية أو «امكانيات» لها على أنه مشاركة تتضمن تفاعلاً، والاعتقاد الأيديولوجي على أنه حركة أيديولوجية، والقراءة لصحيفة أو مجلة على أنه «إعداد» للحركة، وباختصار ما زالوا ينظرون إلى ما يحب على السؤال : لماذا هذا التصرف أو عدمه ؟ على أنه تفاعلات سياسية تتضمن انتقالات حركية، ولذلك ينبغي التمييز – كما وضحنا – بين التفاعلات التي تم داخل نظام مجتمعي ما ولا تتضمن انتقالات بينة وبين النظام السياسي، وتلك التي تتضمن انتقالات معينة، فثلا اتجاب الفاعلين في النظام الاجتماعي تفاعل داخل لا يدخل في إطار التحليل الا اذا أصبحت خفة أو كثافة السكان مشكلة مجتمعية تتطلب حلاً سياسياً، وبالتالي انتقالات بين النظام السياسي والنظام الاجتماعي – ودما الاقتصادي والثقافي – فالتفاعلات التي لا تؤثر ولا تتأثر بصورة واضحة – مباشرة أو غير مباشرة – بحركة النظام السياسي ينبغي استبعادها من التحليل، كما ينبغي التمييز بين نوعين من الحركة : تلك التي تتضمن مشاركة فعلية – أيها كان حجمها أو نوعها – وتلك التي تتضمن تأثيراً أو نفوذاً على العمليات السياسية، أما ما عدا هاتين الشركتين فهي شريحة «اللامبالين أو غير المهتمين» وهي ليست موضع الاهتمام الا من قبيل «امكانية التعبئة» كمورد من موارد الحركة السياسية.

وعلى الرغم من أن «الفرد» موضع اهتمام علماء الاقتصاد — خاصة الاقتصاد الجزئي — إلا أن الغالب أن التحليلات الاقتصادية تدور حول «الوحدة» — سواء كانت وحدة فردية أو جماعية — فالوحدة في قطاع الانتاج ليست فرداً وإنما المنشأة وإن كان كل العاملين بها فرداً واحداً، او مملوكة لفرد واحد، والوحدة في قطاع الاستهلاك الاسرة حتى لو تكونت من فرد واحد، وهنا يظهر ما يوفره هذا من امكانيات التعميم، بينما ما زالت النظم السياسية تدور حول متطرفيين : الفرد والكليات عالية التجريد دون مزيد من الاهتمام بما بينها من وحدات، ولذلك يعد الاهتمام بالأنبوبة الفرعية والأدوار نقلة في اتجاه تطوير الدراسة المقارنة للنظم السياسية.

وبينا نجح الاقتصاديون — إلى حد كبير — في تطوير معايير موضوعية ترشد التقييم والحركة، مثل «الوضع الاجتماعي الأمثل» لباريتتو، و «مبدأ التعويض» لكايدور، و «المعيار المزدوج» لسيتوفسكي، و «زيادة الدخل الحقيقي» لسامولسون(٢٥)، ما زال دارسو السياسة عموماً — والنظم السياسية خصوصاً — مشغولين بالجدل الدائر حول ثنائية : «الواقعية القيمة»، — أو الامبيريقية/ القيمة — ولعل نقل الدراسة من الفاعل الفرد / أو النظام الكلي إلى النظم الفرعية والأنبوبة والأدوار، والتركيز على التصرفات — الافعال — المؤسسية، وعلاقات التبادل يسمح بتسوية هذا الجدل الذي تحول إلى صراع بين أنصار النظرية القيمية — المدرسة الفلسفية — وأنصار النظرية الامبيريقية — المدرسة السلوكية — ويسمح بتنمية معايير موضوعية للحركة والتقييم ذات أسس قيمة.

وبينا نجح الاقتصاديون — نسبياً — في تفسير ما يواجه التنمية الاقتصادية وما يصحبها من أزمات، ما زالت الدراسات السياسية عموماً — ودراسات النظم السياسية في الدول النامية خصوصاً — دراسات وصفية، ولعل هذا المزدوج يسمح بتقديم تفسير موضوعي لأزمات التنمية السياسية ومفید للحركة السياسية، فقد وضحت احدى الدراسات(٢٦) أثر التباين في تقييم عملة أي من النظم المجتمعية لصالح عملة النظام السياسي — القوة — فكشفت عن أن التباين في تقييم المبادئ يقود إلى ظهور أزمات المشاركة والاندماج، وأن التباين في تقييم الرسالة يقود إلى ظهور أزمات الشرعية والهوية، وأن التباين في تقييم النقد يقود إلى أزمات التوزيع والتغلغل.

ولا شك أن تطوير هذا المزدوج يتوقف على نوع وحجم ما يشيره لدى الباحثين من تساؤلات، وما يدفعهم إليه من دراسات، وما يقدمون إزاءه من انتقادات.

## الهوامش

١ - يجد القاريء تفصيلات أخرى في :

Wasby, Stephen L. (ed), Political Science : The Discipline and Its Dimensions (Calcutta ; Scientific Book Agency, 1970).

Holt, Robert T. & Turner, J.E. (eds). The Methodology of Comparative Research (N.Y Free Press, 1970), Maeridis, Roy C. & Brown, Bernard E. (eds); Comparative Politics; Notes and Readings (Homewood , Sll. Dorsey Press, 1977).

٢ - يقدم : السيد عبدالمطلب غانم المحليات : دراسة مقارنة في الادارة والنظم المحلية «القاهرة : هبة الشرق، ١٩٨١» الفصل الأول، مناقشة مفصلة هذه المسألة.

٣ - Czudmowski, Moshe M. Comparing Political Behavior  
(California : SAGE, 1976) PP. 11-12.

٤ - Ibid. P. 12, Holt & Turner, The Methodology of Comparative Research, PP. 4-5.

٥ - انظر : السيد عبدالمطلب غانم، الاتجاهات المعاصرة في دراسة النظم السياسية «القاهرة : دار القاهرة، ١٩٨١»  
والمراجع التي أحال إليها.

٦ - من أهم مؤلفات ديفيد استون التي توضح ذلك :

Easton, D. A Systems Analysis of Political Life (N.Y. John Wiley, 1965), A Framework for Political Analysis (N.J. Prentice-Hall, 1965).

٧ - يراجع خاصة :

Almond, G.A. & Coleman, J.S. (eds)-The Politics of Developing Arens (Princeton : Princeton Univ. Press, 1960)

Almond, G.A. & Powel, G. B, J Comparative Politics : A Developmental Approach (New Delhi, Amerind, 1972).

٨ - Aptar, D. E. The Political of Modernization (Chicago Univ. of Chicago Press, 1965).

٩ - Deutsch, Karl W. The Nerves of Government (N.Y. Free Press, 1963);  
Politics and Government (Boston, Muss; Houghton Mifflin Co., 1974).

١٠ - روبرت داهل، الجديد في التحليل السياسي، ترجمة خيري حماد «الدار القومية، ١٩٦٥»، أما  
كتابات لاسوبل فعديدة وأهمها :

Lasswell, H. D. Politics: Who Gets What, When, How in Lasswell

H.D.; Collected Works (Glencoe, Ill. Free Press, 1951); Lasswell, H.D. Kaplan, A.; Power and Society; A Framework for Political Analysis (New Haven; Yale Univ. Press, 1950).

١١ - Mitchell, W.; The American Polity (N.Y.; Free press, 1962)

١٢ - أنظر المراجع في هامش (١٠) وانظر أيضاً :

Snyder, R.C etal.; Foreign Policy and Devision-Making.  
(N.Y.; Free Press of Glengo, 1962).

١٣ - توجد دراسة انتقادية لأفكار هؤلاء وغيرهم في : السيد عبدالمطلب غام، دراسة في التنمية السياسية «القاهرة : هبة الشروق، ١٩٨١».

١٤ - قدمت دراسات استون ودراسات الموند سابقة الذكر انتقادات جيدة لهذه المفاهيم، وبلورديكر هذه الانتقادات في :

Riker, W. H.; The Theory of Political Coalition (New Delhi Oxford & IBT Co., 1970) Chap. 1.

١٥ - Apter, D.E. ; Political Change (London; Frank Cass & Co. 1973).

١٦ - يعود الفضل في بلوغ هذه النقطة الى الفكر الاسلامي خاصة فكرة السياسات عند ابن سينا وعند الفارابي،  
وعند اخوان الصفا.

١٧ - يعود فضل بلوغ هذه العمليات الى دراسات السياسة العامة ومنها :

Jones, Charles O.; An Introduction to the Study of Public Policy (Boston, Mass. Duxbury, 1978); Dye, Thomas R.

Understanding Public Policy (Engelwood Cliff. N.J. Printice- Hull, 1984); Dror, Y. Public Policy Making Reexamined (New Brunswick; Trunactions Books, 1983).

١٨ - أنظر السيد عبدالمطلب غام، الاتجاهات المعاصرة في دراسة النظم السياسية الفصل الثاني.

١٩ - قد يتم ذلك عن طريق التعبئة الارادية لموادد لا تملك الحكومة سلطة تعيتها، أو يقبول تخفيض أهداف المجتمع،  
أو بقبول استمرار الأوضاع الراهنة لمدة زمنية أطول.

٢٠ - يقدم السيد عبدالمطلب غام، دراسة في التنمية السياسية، ص ٧، النظم المجتمعية على المستوى الموقعي.

٢١ - يعود الفضل في بلوغ هذه الأفكار الى كتابات تلکوت بارسونز فقارن.

Parsons, T.; The Social System (N. Y.; Free Press, 1964);  
Parsons, T. & Smelser, N.J.; Economy and Society (N.Y.; Free Press, 1965); Parsons, T. & Shils, E. A.; Toward A General Theory of Action (Cambridge, Mass. Harvard Univ. Press, 1951).

وانظر مراجعة جيدة لأفكار بارسونز في، چي روشييه، علم الاجتماع الأمريكي : دراسة لاعمال تالكوت بارسونز، ترجمة محمد الجوهري، أحد زايد «القاهرة : دار المعارف، ١٩٨١م».

٢٢ — اللجوء الى التفكير الاقتصادي في علم السياسة قديم، ولقد كشف كتاب كاتلين الذي صدر عام ١٩٢٧ من استخدام هذا الأسلوب، وقد تبلور هذا الأسلوب بصورة أو أخرى على يد مدرسة تسمى «الاقتصاد السياسي»، هذا فضلا عن أن بعض علماء السياسة قد استخدم هذا الأسلوب مثل دادنز، فانظر على سبيل المثال :

Catlin, G. E. G.; The Science and Method of Politics (Hamden Conn.; Archon Books. 1964); Frohlich, A. & Oppenheimmer, J. A.

Modern Political Economy (Englewood Cliffs, N.J; Prentice-Hull, 1978).

Downs, A.; An Economic Theory of Democracy (N.J; Hurper & Row, 1957).

٢٣ — يتطلب وجود هذه المطالب : وجود حاجات أو توقعات شريحة «أو شرائح» من السكان تحتاج الى اشباع باللحاج، وأن يكون لدى أصحاب هذه المطالب فرصة للتعبير عنها، ويتوقعون ان تقوم الحكومة بعمل ما لاشباعها، وأن توفر القيادة والمواد التنظيمية الازمة لتكبيلها في بدائل للسياسة العامة، وذلك الى جانب الرغبة في القيام بتبادل والقدرة عليه.

٢٤ - Reynolds, L.G; Micro-Economics; Analysis & Policy (Homewood, Ill. Richard D. Irwin, Inc., 1979) Chaps. 10 & 11.

٢٥ — مناقشة جيدة لهذه المعايير في : عمرو محي الدين : محاضرات في الاقتصاد الاجتماعي، مذكرات غير منشورة «جامعة القاهرة : كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ١٩٧٧م».

٢٧ — السيد عبدالمطلب غام، دراسة في التنمية السياسية، الفصل السادس.

## بحوث ودراسات

### خلق العلم النافع

اقتراح بحداث مقرر خاص بالاستعمار الاستيطاني  
المقارن في أقسام العلوم السياسية الجامعات العربية \*

الدكتور جورج جبور \*

ادا كان عنوان هذا البحث يوحى بأن لأقسام العلوم السياسية في الجامعات العربية تقدما على غيرها من الأقسام والكليات في دراسات الاستعمار الاستيطاني فقد خاني اختياري العنوان. فما قصدته منه «أي العنوان» هو تثبيت دور أقسام العلوم السياسية في دراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن، دور تشارك به مع أقسام وكليات أخرى مثل أقسام التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع وغيرها. ف مجال دراسات الاستعمار الاستيطاني أوسع من أن يشمله حقل أكاديمي واحد.

\* بحث مقدم إلى ندوة لازنكا بقبرص حول الاتجاهات الحديثة في العلوم السياسية والواقع العربي ١٢٧/٢ - ٢/١٩٨٧م.

\* مدير مكتب رئيس الجمهورية العربية السورية للدراسات العامة، «وابقاً استاذ ورئيس قسم البحوث والدراسات السياسية والقومية في معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٧ - ١٩٧٩» ورئيس اللجنة العربية لدعم القرار ٣٣٧٩ والبحث يمثل آراء صاحبه الشخصية.

ونبين في هذا البحث أهمية مفهوم الاستعمار الاستيطاني ثم أهداف اقتراحتنا بإنشاء مقرر، وخطة المقرر المقترن ومدته ومستواه. أما القسم الرابع والأخير فسنعرض للاحظات ختامية ختمها بعض اقتراحات ذات طبيعة تطبيقية، أي يمكن ان تقررها جمعيتنا هنا وفي هذه الندوة.

## اولا : اهمية مفهوم الاستعمار الاستيطاني

اذا عدنا النزاعات العالمية الكبرى، فلن نستطيع الا أن نضع في عدادها النزاعين في كل من الشرق الاوسط وافريقيا الجنوبية. واذا أمعنا النظر في تكيف كل من هذين النزاعين لوجودنا ان تكيفهما واحد، فهذا النزاعان ناتجان عن الوجود الحاكم لحوالي ثمانية ملايين من السكان الغربياء عن المحيط الذي يحيط بهم، نصفهم في فلسطين والاراضي العربية المحتلة، ونصفهم الآخر فيما يدعى جمهورية جنوب افريقيا.

وبتعبير «غرباء عن المحيط الذي يحيط بهم» نقصد مجموعة أمور تخص الوضع الاجتماعي – الاقتصادي – السياسي الراهن، ولا نقصد بالضرورة ان نخوض في بحث تاريخي، أتقنه الصهاينة والبوير اكثر مما أتقنه العرب والافريقيون، ومن أقدم، العرب أم الصهاينة، الافريقيون أم البوير، في كل من فلسطين وجنوب افريقيا.

هذه «الغرابة عن المحيط» هي التعبير – المفتاح لجملة مظاهر متفاولة ينجم عنها نمط موحد من السلوك نشهده في التوضعين الاستيطانيين، الصهيوني والايض، بواجهتها المحيطين العربي والافريقي.

ثم ان هذين التوضعين الاستيطانيين، الى جانب غربتها عن محيطهما، وهي غربة تتباين عنها العنصرية ضرورة، قدرة ذرية لا يداري بها، بل وتحالفا ذريا يبلغ مرحلة التكامل الذري، يعطي كل الامتداد العربي – الافريقي. بل ويمكن القول انه ما من دولتين في الامتداد العربي – الافريقي تتبادلان الحب فيما بينها «وان يكن سوريا في كثير من الاحيان بناء على رغبة اسرائيل، لأن نظام الابارتايد عدو مشروع لكل افريقيا ولعزم الانسانية» بالقدر الذي يتتبادل فيه الحب التوضعان الاستيطانيان في فلسطين وجنوب افريقيا.

وبالطبع تتجه معظم سياسات الدول العربية والدول الافريقية الى مناهضة هذين التوضعين الاستيطانيين. ولم يكن انشاء جامعة الدول العربية وانشاء منظمة الوحدة الافريقية الا ظهورا من مظاهر هذه المناهضة، رغم ان هاتين المنظمتين الاقليميتين انشغلتا تاريخياً في امور اخرى الى جانب مناهضة الصهيونية والابارتايد، مثل هم تصفية الاستعمار التقليدي، واهم الأكبر في احكام تقاليد تعاون يقود الى تنسيق متكمال. على كل حال، ليس من الخطأ الرابط بين هذين اهمن في تصفية

## بحوث ودراسات

الاستعمار التقليدي وفي أحكام تقاليد التعاون وبين مناهضة الصهيونية والابارتايد. بل ولا دين أن التحليل الأدق يقودنا إلى الإيمان بوحدة هذين الممرين مع مناهضة الصهيونية والابارتايد.

والآن إذ يزداد عصف «رياح التغيير» في جنوب إفريقيا حتى ليكاد ذلك العصف يقتلع من جذورها تلك القلعة العنصرية، فلدينا من الشواهد ما يثبت أن الأكثر اهتماماً في الامتداد العربي – الإفريقي بالمعنى المختل للابارتايد، بعد الدول الأفريقية المحاطة بجنوب إفريقيا، هم الصهاينة. إنهم يرون في المصير المحتوم للابارتايد إشارة حزينة إلى مصير لهم محتمل يحاولون تجنبه، ويجدون في خلق الظروف الموضوعية التي تساعدهم على تجنبه.

### ثانياً : أهداف الاقتراح

للاقتراح أهداف ثلاثة علمية وقومية «وحيثما ترد كلمة (قومية) في هذه الصفحات فتحن نعني بها قومية عربية»(١) وانسانية.

ويتمثل الهدف العلمي في تطوير علم السياسة في العالم بالاتجاه مراقبة ظاهرة هامة هي ظاهرة التفاعل بين توضع استيطاني مرفوض أساساً بواجهة محيط رافق له أساساً. نقول «أساساً» لأن ثمة ظواهر قبول بالتوضع الاستيطاني، رغم محدوديتها. تمثل هذه الظواهر في اتفاقية كامب – ديفيد، وفي معايدة نكوماتي «بتاريخ ١٩٨٤/٣/١٦» التي أطلق عليها اسم «اتفاقية – كامب – ديفيد الإفريقيّة»(٢). ولا دين أن تطوير علم السياسة في العالم بالاتجاه المذكور آنفًا هدف علمي جليل. وفي مراقبتنا الاتجاهات الحديثة في علم السياسة على الصعيد العالمي تتوقع مزيداً من الاهتمام العلمي الطبيعي «أي غير المخطط له على نحو خاص» بالكثير المشترك بين تجربتي الصهاينة في المنطقة العربية وبالبيض في المنطقة الأفريقية. وهذا الاهتمام العلمي الطبيعي بالكثير المشترك بين التجاربتين لا بد إلا أن يقود، كما يقود العلم عادة، إلى استخلاص أسس وقواعد وقوانين توسيي ما أسميه – «علم الاستعمار الاستيطاني المقارن».

وبالطبع لا ينحصر «علم الاستعمار الاستيطاني المقارن» بعقل أكاديمي واحد هو علم السياسة، بل أنه يشمل كل علوم السياسة Policy Sciences أو بالتعابير المتداولة، كل العلوم الاجتماعية وبعض أهم العلوم الإنسانية.

وفي ملحق هذه الصفحات تبيان لما يندرج من «علم الاستعمار الاستيطاني المقارن» تحت كل علم من العلوم الاجتماعية والانسانية.

وأما الهدف القومي، وهو هدف يخصنا من حيث أن ديناجة النظام الأساسي لجمعيتنا العربية للعلوم السياسية تنص على مناهضة الصهيونية والوجود الصهيوني (٣)، فؤداته أن العالم كله، فيما عدا

نظام جنوب افريقيا، يصف ذلك النظام بأنه عنصري، في حين ان النظام المماطل المفروض في أرضنا العربية، وهو النظام الصهيوني، لا يوصف عادة بأنه عنصري الا من قبل العالمين الاشتراكي والأفرو-آسيوي. هذا التباين في النظرة، ولا سيما منها النظرة الغربية، الى ظاهرة واحدة هي ظاهرة التوضع الاستيطاني في فلسطين وفي جنوب افريقيا، يحدو بنا ونحن الاختصاصيين العرب في العلوم السياسية، ومعظمنا تتلمذ رسمياً في أوروبا الغربية، وأمريكا الشمالية، ومن منطلق قومي «ولن نخجل، كمتحمسين للعلم، ومن منطلقنا القومي العربي، بل على العكس» الى مضاعفة الجهد لكي خلق علينا ينفعنا في معركة مصيرنا القومي، علماً مستحقاً (Valid) كعلم، يثبت ان التوضع الاستيطاني الاسيف في جنوب افريقيا لايزيد عنصرية عن التوضع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، بل حقاً ينقص عنده، وكلّي يقين اننا لم نفعل ذلك فسيكون التغريب (Alienation) فعل فينا كل فعله، فأخذ منا أنفسنا، وملك علينا عقولنا، وتركنا نلهث وراء بريق الحداثة العلمية الغربية واتجاهاتها وما تدعيه من «حياد علمي» اذاء المصالح القومية. نلهث ولا نصل، لأن هدف اللعبة التي اخترنا «أو اخترنا، بضم هزة الابتداء» ان نعمل ضمنها هو ان نلهث ونلهث ولا نصل، وأن نظل في حالة ترقب «الجائعة» الى بلجة خبز «حديث وحضاري» تأتيه مغلفة بغلاف أنيق براق، فيشغل عن جوعه بأناقة الغلاف وبريقه.

الصهيونية التي يريد البعض أن تقتطع خارج النظام الأساسي لجمعيتنا، وأن تخذف من قاموس علم سياستنا ، كانت الموضوع الوحيد الذي كرس له برلن اوستراليا يومه، يوم ٢٣/١٠/١٩٧٦، فتفلسف في تبيان حسان الصهيونية من تفلسف من نواب تلك الدولة التي لا أقصى منها عن جغرافية المنطقة العربية، ولا أقصى منها عن هموم ابنائهما وانشغالاتهم. وتعلمون لم فعل برلن اوستراليا ذلك ؟ لكي يرضي ذائراً يزوره هو حاييم هرتزوغ، فيقدم له على طبق من فضة قراراً من برلن اوستراليا يطلب من حكومة اوستراليا تأييد تحرك دولي هادف الى نصب مقصلة اعدام يعدم بها – ولاؤل مرة في تاريخ المنظمات الدولية – القراد رقم ٣٣٧٩، القراد الاول والوحيد الذي تعامل مع الصهيونية في كل تاريخ تعامل المنظمات الدولية مع القضية الفلسطينية، بدءاً من عام ١٩١٩ . بل وأحب ان احيطكم علماً ان الذكرى العاشرة لتبني الامم المتحدة القراد ٣٣٧٩ كانت مناسبة كبيرة لجهد صهيوني فكري واعلامي وسياسي هادف الى ارساء الأسس التي بالبناء عليها تقنع الامم المتحدة باعدام ذلك القرار في حد أقصى هو عام ١٩٩٠ . أفيصبح في الاذهان لا تحول جمعيتنا هذه الى لجنة عمل لدعم القراد ٣٣٧٩ ؟ إلا ان تكون من ألاسكا « وهي الوحيدة، في توهبي ، الأبعد عن المنطقة العربية من اوستراليا » وإلا ان تكون طبعنا تطبيعاً انتقى معه الطبع . وأرجو الا يحتسب كلامي ذريعة أدعوها اسرائيل الى اعادة الاحتلال سيناء أو التصلب في قضية تحرير طابا، او تخizza سياسياً يتناقض وتقاليد الحياد الوقود في علم السياسة.

وأخيراً فان الهدف الانساني واضح بل هو الأوضح بين ما عدنا من اهداف . بخلقنا علماً ينفعنا

نحن العرب، هو «علم الاستعمار الاستيطاني المقارن» فسنساهم ليس فقط في توحيد الجهد العربي مع الجهدين الأفريقي والأنساني المناهضين للعنصرية، في تسريع ما أراده قدرًا محتوماً لكيانين مريضين بالسرطان، بل سندعى إلى مائدة الآلة من باب أعرض. يقول تويني في دراسة في التاريخ ما مأداه أن اليهود مجموعة أناس تكاد تعصى على التاريخ. ولست خيراً تونبياً ولست بالضرورة متبنياً آراءه سواء في هذا المعرض أو غيره. فإذا تحدثت بقوله فلكي أشير إلى أن ما تشهده فلسطين ليس بالأمر العارض، بل هو يفوق في أهميته الفكرية ما تشهده جنوب إفريقيا حيث يستعين مع الفجر «المقبل» الخيط الأسود من الخيط الأبيض. ما تشهده فلسطين يضع على عاتقنا تقديم نظرية ضخمة عن المسألة اليهودية، «أو ما عرف باسم : اليودن فراغي» عبر التاريخ وحتى الآن. نظرية مفتوحة انسانية الطابع، عالمية بعيدة عن التعصب الطائفي والديني، بوئية مما أنت به مغامرة هرتزل الصهيونية في فلسطين من آثام وما سببته من آلام بذرية «حل المسألة اليهودية».

هذه النظرية الضخمة عن المسألة اليهودية ستكون بالضرورة العالمية ناتجةً اضافياً «By-Product» لعلم الاستعمار الاستيطاني المقارن، ناتجاً اضافياً إذا أحسنا صنعه فسنرود العلم في العالم على نحو ما كانته دائماً أرضنا المشعة بالنور.

### ثالثاً : خطة المقرر ومدته ومستواه :

لم يستند المقرر المقترن من خبرة عملية واسعة، فالتجربة الوحيدة التي خبرتها في تدريسيه كانت في القاهرة مطلع عام ١٩٧٤، حين أعطيت مقروءاً في عشرين محاضرة خلال شهر واحد وجاء تدريس ذلك المقرر تنفيذًا لواحد من قرارين اعتمدما معهد البحث والدراسات العربية في اجتماع مجلس ادارته الثاني والثاني بعد المائة «أوائل عام ١٩٧٣م». أما القرار الثاني الذي لم ينفذ فكان تنظيم حلقة دراسية حول موضوع الاستعمار الاستيطاني بعد أن يتقدم قسماً فلسطين وعلم الاجتماع بتقارير عن الموضوع. هذا وقد جعلنا رسالة مدير معهد البحوث كما وخطط محاضراتنا في القاهرة مطلع عام ١٩٧٤ م ملحقين بهذه الصفحات.

ثم كانت لي خبرات مختلفة في تقديم الاستعمار الاستيطاني من خلال حلقات درسية وبخيصة محدودة أهمها حتها تلك التي اتاحها لي، مطلع عام ١٩٨١م، معهد الاستشراق في اكاديمية العلوم السوفيتية بموسكو.

وفي وقت من الاوقات، أواخر عام ١٩٧٧م، كان من المقترض أن أعقد حلقة دراسية «توقفها الأغنى» عن الموضوع في مركز الدراسات الاستراتيجية بدار الاهرام بالقاهرة، وكانت آنذاك أعمل في تلك المدينة استاذًا ورئيسًا لقسم السياسة في معهد البحث والدراسات العربية. إلا ان الحلقة الغيت في اللحظة الأخيرة بسبب اضطرار المركز إلى إعادة تخصيص الوقت المخصص لي لزائر هام إلى القاهرة آنذاك

## بحوث ودراسات

هو الامريكي الدكتور كيلمان المعروف باهتمامه بزيارة السادات الى القدس ونتائجها النفسية – الاجتماعية. ولم يعد المركز الى اثارة موضوع الحلقة الدراسية معي بعد الغاء توقيتها الاول، لظروف لم يفصح عنها أحد.

وقد تكون لدى جامعة الخرطوم خبرة غنية في هذا المجال. ففي دليل جامعة الخرطوم بين يدي يدرج اسم المقرر في الدليل. وقد يعلم بعضكم ان جامعة الخرطوم هي التي مولت عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ طبع ونشر كتابي عن الاستعمار الاستيطاني بالتعاون مع مركز الابحاث الفلسطينية في بيروت.

وفي تटديري ان من المناسب للمقرر، بشكله النوذجي، ان يقدم طلاب السنة الرابعة «أي الاخيرة» في قسم للعلوم السياسية، أو في السنة الاولى من مرحلة الدراسات العليا في العلوم السياسية. وفي ملحق لهذه الصفحات أرفقت نموذجاً لمقرر «مطول» يشتمل على اربعين جلسة مدة كل جلسة منها ساعتان. وبالطبع يستطيع مقدم المقرر اختصار النموذج المرفق أو تطويله أو الاقتصاد على شيء منه، حسب الحال.

ودعم ان الاهتمام العلمي ينبغي أن يوجه لحقل «البحث» في موضوع الاستعمار الاستيطاني المقارن، بما في ذلك انشاء مؤسسة متخصصة، ليتفرغ فيها للقيام ببحوث بعض حلة الدكتوراه، فان من الممكن ايضاً استبatement ناجح من المقرر تعطي للسنوات الاولى والثانية والثالثة في أقسام العلوم السياسية.

ومن المناسب، وقد رأينا جعل خطة المقرر ومدته ومستواه على درجة كبيرة من المرونة، تأكيدنا على أهمية انشاء مؤسسة بحوث متخصصة بدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن.

### رابعاً : ملاحظات ختامية :

يبقى علينا في هذه الملاحظات الختامية ان نذكر بضعة أمور تختص بحالة البحث العلمي في مجال الاستعمار الاستيطاني، وبفضل المرحوم الدكتور فايز الصايغ في هذا المجال، وبسبل المتابعة العملية العلمية لما يقتربه هذا البحث. ولا ديرب ان ثمة أموراً أخرى عديدة تحتاج إلى ايضاح ويسعدني ايضاح ما أستطيعه منها اذا سئلت.

#### ١ - حالة البحث العلمي في مجال الاستعمار الاستيطاني :

في كتاب ظهر عام ١٩٨١ بعنوان *النظام السياسي الاستيطاني دراسة مقارنة : اسرائيل*

وجنوب افريقيا (٤) يذكر المؤلف في المقدمة ان ظاهرة الاستعمار الاستيطاني، وخاصة الدول التي شيدتها المستعمرون، لم تدرس دراسة كافية ولم تخضع لتحليل نظري متكامل. وتشمل المحاولات الحديثة نسبياً المتسمرة بالتعقيم على دراسات فان دين بييرج «١٩٦٧م» وجودج جبور «١٩٧٠م» وايمانويل ١٩٧٢م وابراهيم ابو لغد وبهاء أبو لبن «١٩٧٤م» وديتشارد ستيفنز وعبد الوهاب المسيري «١٩٧٧م» (٥).

وتدل القائمة المذكورة اعلاه على ان الاعوام العشرين الاخيرة شهدت نشاطا علميا لا بأس بمحجمه في مجال دراسات الاستعمار الاستيطاني.

ولا ديب ان هذا النشاط جاء، جزئياً على الاقل، ددا على نكسة عام ١٩٦٧م من جهة، واستجابة ايجابية للقرار ٣٣٧٩ من جهة ثانية، وردصا علميا حياديا مظاهره فهو التمايل البنوي بين اسرائيل وجنوب افريقيا نتيجة التحول المتضاد الذي تشهده اسرائيل باتجاه صبرورتها دولة «ابارتايديه» في سياساتها في الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة من جهة ثالثة.

وما يلفت النظر في القائمة المذكورة اغفالها حدثين جديدين جدا جاءا حتى استجابة ايجابية للقرار ٣٣٧٩ :

١ - ندوة طرابلس بليبيا التي عقدت بين ٢٤ و ٢٨ /٧ /١٩٧٦م، ونتج عنها انشاء «المنظمة الدولية للقضاء على جميع انواع التمييز العنصري». وهذه المنظمة التي تمركزت بين طرابلس ولندن اصدرت نشرات ودراسات قيمة جدا عن عنصرية الصهيونية خاصة، وعن العنصرية عامة، ومجددأ صادر هذه المنظمة مركز في جنيف.

٢ - ندوة بغداد التي عقدت بين ٨ و ١٢ /١١ /١٩٧٦م، أي مناسبة الذكرى الاولى لصدور القرار ٣٣٧٩، وجمعت اعمالها في مجلدين، وصدر تلخيص لاعمالها عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الاهرام في يناير ١٩٧٧م.

كذلك يلفت النظر في القائمة آنفة الذكر انها تغفل مصادر هامة أشرت اليها في اقتراحى لعام ١٩٧١ مثل كتاب للدكتور فايز صایغ صدر عام ١٩٦٥ وكتابات وخطب اخرى له، ومثل كتابات هامة لكتاب سوفيت في طليعتهم جالينا نيكيستينا ويوري ايقانوف، وكتابات لمفكر فرنسي معروف هو مكسيم رودنسون(٦).

ثم علينا الاشارة الى ما يلي :

١ - تزدهر في الاتحاد السوفييتي الدراسات عن عنصرية الصهيونية لا سيما بعد صدور القرار ٣٣٧٩.

- ٢ - انضم الى قافلة دارسي اسرائيل كاستعماري استيطاني مفكر فرنسي معروف هو روجيه غارودي في كتابه قضية اسرائيل - الصهيونية السياسية «دمشق، وزارة الثقافة ١٩٨٤». والأصل بالفرنسية».
- ٣ - صدرت في سلسلة عالم المعرفة الكويتية جملة كتب أساسية وقيمة في فهم ظاهرة الاستيطان في الوطن العربي عامة، والاستيطان الصهيوني خاصة ذكر منها على سبيل المثال كتاب الدكتور عبد الملك خلف التميمي «تشرين ثاني نوفمبر ١٩٨٣ م» وكتاب الدكتور أمين عبدالله سنة ١٩٨٤ م وكتاب ريخينا الشيريف المترجم من الانجليزية «كانون اول ديسمبر ١٩٨٥ م»(٧).
- ٤ - يعلن مركز «واشنطن ميدل ايست اسوسيتز» في تصدر كليب عنوانه الاحتيال على المقاطعة : اسرائيل وامريكا وجنوب افريقيا «الصادرة في شباط فبراير ١٩٨٦ م»، وهو مركز رئيسه جيمس زغي، رئيس اللجنة العربية لناهضة القizin، انشاء خدمة خاصة لتوفير المصادر عن التأثير البني بين اسرائيل وجنوب افريقيا.
- ٥ - في هذا الجهد العلمي الدولي المزدهر والمتتسارع في ازدهاره نفتقد، وبألم كبير، المساهمة المصرية تلك المساهمة التي كانت لا بد آتية لولا اتفاقيات كامب - ديفيد وما تلاها من معاهدة واتفاق ثقافي والخ.

### ٢ - فضل المرحوم الدكتور فائز الصائغ :

اصدر مركز الابحاث الفلسطينية في بيروت، في ايلول سبتمبر ١٩٦٥ م، كتاباً للمرحوم الدكتور فائز الصائغ «وأظن الدكتور فائز كان اذ ذاك رئيس المركز» عنوانه Zionist Colonization in Palestine وترجم الى العربية «عنوان : الاستعمار الصهيوني في فلسطين»، وهي ترجمة غير دقيقة للعنوان على الاقل» والى الفرنسية. ويجب اعتبار هذا الكتاب، الذي صدر في أوج تفاقم ازمة روديسيا الجنوبية، تلك اعتبار الازمة التي بلغت قتها في ٢٢/١١/١٩٦٥ م مع اعلان الاستقلال المنفرد «U. D. I. U.» البداية الحدية في سبيل تأصيل علم الاستعمار الاستيطاني في هذا الكتاب يقارن المؤلف مقارنة «غاضبة» بين ظلمين حلا بفلسطين وروديسيا الجنوبية، فيؤكّد ان أفحهما ذلك الذي حل بفلسطين، ويصب نيرانه على المجتمع الدولي الذي تيقظ لظلم حل بالزمبابويين غافلاً عن ظلم حل بالفلسطينيين. ذلك هو الخط الاعرض في كتاب الدكتور الصائغ اذن : مقارنة بين فلسطين وروديسيا الجنوبية. وتتابع الدكتور الصائغ هذا الخط في عدد من محاضراته ومداخلاته «وما اغزرتها وما أخصبها !».

ثم في النقاش العاصف الذي دار عام ١٩٧٥ وشغل المبني الزجاجي في نيويورك، اختارت الوفود العربية جميعها المرحوم الدكتور الصائغ «وما أحلى ان يجمع العرب، وما أقل ما يجمعون، لا سيما على شخص !» متحدثاً وحيداً باسمها في هذا النقاش. ولا ديب ان القدرة الهاائلة التي كانها المرحوم

الدكتور الصائغ لعبت دوراً في اصدار ذلك القراء الحقوقي.

وحيداً، كتوصية، أن تجمع آثار ذلك العلامة العربي والأنساني، المنطلق دائماً من فلسطينيته الجريحة، إلى آفاق رحبة عز ارتياز نظائرها على أي رجل علم أو دبلوماسية من العرب المعاصرین. وهذه التوصية نقلة إلى :

## ٣ - سبل متابعة عملية - علمية :

عديدة سبل المتابعة العملية في خدمة علم الاستعمار الاستيطاني. واذ قدمت في صفحات سبقت اشارات ببليوغرافية، واذ لا علم سياسة دقیقا دون حصر المراجع، فأول سبيل متابعة عملية - عملية أن ينشيء المهتمون منا قوائم مراجع وان يتبادلوها.

ثم أن لدى الجمعية الدولية للعلوم السياسية تقليد الحلقات المستديرة، أو تقليد «مجموعات البحث». وحيداً لو انشأنا في نطاق جمعيتنا شيئاً من هذا، واحدة منها على الأقل تختص بموضوع علم الاستعمار الاستيطاني. واذكر اني واستاذين، احدهما ألماني - غربي والثاني انجليزي، تداولنا في مثل هذا الامر قبل ما يقرب من عام ونصف في مؤتمر باريس للجمعية الدولية، وما نزال على اتصال. فإذا كان بينكم من يود الاصهام بجهد في هذا الاتجاه، فبامكاننا عندئذ عقد ندوة في دمشق عن «الوضعية الراهنة لدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن وأفاقها».

أما السبيل الأهم في المتابعة العملية - العلمية فهو مستوى من عنوان البحث : أن يحدث مقرر خاص بدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن في أقسام الفنون السياسية بالجامعات العربية، وهذا السبيل الأهم على أتم انسجام مع موضوع ندوتنا وهو «الاتجاهات الحديثة في العلوم السياسية والواقع العربي». ذلكم رهاناً. جهد تطوير هذه الدراسات يقع علينا كخواص أصحاب المصلحة فيها وقد يكون لهذا الجهد، اذا بذلهما، فضل آخر هو فضل استعدادتنا لشقتنا بقدرتنا العلمية، حين ينتقل بنا بذلك الجهد من حيز تلقى العلم عن غيرنا - كما درجنا - إلى حيز صناعته بأنفسنا. حين ينتقل بنا من حيز كوننا موضوعاً للفكر البشري، إلى حيز صيروتنا مساهمين في بنائه وفي اعلائه... إن الفكر العالمي ناضج منذ ثورة الجزائر لكي يزيد من سخطه على المستوطنين، وظاهرة الاستيطان، فهل ندفعه خطوة متواضعة أخرى في هذا الطريق دافعين بذلك قضيتنا أشواطاً إلى الأمام ؟ ذلكم هو السؤال(٨) وذلكم هو السبيل.

## الهوامش

١ - في مصر خاصة تطلق كلمة «قومي» و «قومية» على عدد من التشكيلات الاجتماعية – السياسية دون تمييز جاد بين هذه التشكيلات. فثلا يقال : العيد القومي لمحافظة القليوبية، كما يقال الامن القومي المصري «الخ». هذا واعلجنا بعض صعوبات اللغة الدستورية والسياسية العربية في محاضرات لنا على طلبة دبلوم الدراسات العليا في قسم السياسة بمعهد البحث والدراسات العربية بالقاهرة عام ١٩٧٥م تحت عنوان العروبة ومظاهر الانتاء الأخرى في الدساتير الراهنة للاقطارات العربية (دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٦). واستكمل معهد البحث والدراسات العربية بالقاهرة عن نشر المحاضرات ضمن سلسلة كتبه بسبب «حساسية الموضوع».

٢ - انظر : جورج جبود : «عاولة تصفية الرفض الاقليمي للاستعمار الاستيطاني» المستقبل العربي، العدد ٦٩، السنة السابعة، «تشرين ثاني ١٩٨٤م»، ص. ٣٢ - ٤١.

٣ - نشر المرحوم الدكتور عمر الخطيب مقالا في جريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٦/٢/١٩٨٥ ذكر به ما يلي :

«وعقب انتهاء الندوة التي استمرت يومين تخللتها ست جلسات كاملة، بدأ الاجتماع المخصص لتأسيس الجمعية. وكان البند الأول على جدول الاعمال مخصص لمناقشة مشروع النظام الأساسي. غير انه بسبب ضيق الوقت وكثرة الاقتراحات التي تقدم بها المجتمعون ، فقد وافق هؤلاء على ديباجة جديدة معدلة للنظام الأساسي، كما أخذوا مناقشة واقرار المادة الثالثة المتعلقة بادارة الجمعية، على ان تقوم اللجنة التنفيذية للجمعية باعادة صياغة باقي المواد في ضوء الملاحظات والاقتراحات التي تقدم بها الاعضاء، حتى يتم اقرار النظام الأساسي ككل بصفة نهائية في الاجتماع التالي للجمعية العمومية الذي سيعقد بعد سنتين».

الا ان النشرة الاولى الصادرة عن الامانة العامة للجمعية العربية للعلوم السياسية بالقاهرة « وهل نقول : ببراعة تذكرنا ببراعة احمد سعيد؟ » اقتطفت من النظام الأساسي مقتطفات نشرتها، حاذفة فيها نشرته من مقتطفات القليل الجماع عليه « وأمه الدبياجة او المقدمة » الذي ذكره المرحوم الدكتور الخطيب في مقاله، ومشتبه الكثير بما لم يناقش، أي لم يبحث اصلا حتى يقر لاحقا. ثم ان مما يذكر ان نشرة صادرة عن رئاسة الجمعية العربية للعلوم السياسية في بغداد أبوزنت للجمعية اهداها في طليعتها الوحدة العربية ومناهضة الصهيونية. فكأننا اذن امام جعيتن للعلوم السياسية، احدها تقييد بقيود كامب - ديفيد فلا تأتي على ذكر مناهضة الصهيونية، وثانيتها اصيلة تجسد الاجاع الذي انعقد عليه الرأي في لارنكا قبل عامين. ولا دبيب ان المطلعين على بحثي الذي ألقى في لارنكا عام ١٩٨٥ ، وعنوانه « نحو علم عربي للسياسة » يذكرون اني كرست بعثي هذا لتعديل مشروع النظام الأساسي الذي وزع علينا قبل الاجتماع، بحيث ينص النظام على ضرورة ان يكون المدفان الاساسيان للجمعية هنا العمل للوحدة العربية ومناهضة الصهيونية، واني نجحت في ذلك. انظر بعثنا آنف الذكر في مجلة المعرفة «الدمشقية الشهرية»، العدد ٢٧٨، المجلد ٢٤، نيسان ابريل ١٩٨٥م» ص. ٧ - ٢٨. والشاهد في ص. ١٦ وما يليها.

## بحوث ودراسات

٤ - للدكتور مجدي حماد «بيروت دار الوحدة ١٩٨١م» ٣٠٠ ص. والكتاب في أساسه رسالة دكتوراه الى جامعة القاهرة ولم يذكر فيه العام الذي نوقشت فيه الرسالة أو كتبته.

٥ - م. س. ص. ١١. قاردن مع سميح فرسون في مقالة بعنوان «جنوب افريقيا واسرائيل : علاقة خاصة» المنشورة في **شؤون فلسطينية** «العدد ٤٧، تموز يوليو ١٩٧٥م» ص. ١٥١ - ١٧٧. يذكر فرسون في ص. ١٦٤ :

لم يدرس الاستعمار الاستيطاني والدول التي شيدها المستعمرون دراسة كافية ولم يخلل تحليلًا نظرياً «تشتمل المحاولات الأخيرة المتسمة بنفاذ البصيرة على ب. ل. فان دون برغ ١٩٦٧م، أ. ايتوبل ١٩٧٢م، جورج جبور ١٩٧٠م ابراهيم أبو لند وبهاء أبو لبن، ١٩٧٤». هذا ولم يذكر الدكتور حماد مقابل الدكتور فرسون كمرجع للفقرة المقاطفة.

٦ - من المستغرب جداً اغفال الدكتور حماد في كتابه الاشارة الى مراجعه مع انها منشورة في كتاب لي صدر عن القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي «دمشق ١٩٧٦م» واستفاد منه المؤلف استفادات كبيرة حتى ليصبح القول ان كتابه في معظمها معتمد على ما ورد في ذلك الكراس، اثباتاً «بذكر او دون ذكر واشككه للذكر وهو يكتب واجبه على كل حال» وتأييدها واعتراضها. فإذا كان المؤلف وهو يكتب رسالة دكتوراه لم يتنفذ مصادره بمحنه، كما تتفقى اولى القواعد العلمية فمعنى ذلك ان علينا «قرع ناقوس الخطر لاختفاض مستوى التعليم الاكاديمي العربي»، كما ذكرت في حديث اجراء معي احمد ابو كف ونشر في مجلة المصوّر الاسبوعية المصرية، «العدد ٢٨٠٠ وتاريخ ٦/٦/١٩٧٨م» بعنوان «عروبة مصر ناطقة لا تحتاج لمن ينطقها».

٧ - عناوين هذه الكتب الثلاثة هي بال التالي :

ـ الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي : المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي، دراسة تاريخية مقارنة، ص ٣٦٦.

ـ مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفونسية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، ٢٩٦ ص.

ـ الصهيونية غير اليهودية، جزءها في التاريخ الغربي «ترجمه الى العربية : احمد عبد الله عبد العزيز» ٣٠٢ ص.

٨ - تلك هي بعض الفقرات الختامية التي بدعتها من نقابة المحامين بدمشق في ١٢/١/١٩٧٢م، نشر نص المعاشرة في المجلة المصرية للقانون الدولي، مجلد عام ١٩٧١م كما صدرت على شكل كتاب عن اتحاد المحامين العرب في القاهرة عام ١٩٧٦م ونشرت في امكانة اخرى عديدة.



## آراء وأفكار

### تربيـة الطـفل بـين الـوـاقـع وـالـنـظـرـة

ريما الصبان

لا يصبح الطفل انسانا اذا لم يربه انسان. والاطفال الذين نشأوا في احضان الطبيعة المطلقة، بعيدا عن الانسان والانسانية كحضارة وفكر ومشاعر واحلاق ولغة.. فقدوا انسانيتهم، «فالانسانية ليست وراثة طبيعية بل ميراث يتحتم على كل انسان ان يستعيده» (أولييفيه رول، فلسفة التربية، سلسلة زدني علما).

وقد اثبتت التجارب العلمية والابحاث الاجتماعية التي اجريت على الاطفال المتواشين، الذين نشأوا في الغابات ووسط الحيوانات المتواحشة انهم كانوا اقرب الى الحيوانات في تصرفاتهم منهن الى الانسان، كانوا يمشون على الاربعة، لا يعرفون كيفية استعمال ايديهم، لا يعرفون الضحك والابتسام، ويطلقون اصواتا تشبه اصوات الحيوانات. ولا يتكلمون. شيء واحد كان يميزهم عن الحيوانات، وهو قدرتهم السريعة على التعلم وعلى اكتساب المهارات الانسانية. فهم بعدهما تعلموا التصرفات الانسانية واللغة، استطاعوا ان يتكلموا ويتصرفوا كبشر. بينما فشلت معظم التجارب التي اجريت على الحيوانات من اجل تعليمهم النطق والتكلم باللغة الانسانية.

من هذا المنطلق، اي تعليم الانسانية، تبرز اهمية التربية، لكن التربية ليست فقط عملية ضم للطفل، استيعابه، او تشكيله ضمن هذا التراث الانساني المتميز لغة، فكرا، علما، فنا، ومشاعرا. ان التربية عملية اكثر تعقيدا، وتحمل في طياتها اشكاليات وأزمات تنظيرية، تطبيقية، وتجريبية. وانني اتحدث عن تجربتي كأم غاصلت في التجربة بوعيها وفكراها، وحسها وجسدها، واعصابها، واحلامها وطموحاتها... تطاوت فيها بكل الآني والتاريخي والمستقبلية كي اخرج من المعركة بمزيد من الوعي والفهم الاساسي للتربية.

لقد حاولت ان استوعب بشكل أفضل ماهية التربية، اسسها وغاياتها من خلال ذاويتي كأم. هاجسي هو كيفية تربية الطفل وتأهيله ليساهم في تطوير وتغيير واقعه الى الافضل. وللمزيد من الدقة والصدق في طرح التجربة، اشدد على انني احاول الا اسقط توجهاتي الذاتية على طفل، واحاول جاهدة توخي الموضوعية في التعامل معه). لكن السؤال يبقى مشروع، وهو جزء من اشكاليات التربية الى اي مدى هناك موضوعية وتجرد في التربية؟ وكيف تنتفي الذاتية في علاقة ثنائية محكومة بتعريفها الاساسي، بكونها سلطوية وفوقية. ففي التربية شيئاً أم ابينا تبرز اشكالية العلاقة السلطوية العامودية بين مالك الشيء وفاقه، بين العادف والجاهل، بين المصدود والمتنقي الخ..

وقد يأنينا الجواب بكون الحل لتلك العلاقة هو بتحويلها الى علاقة تبادلية، حوارية، وهذا صحيح وواقعي كثيرا. وهو يتجلی في ابسط علاقات الام بطفلها او الطفل بمربيه، مثلا، عندما يصرخ الطفل وهو في سريره. أهreu أليه. وقبل ان احمله بين يدي احاول ان اطبعه، بمعنى اعلمه حوارا شرطيا مختلفا عن لغة البكاء. فأبتسنم له. واذا لم يكن متائلاً أو جائعاً او محتاجاً لاي شيء غير التواصل الانساني، يرد الابتسامة بابتسامة اخرى. اذ ذاك تسكتني السعادة والفرح، ونبأ الكلام والمناغاة، واسعرا انه اقتلعني من عوالمي وهو جسي الخاصة الى عالمه البسيط المحدد.

هذا المثل البسيط يتكرر مع كل أم مع ملايين الامهات ملايين المرات. انه نموذج لكيف تبدأ العلاقة عamودية، من اعلى الى اسفل ولكنها تتعكس فيما بعد وتحول الى علاقة تبادلية. فمن البسمة التي تمنحها الام الى الحوار والتناغم المتبادل الذي يكون غنياً وقوياً فقط ومتشارعاً بمقدار كفاءة الام او المربي على تحويله او ابعاده عن الاحادية او السلطوية. لكن نسمة الحرية تبقى أوسع،

وفيها قدر اكبر من المسؤولية الملقاة على الانسان المصدر، المربى او الام. وانني كأم، كثيرة ما سألت نفسي عن مدى حرفيتي وقدرتني في تشكيل الطفل؟ ما هي حدود هذه القدرة؟ هل ان الطفل هو صفة بيضاء (Tabulae fasae) حقيقة كما قال جان لوك في القرن السابع عشر؟ ثم هل صحيح ان نمط التربية وظروفيها تستطيع ان تتحكم في مستقبل الطفل؟ ام على العكس من ذلك وهي ان العوامل الوراثية اقوى والتربية تعجز عن تشكيل شخصية الطفل؟ وهل العوامل الوراثية هي الاقوى والاكثر فعالية في رسم حدود شخصية الطفل ام الواقع الاجتماعي المحيط والثقافة السائدة هي التي تؤثر اكتر؟ ثم هل هو المجتمع والثقافة ام انها الخلفية الاجتماعية والاقتصادية او الشرعية الاجتماعية للأهل هي التي تحدد نهجه وتوجهاته؟ وبعد هل هي الخلفية الاجتماعية للعائلة ام المدرسة ام شلة الرفاق؟ وهل صحيح ان تأثير الام على شخصية الطفل هو اقوى من تأثير الاب، وان القيم والمعتقدات التي يعتن بها فيما بعد تكون اقرب الى الام منها الى الاب؟.

كلها اسئلة مشروعة وخلافية، وجدت نفسي أصبح فيها عندما قررت ان انشيء طفل على اسس سليمة (قدر الامكان)، في اجواء صحية (قدر الامكان)، بتوجهات علمية ومعرفية (قدر الامكان). كنت اقرأ وأجد نفسي اغوص في مزيد من الاسئلة والشغف المعرفي من جهة، والرغبة التربوية الامومية للتعرف على الاسس الاسلام والاصح من جهة اخرى.

غচت في القاع، وانطلقت من الصفر، من الاسئلة الاولى التي توضح المفاهيم والمعارف وبالتالي ترشد الراهن في المعرفة عن طريق التحديد اولاً، ثم التراكم ثانياً، واخيراً التنظيم المعرفي كي يصل الى صورة واضحة ومتکاملة، تضيء الطريق نحو كيفية التربية.

هذه الاسئلة كانت : ما هي التربية؟ وكيف تم تربية الطفل؟ هل تتم عبر اطر ومفاهيم واسس وانظمة محددة؟ ام يفترض ان نترك الطفل عفويانا ينمو بنفسه دون ان نعوده اية عادة كما اوصى معلم الطبيعة الاول، دوسو في كتابه اميل؟ ثم ما هي غاية التربية؟ هل هناك هدف واضح يفترض ان يضعه الاهل في كيفية تربية اطفالهم؟ هل يكون لديهم تصود واضح ومبين لما سيقومون به وكيف يتصرفون وماذا سيواجههم؟ ام ان التربية هي عملية مفاجآت مستمرة واخذ ورد بين الطفل واهله كحركة فيها الفالب والمغلوب او التعادل بين الطرفين؟ ما هي حدود المسؤولية في التربية؟ وهل يجوز ان ننقل طرق واساليب الاهل والاقردين دون مساعدة له او كشف او محاولة غريبة وتنقية لما هو جيد مما هو سيء؟ هل نهيه لدور اجتماعي او سياسي او ثقافي معين؟ ام نتركه حرا طبعينا عفويما؟ هل من الافضل ان ننشئه تنشئة اخلاقية، او دينية أم نتركه ضمن الخطوط العريضة للقيم الانسانية ونترك له الخيار والحرية في الاعتناق عند سن الوشد؟ وأخيراً كامرأة وكأم في العالم العربي والعالم الثالث تحديداً اجد نفسي دائماً في دغة واندفاع لتطوير هذا الواقع وبالتالي اسأل نفسي الا يفترض بي كأم ان أوجه طفلي واعلمه منذ الصغر كي يكتسب المعرفة الشمولية بتناقضات الواقع العربي والعالم الثالث وليس لهم في تطوير هذا الواقع؟ لذلك اعتقد كامرأة

وعلت ضرورات التحدّد النسائي وعرفت عمق الاستغلال البطركي الابوي، الا يفترض بي وبالتالي ان انشيء طفل نشأة متميزة عن الفكر السائد المبني على استغلال المرأة وتهميشه؟ . وسط هذا الخضم من الاسئلة وجدت نفسي عندما استقبلت طفل الاول، وشرعت في تربيته. بدأت اقرأ لاتعرف على الاسس الصحيحة في التربية. لكن القراءة وضعتني امام نظريات واتجاهات متعددة في التربية. كان بالامكان قبول تعدديتها على الصعيد النظري، انما بما انتي كتبت اقرأ كي استفيد عمليا فقد شكلت لي تلك التعددية والخلافات في الاتجاهات تساءلات اكبر، كنت احيانا احسس الموضوع بقرار ذاتي، واحيانا اخري الجأ الى التجربة التي تقرذ الخطأ من الصواب، واحيانا اترك الامور انسياية. وقد كانت النتيجة مقبولة حتى الان. والطفل الذي اصبح عمره اربعة اشهر ييدو سعيدا، صحيا معافا، قوي البنية، غير متين، ينمو طبيعيا تبعا للمعدل العام لنمو الاطفال او افضل قليلا. وفي هذا الموضوع ساتحدث عن تلك التجربة نظريا وعمليا، وساوضح ماذا قدمت لي النظريات المطروحة في التربية، وما مدى فائدتها عمليا، وسأحاول اخيرا الاجابة على التساؤلات التي واجهتني في خلال هذه التجربة والرحلة التربوية الفكرية والعملية.

## لمحة تاريخية

أ— يجمع الكتاب عن الطفولة ان الاهتمامات بالتربية قديمة العهد تعود ل ايام الفراعنة الذين اهتموا بتربية القيّان. انما مفهوم التربية الحرة فقد عرف مع اليونان. وبينما اصر ادسطو على وجوب امتداد فترة التربية الى الواحدة والعشرين، فقد طرح افلاطون مناهج « وأسس التربية العقلية والبدنية من اجل اعداد ابناء المدينة الفاضلة ». وبعد اليونان جاء الرومان لينقلوا عنهم الاسس الاساسية دون تقديم الجديد. لكن ابرز النواحي التي اهتموا بها كانت الخطابة والثقافة واهملوا التربية البدنية التي كانت اساسا في التربية اليونانية. اما الكنيسة المسيحية والتي تلت ذلك فقد ركزت على التربية الدينية وابتعدت عن مفهوم التربية الحرة التي طرحتها اليونان، ومع انهيار الكنيسة، وبداية عصر النهضة عاد الفلاسفة ليؤكدوا على اهمية الطبيعة. وكان ابرز الذين طرحا برنامجا للتربية والتعليم كوفينيوس الذي اهتم بتربية الآثرياء دون الفقراء. وفي القرن نفسه — السابع عشر — وفي مقالة بعنوان افكار تحصل بالتربية كتب ساجان لوك عن عقل الطفل مشبها اياته « بألوان غير مسيطرة » اي صفحة بيضاء ( *Tabulae fasae* ) اما نمط التربية التي دعا اليها لوك فهي ما يعرف بالتعليم النظمي او التربية المقصودة، اما الكاتب الآخر اللامع في هذا المجال والذي اعتبرت كتاباته مقدمة لثورة في مفاهيم التربية فهو جاك روسو الذي خصص كتابا كاملا حول كيفية تربية الطفل، ان كتابه « أميل »، لا يزال حتى الان يعتبر مرجعا يعتمد انصار التربية الطبيعية. وقد اعتبر روسو الطفل « مخلوقا بدائيا نبيلا بطبيعة »، لكن مجتمع الكبار يفرض عليه قيودا ومحرمات تعرقل مسيرته ونموه الطبيعيين. ولذلك فان كلمته الشهيرة تقول « ان افضل عادة يمكن

تعويدها للطفل هي الا نعوده على اية عادة ». ومع عصر النهضة، وبدايات علم النفس، بدأت الدراسات حول الطفولة، ماهيتها، وكيفية تطورها ونموها تظاهر بكثرة. وقد اتخدت في تلك الفترة شكل السير الذاتية. ومن اهم كتابها كان اولا بستالوتزي الذي تابع نمو طفله حتى الثالثة والنصف من عمروه. وجاء بعده تيدمان الذي كتب عن النمو الحسي والحركي «اللغوي والعقلي لطفل طيلة السنتين والنصف الاولى من عمره. وتواترت بعد ذلك السير الذاتية للأطفال. وكان ابرزها كتاب تشاولز داروي حول ابنه. وهكذا مع تراكم الكتابات الفلسفية اولا والسير الذاتية ثانيا اخذت تتعمق الحاجة اكثر فأكثر الى فهم الطفل على اسس علمية، وكثرت الدراسات مع مطلع القرن العشرين بنسبة هائلة لدرجة اطلقت الكاتبة السويدية اليه كي عام ١٩٠٠ لقب «قرن الطفل» على القرن العشرين وذلك في كتابها الشهير الذي حمل الاسم، نفسه. ومن الاسماء الرائدة التي ظهرت في تلك الفترة نذكر شانلي هو (اميركا) الفورد بيئنه (فرنسا)، بريور (المانيا) ويعتبره البعض أبا لعلم نفس النمو وتتعدد الاسماء اللامعة في مجال دراسة الأطفال ولا مجال لذكرها وتعددها لكن المهم في الامر، انه انطلاقا من تطور الدراسات النفسية التي ذكرت على اهمية مراحل الطفولة في تشكيل شخصية الانسان، بدأ يتبلور علم نفس النمو كعلم قائم بذاته ومرتبط بباقي العلوم الانسانية. ويعتبر جان بياجيه احد ابرز المساهمين في الطفل كعلم قائم بذاته وفهم النمو العقلي والاجتماعي للطفل. اما في العصر الحديث فقد اتخد هذا العلم عدة فروع منهجية : فهناك الوصفي، وهناك السلوكي وهناك الدراسات التي تعتمد على التحليل النفسي، اضافة الى تلك التي تعتمد على دراسة علاقة الطفل مع القوى المحركة او المتحركة في بيئته.

وبالرغم من هذا التشعب والتخصص في علم النمو الذي يستند الى اسس علمية تأخذ بعين الاعتبار فهم المجالات الانسانية المتعددة المتعلقة بالطفل، الا انه لا يزال ناقصا لجهة فهم تأثير العوامل الاقتصادية على الطفل، كما ان هذا العلم المتتطور لا يزال متخلقا لجهة دراسته وفهمه للأطفال في الدول الفقيرة والدول النامية والفرقوقات في التموينها وبين اطفال الدول المتقدمة. هذه الفجوة يفترض ان يغطيها بحثا الكتاب والباحثة في دول العالم الثالث انفسهم يبقى اخيرا ان هذا النقص لا ينفي كون علم نفس النمو او علم النمو لا يزال من ابرز العلوم العصرية التي يفترض فهمها من اجل فهم افضل للطفل. والعالم المحيط به. ما هو علم نفس النمو؟ ما هي ابرز فرضياته؟ وهل يستطيع ان يجيئنا على كافة الاسئلة المطروحة حول الطفل بنيته، تطوره، ازماته، علاجاته الخ..

## علم نفس النمو

ان علم نفس النمو، او علم النفس النمائي، هو احد العلوم الانسانية التي تطورت اساسا في علم النفس. وقد جاء هذا التطور من خلال ثورة العلوم السلوكية والتي توجب اضفاء الموضوعية والعلمية والتحليلية على العلوم الانسانية بدلا من الطابع الفلسفى الذاتي والوصفي الذي ساد حتى القرن السابع عشر. وعلى الرغم من ان هذا العلم تطور اساسا من علم النفس الا انه اتخذ الطابع الشمولي المرتبط بكافة العلوم الانسانية كالطب والنفس والاجتماع والتربية. واتجه بدوره نحو فتح افاق علمية ومتخصصة جديدة. لقد انقسم علم نفس النمو الى اطروحة نظرية متعددة منها : النمو النفسي، النمو الحركي (الجسدي)، النمو الاجتماعي، النمو الفكري العقلي، النمو اللغوي، النمو الثقافي، والنمو الجنسي. ويمكن هذه الاطر التحليلية ان تتتطور لتشمل كافة مظاهر واشكال النمو لدى الانسان في تعامله وتفاعلاته مع ذاته والعالم المحيط به. ومن هنا تبرز أهمية هذه الادوات المعرفية، فهي ديناميكية النظرية، وقابلة للتتطور والتغير مع تطور وتغير الانسان او العالم المحيط به، الا ان مشكلتها تكمن في ابتكاقها في علم النفس بكل ما يحمله من فكر ادجاعي يربط كل المظاهر والمشاكل بالطفولة. وعلم النفس النهائي، كالابن المدلل لعلم النفس يفترض ان خمس السنوات الاولى من حياة الانسان هي السنوات الخامسة التي تشغله ذاته وتحدد اطر شخصيته ومساق وعيه. وعلى سبيل المثال فان منظوري علم النفس النهائي يؤكدون ان طرق التعامل مع الطفل الرضيع في الشهرين الاولين في حياته يقردان شخصيته ومدى ثقته بنفسه.

ان الدراسات الحديثة في المجتمع والتربية والطفولة بدأت تنقلب على النظرة الفرويدية الاحادية الجانب لتبين ان تجارب الطفولة ليست وحدها المدخل الوحيدة والنهائية للذات الانسانية، بل ان السنوات الاخري من المراهقة والشباب وحتى سن النضج قادرة على تشكيل الشخصية لدرجة تفوق سنوات الطفولة، وتندمج النظريات والتوجهات لعلم النفس الثنائي وتأثير الطفولة بين المؤيد كليا والمعارض كليا وما بين بين. وهناك من حاول الجمع بشكل ديناميكى بين التوجهين. فالدكتور هشام شرابي يعكس النظريية النهائية المنشقة عن الفرويدية بصورة البنى الفوقيه والبني التحتية التي تحدث عنها ماركس في شكلطبقات البشرية. فقال ان البنى التحتية هي السنوات الخمس الاولى والبني الفوقيه هي المراحل اللاحقة من الحياة، والعلاقة بينها هي جدلية تبادلية عضوية ومتغيرة. (٢).

ولكن رغم كل الاشكالات النظرية، يبقى علم نفس النمو مهما واساسيا في فهم الطفل وكيفية التعامل معه وتربيته. وقد يعتبر هذا العلم ثوريا في كل ما قدمه على طريق فهم المراحل التي يمر بها الطفل. كذلك فقد يعتبر رائدا في ابرازه لاشكال النمو المختلفة وكيفية تعاملها في مرحلة من مراحل النمو الواحدة.

فعلم نفس الفو يطرح عدة عوامل مؤثرة في النمو وهي : الوراثة، البيئة، الغدد، الغذاء، النضج، التعلم : وهو يحاول ان يطرح بطريقة علمية كيفية تفاعل هذه العوامل في المراحل المتعددة من حياة الانسان اي ابتداء من مرحلة ما قبل الولادة وحتى مرحلة الشيخوخة ولأن التوجه الاساسي هو توجه علمي البحث لذلك فقد كان هاجس علماء الفو البشري ان يؤطرروا النمو من خلال مراحل وسنوات ثابتة وقياسية شأنها شأن القياسات الحسابية كذلك فقد طرحاً مؤشرات وجداول وارقاماً لقياس مدى النمو، طبيعته، تخلفه او تقدمه، تأثيره او تغيره بغير اي من العوامل المؤثرة. والحقيقة فان النتائج التي توصلوا اليها خدمت اجيالاً على طريق وعي وفهم الطفل اولاً والانسان عاملاً، وكذلك ساهمت في تطوير مفاهيم التربية وتحديثها. ولكنه ككل علم انساني لا يزال يعاني من الاختزالية والتلفيقية.

اما بالنسبة لنا كعالم عربي منبع من عالم ثالث ودول تعاني من التخلف بكلفة اشكاله، فهذا الاطار النظري يبق عاجزاً عن تقديم فهم موضوعي لتأخر الطفل في العالم الثالث تحديداً ولدور العوامل التاريخية، الاقتصادية والاجتماعية في تشكيل هذا التخلف إضافة إلى العوامل الذاتية. وهذه الفجوة ستبقى موجودة ما لم يهب كتاب العالم الثالث إلى تطوير هذه النظريات وربما تحييدها او تشويتها بجهة دسم اطريق نظرية جديدة لفهم الاطفال في العالم الثالث.

وفي هذا الموضوع، لن اقدم اطارات نظرية جديدة او مختلفة لتجربتي وسأحاول ان استفيد من الاطر النظرية الموجودة وتدعمها بتجربتي العملية، أخذة بعين الاعتبار وعيي الذاتي لموضوع هويتنا وانتهاها.

### الطفل حتى الأربعين يوماً

أذكر في موضوعي هذا على الطفل الرضيع و طفل المهد في مرحلة الثلاثة اشهر الاولى وذلك تغطية للتجربة الخاصة. ولكن قبل ان ادخل في بحث تجربتي فسوف اقدم نبذة عن هذا الطفل من خلال تعريف الادبيات الموجودة به. وسوف استعين اساساً بالكتب المشورة باللغة العربية.

ترقق معظم كتب الفو بين الطفل المولود حديثاً والطفل الرضيع، بين طفل الشهر الاول والشهر التالية. وفي كتابه (السنوات الثلاث الاولى للحياة) وهو ثمرة دراسات وتجارب دامت ١٩ عاماً يقسم بيرون وايت مراحل الطفولة او السنوات الثلاث الاولى الى سبع مراحل. اما مرحلة الاشهر الاولى فينقسمها الى اثنتين : الاولى تكون منذ الولادة وحتى الاسبوع السادس او الاربعين يوماً، والثانية من الاسبوع السادس حتى ثلاثة اشهر ونصف او مئة يوم. وسوف اعتمد تقسيمه في حديثي عن تلك المرحلة كخصوصيات عامة، وعن تجربتي الخاصة.

يتميز الطفل الوليد حديثاً وحتى عمر الاربعين يوماً بتبعيته الكاملة للام او للشخص الذي يرعاه.

وهو يعتبر مسلوب الادارة حتى في المقارنة مع المواليد الحيوانات من مئات الثدييات . فالمولود بالمقارنة مع الطفل الوليد يكون أكثر استقلالية، إذ يستطيع أن يذهب إلى ثدي أمه ويرضع منها. بينما الطفل فلا يجيد الحركة مطلقا ولا يمكنه أن يزاول سوى عملية المص والبلع. وإذا لم يقدم له الطعام يوماً . لكن القدرات والطاقات الكامنة والقابلة للتطور لدى هذا الإنسان هي أساس تميزه. وإذا لم تستخدم أو يتم تطويرها فقد تدفن في مهدتها. ولذلك فإن علم التقويم ينشئ تلك الطاقات ليتعرف عليها وليسهل القدرة على تطويرها . وقد استطاع حتى الان تمييز طفل الأربعين يوماً بأنه ينام كثيرا . هو غير منتظم . قد ينام في النهار ويصحو في الليل ، سلوكه متفكك وغير مترابط . وما يقوم به هو عبارة عن ردود أفعال محددة لكنه فيما بعد يبدأ بكسب مهارات ذهنية وحركية تمكنه من تطوير قدراته وخاصة الذهنية . ومن خلال دراسات عديدة تقيس ردود أفعال الأطفال كمقاييس اجر و بك و انعكاسات مارو استطاع باحثو علوم التقويم أن يضعوا لائحة بأشكال ونسب التقويم لدى الأطفال ويقيسوا تبعاً لها مدى التتفوق أو التخلف في التقويم.

ورغم أن الطفل في الأسابيع الأولى هو عديم الحركة عموما إلا أنه يميل إلى البقاء على جانب واحد في السرير (وضع لاعب المبارزة) . والطفل كما هو معروف يكون رخواً وخاصة بالنسبة لرأسه . ويكون حساساً جداً للنحو والاصوات ويبتسم لاي وجه يمر في دائرة نظره وإن كان وجه دمية . إن دائرة النظر لدى الوليد هي ٨ بوصات على الأقل و ٢٤ بوصة على الأكثر . وهو ينمو في هذه المرحلة نحو جسدياً سريعاً فتنفسه هو ضعف تنفس الإنسان العادي، الراشد، ويدق قلبه ١٢٠ نبضة في الدقيقة بينما يدق قلب الإنسان الراشد بين ٧٠ و ٨٠ مرة . وهو يخرج البول ١٨ مرة يومياً . أما حركتهقياساً لجسمه فهي توازي ٣ أرباع حركة الإنسان الراغب . أما وزنه فيتضاعف خلال الأشهر الثلاث الأولى من عمره، أي إذا كان وزنه ٣ كيلوغرامات لدى الولادة فيصبح ٦ كيلوغرامات بعد ٣ أشهر . بينما يزيد فقط ٣ كيلوغرامات أخرى خلال التسعة أشهر الباقية ليصبح عمره سنة .

وفي مقابل هذه السرعة في التقويم الجسدي نلاحظ أن نمو الفكر أو العقلي يكون بطرياً أو متخلفاً . فهو عاجز مثلاً على التنسيق في حركات يديه أو قدميه بينما لو قارناه بطفيل الكنغر الذي يكون صغيراً جداً ويبلغ طوله البوصة الواحدة، فهو قادر على امساك الأشياء باليد والقدم ويذهب بنفسه إلى كيسه رغم أنه لا يرى طريقه . أما اشكال التقويم الأخرى لديه كالانفعال والحركة والحس والتقويم الاجتماعي واللغوي فت تكون بدائية جداً عند الولادة لكنها تتحسن كثيراً مع مرور الأسابيع الست الأوائل . فيبينا يكون عاجزاً عن الحركة عند الولادة يبدأ برفع رأسه لو كان نائماً على بطنه . كما يباشر بطلاق الاصوات والابتسام دون أن يتحكم بشكل واضح بهذه الأفعال . يبيّنوا أن حاجاته الأساسية لتلك المرحلة هي الراحة والهدوء، تعزيز ثقته بنفسه وبالعالم المحيط به وذلك عبر الاستجابة لطلباته ورغباته وأبرزها المرض .

### ال طفل حتى المئة يوم

ان الطفل في تلك المرحلة هو نقىض الطفل الاول انه الان اكثر حركة ووعيا و هو متتطور الحس والوعي الاجتماعي للعالم المحيط به، تزداد ممتطلبات طفل النصف الثاني للمئة يوم. فهو يلح على الاهتمام به ورعايته ومحادثته في تلك المرحلة يبتسم الابتسامة الحقيقية، يتจำกب مع الاخرين. يقضى اوقاتا طويلة متيقظا اثناء النهار ينام افضل في الليل. يبدأ التعرف على جسمه يجده في يديه وقدميه ولو قلنا ان ميزة طفل هذه المرحلة هي حب الاستكشاف، فان الصورة التي تستتبع هذا التميز هي صورة العيون. انه طفل العيون اليقظة، التحركة التي تتبع كل شيء يتحرك وخاصة الاشياء التي تتحرك ببطء ودغم ذلك التطور فان نظره لا يزال محدودا بمسافة ٣ اقدام.

ان حب طفل المئة يوم للاستكشاف لا يقف عند تنبه حواسه. سمعه ونظروه. لكنه يبدأ بطالبة المهتمين به بمحاورته، ومداعبته وملاعبته. انه يطلب الاثارة ويقاد لا يهدأ حركيا، فيداء في حالة لقاء وفراق وعناق وتشابك كأنهما عاشقان يتلاقيان بعد طول فراق. كذلك بالنسبة لقدميه. ولكن بينما تصل يداه الى فه حيث يتعرف عليها من خلال «فوهة المعرفة» لديه - اي فه - الا ان قدميه لا تقويان على الوصول الى فه بعد. وها بحاجة الى شهر اضافي ليقطعوا تلك المسافة الى «فوهة المعرفة».

وفي تلك المرحلة يتتطور اجتماعيا، وتبدو عليه علامات الانسانية المميزة او الاجتماعية. يبدأ بجاود الاخرين بلغته الخاصة. يبتسم بحاكي. يحزن. يطالب. يمتع. في تلك المرحلة هو حقيقة فرح ومرح ويبعث في الاخرين السعادة والفرح.

اما قدراته اللغوية فلا تتعذر الا صوات العالية واحيانا القهقهات. لكن تلك الحالات المتطرفة المرحلة لا تكون متطورة كثيرا لدى الطفل الذي لا يأخذ العناية والرعاية الضرورية واساسها الحب والاستجابة الى كافة الممتطلبات.

كذلك فان ذكاءه يبدأ باطلاق الاشارات حيث يقوى الطفل على التعلم واصدار الحركات المتجانسة. لقد بدأ يعرف ثدي امه. ويعرف زجاجته. انه بدأ يخطو خطوات اساسية نحو فهم العالم المحيط به.

ان الدراسات والكتابات كثيرة في النمو العام وفي نمو الطفل حتى الشهر الثالث. تلك الدراسات تتشعب في فروع علم نفس النمو الحسي والحركي والاجتماعي واللغوي والجنساني الخ... والكتب وحتى باللغة العربية متوفرة على شكل ترجم واقتباسات، لذلك اختصرت الاطار العام كي اقدم تجربتي الخاصة. من خلال تلك التجربة سوف اتحدث عن كيفية نمو طفلي، المراحل التي مر بها، المشاكل التي عانى منها، الطرق الاسلامية في معالجة تلك المشاكل، والتأثيرات الخارجية والاجتماعية..

## في المفكرة

في تلك التجربة التي عشتها مع ابني، كنت منذ البداية اتفاصل مع محركين اثنين : الاول هو الاطر النظرية والمعرفية التي اتعلمتها عن الطفل. والثاني هو التجربة العملية والعوامل الخارجية والاجتماعية، وسوف اتحدث عن تجربتي من خلال هذه الاطر. ولكن قبل الولوج في هذين الاطارين سأنقل بعض المقتطفات من مذكرتي الخاصة، التي حرصت ان اضع فيها انبطاعاتي بين فترة و أخرى.

«لقد سعدت كثيراً عندما قرأت في كتاب صحة الأطفال، وصفاً ينطبق كلها على ابني، وكان مصدر فرحي الاكبر كون الكاتب يؤكّد انه يتحدث عن الطفل السليم. وقد قال : عند تبع تطور الطفل، يمكننا ان نرى في الاسبوع الثاني من حياته كيف يستيقظ المولود السليم في اوقات منتظمة ويرقد هادئاً بغضّ بعض دقائق وهو مفتوح العينين، ولا يرغمه على اغماض عينيه الا النور الساطع، فإذا شعر بالجوع بكى او مص اصابعه، وينشط الرضيع كثيراً عند تقرير ثدي الام منه، فيستدير اليه برأسه، ويفتح فمه في لففة، ويبدأ من فوره بالتص، والبلع، وهو يمسك الثدي بيديه الصغيرتين في قوة كأنه يريد ان يستيقنه فلا يذهب عنه.

«شعرت ان هذا الوصف هو صورة طبق الاصل عن طفل الذي ينافس الاسبوعين، والذي كنت اتحدث عنه بحب وفخر قائلاً انه طفل منظم منذ صغره. هادئ. يعرف ما يريد. لا يزعج نفسه ولا الاخرين.

«لكن هذه الفرحة لم تدم طويلاً. والطفل الماحدىء، المنظم، بدأ يبكي ويختلف نظام نومه. اما السبب فكان المucus.

«خالد بالنسبة لي قطع مرحلة مهمة. انه الان ينام فترات اطول. اجد نفسي اكثر حرية وراحة استطيع ان آخذ فترات للكتابة والعمل. مشكلته الاساسية في الشهرين الاولين كانت المucus. طبعاً نحن نحاول ان لا ندعه يبكي اطلاقاً. اما هذا مستحيل. وقد بكى كثيراً منذ منتصف الشهر الاول

## ال طفل حتى المئة يوم

ان الطفل في تلك المرحلة هو نقيس الطفل الاول انه الان اكثر حركة ووعيا و هو متطور الحس والوعي الاجتماعي للعالم المحيط به، تزداد ممتطلبات طفل النصف الثاني للمئة يوم. فهو يلح على الاهتمام به ورعايته ومحادثته في تلك المرحلة يبتسם الابتسامة الحقيقة، يتباون مع الاخرين. يقضى اوقاتا طويلة متيقظا اثناء النهار ينام افضل في الليل. يبدأ التعرف على جسمه يجده في يديه وقدميه ولو قلنا ان ميزة طفل هذه المرحلة هي حب الاستكشاف، فان الصورة التي تستتبع هذا التميز هي صورة العيون. انه طفل العيون اليقظة، المتحركة التي تتبع كل شيء يتتحرك وخاصة الاشياء التي تتحرك ببطء ودغم ذلك التطور فان نظره لا يزال محدودا بمسافة ٣ اقدام.

ان حب طفل المئة يوم للاستكشاف لا يقف عند تنبه حواسه. سمعه ونظره. لكنه يبدأ بطالبة المهتمين به بمحاورته، ومداعبته وملاعبته. انه يطلب الاثارة ويكتاد لا يهدأ حركيا، فيداء في حالة لقاء وفرق وعناق وتشابك كأنهما عاشقان يتلاقيان بعد طول فراق. كذلك بالنسبة لقدميه. ولكن بينما تصل يداه الى فمه حيث يتعرف عليها من خلال «فوهة المعرفة» لدبيه — اي فمه — الا ان قدميه لا تقويان على الوصول الى فمه بعد. وها بحاجة الى شهر اضافي ليقطعوا تلك المسافة الى «فوهة المعرفة».

وفي تلك المرحلة يتتطور اجتماعيا، وتبدو عليه علامات الانسانية المميزة او الاجتماعية. يبدأ يحاور الاخرين بلغته الخاصة. يبتسم يحاكي. يحزن. يطالب. يحتاج. في تلك المرحلة هو حقيقة فرح ومرح ويعيش في الآخرين السعادة والفرح.

اما قدراته اللغوية فلا تتعذر الاصوات العالية واحيانا القهقهات. لكن تلك الحالات المتطرفة المرحة لا تكون متطورة كثيرا لدى الطفل الذي لا يأخذ العناية والرعاية الضرورية واساسها الحب والاستجابة الى كافة الممتطلبات.

كذلك فان ذكاءه يبدأ باطلاق الاشارات حيث يقوى الطفل على التعلم واصدار الحركات المتجانسة. لقد بدأ يعرف ثدي امه. ويعرف زجاجتها. انه بدأ يخطو خطوات اساسية نحو فهم العالم المحيط به.

ان الدراسات والكتابات كثيرة في النمو العام وفي نمو الطفل حتى الشهر الثالث. تلك الدراسات تتشعب في فروع علم نفس النمو المتعددة كالنمو الحسي والحركي والاجتماعي واللغوي والجنساني الخ... والكتب وحتى باللغة العربية متوفرة على شكل ترجم واقتباسات، لذلك اختصرت الاطار العام كي اقدم تجربتي الخاصة. من خلال تلك التجربة سوف اتحدث عن كيفية نمو طفلي، المراحل التي مر بها، المشاكل التي عانى منها، الطرق الاسلم في معالجة تلك المشاكل، والتأثيرات الخارجية والاجتماعية..

## في المفكرة

في تلك التجربة التي عشتها مع ابني، كنت منذ البداية اتفاصل مع معرفتين اثنين : الاول هو الاطر النظرية والمعرفية التي اتعلمتها عن الطفل. والثاني هو التجربة العملية والعوامل الخارجية والاجتماعية، وسوف اتحدث عن تجربتي من خلال هذه الاطر. ولكن قبل الولوج في هذين الاطاريين سأنقل بعض المقتطفات من مفكري الخاصة، التي حرصت ان اضع فيها انبطاعاتي بين فترة وآخر.

«لقد سعدت كثيراً عندما قرأت في كتاب صحة الأطفال، وصفاً ينطبق كلياً على ابني، وكان مصدراً فرحي الاكبر كون الكاتب يؤكّد انه يتحدث عن الطفل السليم. وقد قال : عند تتبع تطور الطفل، يمكننا ان نرى في الاسبوع الثاني من حياته كيف يستيقظ المولود السليم في اوقات منتظمة ويرقد هادئاً بضع دقائق وهو مفتوح العينين، ولا يرغمه على اغماض عينيه الا اللند الساطع، فإذا شعر بالجوع بكى او مص اصابعه، وينشط الرضيع كثيراً عند تقرير ثدي الام منه، فيستدير اليه برأسه، ويفتح فيه في لففة، ويبدأ من فوره بال المص، والبلع، وهو يمسك الثدي بيديه الصغيرتين في قوة كأنه يريد ان يستقيمه فلا يذهب عنه.

«شعرت ان هذا الوصف هو صورة طبق الاصل عن طفلي الذي يناهز الاسبوعين، والذي كنت اتحدث عنه بحب وفخر قائلاً انه طفل منظم منذ صغره. هاديء. يعرف ما يريد. لا يزعج نفسه ولا الاخرين.

«لكن هذه الفرحة لم تدم طويلاً. والطفل المايديء، المنظم، بدأ يبكي ويختلف نظام نومه. اما السبب فكان المucus.

«خالد بالنسبة لي قطع مرحلة مهمة. انه الان ينام فترات اطول. اجد نفسي اكثر حرية وراحة استطيع ان آخذ فترات للكتابة والعمل. مشكلته الاساسية في الشهرين الاولين كانت المucus. طبعاً نحن نحاول ان لا ندعه يبكي اطلاقاً. اما هذا مستحيل. وقد بكى كثيراً منذ منتصف الشهر الاول

وحتى الشهر الثاني. اسباب بكائه كانت دائمة الالم. وقد تغير نظامه كثيرا. بينما كان يرضع كل ثلاث ساعات في الاسابيع الاولى بعد ولادته. بدأ نظامه يختلف الى ان وصل الى الفوضى التامة. وكانت اعطيه صدرى كلما بكى. كثيرا ما كنت اشك في سبب بكائه بين بكاء الجوع وبكاء المغص، تألمت معه كثيرا. وكثيرا ما شعرت بالعجز. بدأت اعطيه ماء غريب، بجرعات ضئيلة جدا تبعا لارشادات احد الاطباء. لكن هذا لم يعد كافيا. لجأت الى الوصفات الشعبية، ماء الزهر واليانسون. ثم اخذته للطبيب، وكانت الزيارة الاولى واسبابها كالتالي : - المغص او العمش في العينين ، ٢ - المغص ٣ - الفحص الروتيني والاستفسار عن بعض القضايا.

«وكان جواب الطبيب مطمئنا بالنسبة للعين، اذ قال انها أمر طبيعي يحدث لبعض الاطفال وهو عبارة عن انسداد في مجرى الدمع، ان علاجه يتم بواسطة التدليك - المساج - قطرة الماء والملح. اما فيما يتعلق بالمغص فما قاله كان بمثابة هزة لي. اذ نصحني ان لا استعمل ايها من الادوية وحتى ماء غريب، قائلا انها علاجات مؤقتة، وقد تعرقل العملية الطبيعية لنمو جهاز المضم او عملية المضم. بعضها يحدث تخرمات تزعج فيها بعد. خرجت من عيادته متحمسة على عجز الطب امام مثل هذه الحالات البسيطة والتي تواجهه كل الاطفال اي كل البشر، قررت اذ ذاك ان اواجه المشكلة بهدوء وتعقل بعيدا عن الاحساس بالعجز والقلق. اخذت اقرأ عن اسباب ضعف الجهاز المضمي لدى الاطفال. وكانت استعين بالعلاجات الطبيعية وهي : ١ - اليانسون مع قليل من الكمون كشراب او علاج آني اثناء الالم. ٢ - المساجات او التدليك اثناء تبديل حفاضاته او اثناء الالم لمساعدته على اخراج الهواء. ٣ - تدفتها بالثياب الثقيلة نسبيا من جهة ومن جهة اخرى وضعه في المقطس الدافء فترة اطول كي يخرج الماء. ٤ - وضعه على بطنه اثناء النوم. ٥ - اجراء التمارين الخاصة لتنمية جهازه المضمي ولاخراج الغازات ٦ - مساعدته على اخراج الهواء بعد الاكل عن طريق التجشئة.

«هكذا وما ان انتهى الشهر الثاني ودخل الايام الاولى في الشهر الثالث حتى اصبح وبالنسبة لي علىاقل انسانا آخر. انه الان يضحك كثيرا. لا يبكي الا عندما يلبسه ثيابه بعد الحمام، او عندما يفاجئه النعاس، نبرات بكائه بدأت تتغير. انها تتحدى شكل الدلع.

«انه ينتحني سعادة بداية الاشياء ! معه كل يوم تتجدد السعادة. يسقط الروتين. يضيع الملل.. معه اشعر بهدوء داخلي واستقرار. شيء شبيه بالاكتفاء الذاتي الآني. لكن ابدا لا اقول معه تتحقق الذات. فالقلق الحقيقي الاساسي، القلق الاجتماعي لا يزال موجودا. يأكلني. لا بل اقول انه ازداد شراسة وحدة مع وجود خالد لانه يمثل تقريبه او انه يقف بالجهة المقابلة له. واحيانا اشعر ان الاحساسين يشداني وكأنها يمارسان في اعمق لعبة «شد الجبل».

«خالد في اليوم المئة بدا طبيعيا موردا الوجه بالصحة والعافية. فهو الجسدي، الحركي، الحسي، اللغوي، الاجتماعي كله يبدو طبيعيا. لم يظهر اي تخلف في التنو عن المقياس العام. وفي بعض الحالات كان يظهر تطورا. بدأ يأكل السيريلاك، اضافة الى العصير واللبن والفواكه المطبوخة التي باشرها

تدرّجياً من الشهرين الثاني. توقف عن المناغاة، وبدأ يطلق أصواتاً ومقاطع في حروف. أحياناً يقلد بعض الأصوات مثل (آ). إنه يعرف أفراد العائلة جيداً ويُضحك لكل شخص صفة مميزة...

## الهوة التنظيرية

ان القراءات التي اجزيיתה قبل الولادة حول موضوع التربية واشكالها، اوضحت لي الهوة بين النظريات المتعددة. وقد تتسع الهوة لتشمل النقيضين تماماً. فبیناً تقول احدى النظريات بضرورة التنظيم في طعام الطفل بشكل حديدي. تذهب نظريات أخرى الى التنظير المكثف حول أهمية ترك الطفل حرّاً، واعطائه الطعام متى شاء. فن النظريات التي انطلقت بعد الحرب العالمية الثانية، الى نظريات سبوك في منتصف القرن، الى النظريات الحديثة التي تتجدد سنوياً يمكن ان نصنف سلسلة تبدأ من اقصى التشدد لتنتهي بنظريات التحرر وفردية الاعتبارات. في مطلع القرن كان الطفل يبكي متضوراً من الجوع لمدة ساعات طوال ولا يعطي الطعام الا حين يحين الموعود المحدد له. وكانت الامهات تتاخر بقدراتهن على تنظيم الاطفال بالحقيقة والثانوية. اما سبوك فطور تلك النظريات الى الليونة مع النظام. فهو لا يقول بالدقّة في وقت الطعام. ولا يمانع ان يعطي الطعام ربع ساعة قبل او بعد. ولا يتشدد في الفترة الزمنية بين ٣ ساعات او اربع ساعات. لكنه يقول مثلاً بضرورة تعويذ الطفل منذ الشهر الثالث ان ينام وحيداً. وذلك يمكن ان يتم من خلال تركه يبكي في البداية كي يتعود فيها بعد. وهو يقول ان الطفل سيفكي في اليوم الاول ما لا يزيد عن نصف ساعة. وفي الايام التالية فسوف تقل النسبة تدريجياً الى ان ينام وحيداً. وهو ينصح في مثل هذه الايام باستعمال عازل للصوت وبابلاغ الجيران بالامر كي لا يزعجوها.

اما النظريات الحديثة فتؤكد على ضرورة الاستجابة السريعة لطلبات الطفل وبكائه وخاصة في الشهرين الاولين. وبيؤكد انصارها ان الاستجابة السريعة لبكاء الطفل تعزز في نفسه الثقة بذاته وبالعالم المحيط به. وفي هذا الموضوع كتب الدكتور محمد عماد اسماعيل كتاباً بعنوان «الاطفال مرأة المجتمع» وفيه يتحدث عن كافة اشكال النحو للطفل في سنوات التكوينية الخمس الاولى. وهو يبين نظريته على فرضية كون السنوات الخمس الاولى من حياة الانسان هي السنوات الخامسة في حياته وتشكيل شخصيته المستقبلية. في تلك السنوات يتلقى الانسان او الطفل الصغير صدمات تؤثر على جسمه حياته عامة. وان الهدف من التربية الصحيحة في تلك المرحلة هو التقليل من تأثير هذه الصدمات عبر اشاعة المزيد من الثقة بالنفس. ويقول الدكتور اسماعيل نقاً عن اديكسون ونظرية الثقة بالنفس «بناء على الاسلوب الذي يتخذه الآباء في اشباع حاجات اطفالهم، يمكن ان تنمو لدى هؤلاء الآخرين، اما «ثقة» متزايدة في ان حاجاتهم سوف تشبع، واما انعدام تام لهذه الثقة. وفيما بين هذين الطرفين توجد بالطبع درجات مختلفة. فإذا استطاع القائمون على رعاية الطفل ان يتعرفوا على حاجاته وان

يستجيبوا لها بطريقة سديدة مناسبة، وفي الوقت المناسب، وتنمو لديه الثقة في انه مقدر، وان حاجاته سوف تشبع، وان من حوله سوف يهربون اليه، عندما تنشأ لديه حاجة الى ذلك. ان الطفل لا يقول لنفسه هذا الكلام بالطبع، لكننا نستطيع ان نستشعره من تزايد قدرته على تأجيل اشباعاته ومن الدفء والمرح اللذين يشعبان في تعامله مع اعضاء اسرته. ان احساس الطفل بالثقة ما هو في الواقع الا حالة افعالية تساعد عليه الشعور بالتوحد مع البيئة المحيطة به».

والشيء نفسه يؤكده معظم كتاب علم نفس النمو، وعلى رأسهم بياجيه وايت واديكسون. واخيراً بروز بيرتون وايت في كتابه السنوات الاولى للحياة التي نقل فيه تجربة ١٩ عاماً من التعامل مع الاطفال، الذي نقلته الى العربية الجمعية الكويتية لتقديم الطفولة العربية.

وسط هذا التناقض في النظريات والحلول المطروحة لها كان علي ان اختار. وكأم لم يكن بأمكانني الضياع في متأهله التنظيري قررت ان استفيد من التطوير الذي حصل في التنظيري واستخدم آخر النظريات على ان لا اطبقها تطبيقاً حرفياً، بل اطوعها للظروف الخاصة وال العامة التي اعيشها انا وطفلي. من هذه النظريات اعتمدت الاستجابة للطفل وتأمين حاجاته. ورغم ان العديد من الزملاء والاصدقاء نصحوني بالاستجابة للطفل من الصرخة الاولى لان ذلك سيعمق لديه الارتباط الشرطي بين البكاء وتأمين الحاجات. الا انني حسمت الامر من خلال وعيي. لكون الطفل لا يملك في المراحل الاولى من وسيلة للتعبير سوى البكاء. وقدرت ان اشجعه على اللجوء لوسائل اخرى تاركة المجال لعملية الابداع الذاتية في التربية لتأخذ مجراها فالتجربة كما يقول الكاتب السوفياتي الدكتور ستودينيكي في الكتاب المترجم الى العربية «صحة الاطفال»، هي على جانب كبير من التعقيد والتنوع، ولا توجد هذه النهاية قواعد ثابتة او صفات عامة او عرف ثابت والمطلوب من الوالدين ان يكونوا على قدر كبير من المعرف، وان يتمتعوا بالتفكير العميق، والاطمار السريع، والمقدرة على التكيف مع شخصية الطفل في معاملته».

### المراحل الاولى من التجربة

المراحل الاولى من التجربة كانت مرحلة الاربعين يوماً، في تلك المرحلة شعرت باهية المعرفة التطبيقية والتجارب السابقة. لم تعد الكتابات التنظيرية تكفي ضرورات مواجهة الحياة مع الطفل. من ابرز المشاكل الاولى التي واجهتني كانت عملية الارضاع. وكانت قد قررت الارضاع الطبيعي. هيأت نفسي له منذ الحمل. لكن بما انني كنت حديثة الممارسة فقد واجهت صعوبات عده، منها افراج الحليب من الثديين وخاصة اثناء الليل. الارضاع الليلي كان عملية شاقة خاصة بعد انقضاء الاسبوعين الاولين وبداية ظهور التعب الجسدي نتيجة للنوم المتقطع.

ان كل هذه الصعاب، اضافة الى المغص الذي يصيب الطفل نتيجة لبعض الاطعمه، كانت تكشف لي مدى النقص الذي تعاني منه المرأة العربية لانه لا توجد كتب عملية متخصصة تشرح لها كل هذه التفاصيل بدقة علمية. وقتنيت لو بياشر احد الاخصائين العرب العمل على اصدار كتاب متخصص عن الرضاعة مثلاًو كذلك عن طعام الاطفال، على ان يضم فصولا حول انواع اطعمة وكيفية اطعام الطفل في المراحل المختلفة من عمره. ودغم اني وجدت بعض المحاولات البسيطة. لتفطية هذا الموضوع في بعض الكتب المنشورة بالعربية، الا انها حماولات اولية سطحية، بعيدة عن الدقة والتجريبية العلمية.

ودغم كافة الصعاب تلك فقد قطعت المرحلة بنجاح بالنسبة للاهتمام بطفله وبفشل بالنسبة للاهتمام ببني自己. فبعدما كنت امارات التاردين اليومية اثناء الحمل. وجدت نفسي اثر الولادة أغرق في التجربة وعملية الاهتمام والانبهاد بال طفل لدرجة اهمال التاردين كلها. وكانت النتيجة ظهور آلام شديدة في اسفل الظهر رافقني شهوراً عدة بعد ذلك ولم تزل الا مع التاردين والعلاج الطبي والفيزيائي.

اضافة الى ذلك فقد اكتسبت تجربة مكثفة في عملية الاهتمام بال طفل منحتني ثقة بالنفس وبقدراتي على متابعة الطريق مع الطفل. كما شعرت بمدى تقصير المجتمع في نظرته الى المرأة – الام وخاصة التي تتعرض طفلها رضاعة طبيعية. وبينما شاهدت صورة امرأة من السلفادور تشارك في التظاهرة في آن واحد اثناء ارضاع طفلها الذي لا يتجاوز الشهر، كنت اعاني شخصياً الكثير من اجل ارضاع طفل وانا في الاماكن العامة، فالمجتمع يعتبر هذه العملية عيباً. وهذا العيب تدفع ثمنه المرأة حبراً واحتجازاً في المنزل. اما اذا قررت الذهاب او اضطررت لذلك فسوف تسمع من الانتقادات والنصائح ما يتبع الذهن والبال وتتمنى لو بقيت وطفلها في البيت.

ذات مرة كنت ازور عيادة الطبيب، وفي مقصورة النساء بدأت ارضاع طفلي. فاتجهت كل العيون صوبى وكأنني أتيت بهم بکروه. ولم اهتم وتابعت ارضاعه. واذ بامرأة تقول لي ان أخيه صدرى ووجه الولد. لم اعلق. وتابعت ارضاعه وكانت قد قررت ان لا اتفاعل مع الانتقادات التي تأتيني من هنا وهناك. وما اكثر النساء في مجتمعنا اللوالي يسعين لفرض ادائهن على الغير، وخاصة في موضوع تربية الاطفال.

وفي هذا الموضوع واجهتني ايضاً مشاكل كثيرة من النساء التقليديات في العائلة والحيط الاجتماعي. من تلك المشاكل حماولتهن افتراضي بأساليب قديمة اثبتت فشلها وعدم جدواها كتربيط الطفل مثلاً، او عدم اخراجه من البيت او في الهواء الطلق قبل الاربعين يوماً الخ...

في البداية كنت ادخل معهن في نقاشات طويلة. لكنني وبعد اقتناعي تمام بعدم جدوی مناقشتهن قررت ان اهز رأسى او اظهر اهتمامي بالرأي المعارض ولكن دون ان آخذ به. وكانت اطرف الاحداث التي حصلت معي اثناء زيارة احدى الاقارب. بدأ طفل يبكي شاكيا المغص. وكانت اعطيه اليانسون والكمون. لكن النساء بدأت تقدم لي النصائح واسماء الادوية والعلاجات، رغم اني اكدت ان الطبيب نصحني بعدم استعمال الادوية. وكانت اهم النصائح بان اخذه للشيخ اذ ربما يكون الطفل مصاباً بعين

حاسدة. وكانت صديقتي طبيبة اطفال تجالسني بصمت لانها تعلم ان هذا شيء آني سوف يزول. لكن احدى السيدات التي اعمتها بصيرتها عن التفكير بوجود طبيبة فما بيننا قالت لي : لماذا تتركينه يبكي ولا تأخذينه للطبيب.

هذا الواقع الاجتماعي الجاهم في الكثير من الاحيان، والمتطرف في بعضها كان بمثابة تحذير آخر بالنسبة لي، اكتسبت من خلال تربتي للطفل في المرحلة الاولى قدرة اكبر على التعامل معه، دون فقدان ذاتي واستقلاليتي من جهة ودون تجريحه او تهشيمه من ناحية ثانية.

## المرحلة

### الثانية

اما المرحلة الثانية من التجربة، وهي مرحلة ما بين الأربعين والمئة يوم فقد بدأتها بثقة اكبر بالنفس، وعلاقة افضل بيني وبين طفلي، وقدرة اشمل على الجمع بين مسؤولياتي تجاه الطفل وتجاه نفسي وحياتي العلمية والعملية. ومع اني كنت اتوق لتلك المرحلة معتقدة انها ستمنعني حرية كبيرة لتحقيق الطموحات الذاتية. وان طفلي لن يحتاجني كما في المرحلة الاولى. لكن يبدو ان لكل مرحلة متطلباتها. والطفل في السنة الاولى قادر على امتصاص واستهلاك الشخص الذي يهتم به مدة ٢٤ ساعة في ال ٢٤ ساعة. وبعدما استطعت ان احقق نوعا من الانتظام في مسؤولياتي تجاه الطفل في اطعامه وتبديل حفاضاته وثيابه الخ.. وبعدما بدأ ينام بشكل افضل اثناء الليل، ويجلس على كرسيه المخصص فترات اطول بالقرب مني اثناء عمله، بدأ يظهر حاجات جديدة للاهتمام به.. ومنها الالاحاج على محادثته واللعب معه، وعدم اهاله وحيدا فوق كرسيه. ويبدو ان هذا الاحساس بالشوق الى المرحلة التالية هو عملية مرافقه للتربية عموما.

اما النتائج العملية التي استطعت اكتسابها من تجربة التربية حتى المئة يوم فكانت :

١ - فيما يتعلق بالفجوة الخلافية المتناقضة لنظريات التنشئة والتربية. فقد حسمت الامر شخصيا من خلال التجربة الواقعية. مثلا : في مسألة الحرية والتنظيم للوجبات الغذائية، فقد سبقت باشرت العلاقة مع طفلي من خلال حرفيته. وكان منظما خلال الاسبوعين الاولين، يستيقظ كل ثلاثة ساعات بالدقة والثانية. ثم بدأ يغير شيئا فشيئا الى ان وصل الى الفوضى التامة مع مطلع الشهر الثاني. ازدادت الفوضى تعقيدا بالنسبة لي مع آلام المغص، لكنني وكجزء من الوعي العام تكون الفوضى الغذائية تزيد من مشاكل الالم المغوية ولكون المياه تساعد في عملية الهضم. بدأت اعيد له التنظيم في الوجبات تدريجيا ودون ازعاجه، مع اعطائه الماء بين الرضاعات. وقد ساعد هذا التدريب كثيرا الى جانب التدابير الاخرى الوقائية والعلاجية. وقد خلصت شخصيا بمزيد من القناعة بان النظريات هي ادوات معرفة فقط، لكنها في العملية التربوية المباشرة لا تخدم. وان الحالة الفردية والظروف الخاصة لكل ام و طفل تحمل معها تقييمها وقوانيتها. والتربية كما ذكرت سابقا هي فن وابداع خاص وعام.

٢ - العلاقة مع العالم الخارجي، المجتمع عامة والاهل خاصة تشكل وقفه تأملية لكل ام واعية. وقد

تحول الى ازمات وخلافات مع الامهات التقليديات. هذه العلاقة هي في الحقيقة عملية صراع فكري بين القديم والحديث، والغلبة تكون عادة للحديث. لكن الحديث لا يعني نبذ الماضي وتجاربه. وهنا تكمن العملية الواقعية في كيفية التعامل مع الموضوع من خلال اخذ المفيد والجيد من التجارب الماضية. وهذا الذي نأخذ به يفترض ان نقتصر به امام خلال الوعي والمعرفة المسيبة واما بالتجربة والمنطق. اما القديم الذي لا يقع والذي اثبت فشله فيفترض ان نرفضه بوعي وقدرة على ايضاح اسباب الرفض النطقية. مثلاً : ان عادة تربيط الاطفال في الخليج هي من العادات السيئة التي تعطل الدورة الدموية في الجسم. وهي كذلك مسيئة في عملية النمو الحركي لدى الطفل لانها تؤخر عملية احساسه باطرافه وخاصة يديه. واخيراً فهي عملية تحمل من القهر السيكولوجي قدرًا يؤثر في الشخصية ويجعل منها شخصية مقموعة، مقهورة ترضى بالرضاخ والذل فيما بعد. ان مثل هذه الحقائق والمعلومات التي اصبحت مثبتة علمياً كافية لان تنبع الام العصرية الواقعية حصانة لرفضها عادة التربيط وكذلك عادة اللف الشديدة التي تمارس في مناطق اخرى من العالم العربي.

- ٣ - ان قضية الطفل هو صفة بيضاء تتشكل كما نريد، فهي حقيقة ناقصة. لان الطفل ليس عجينة جاهزة نشرتها او نقتبليها بشكل مجرد. ان الطفل هو ثمرة مراحل من التطور الانساني والتاريخي وهو يحمل بذاته ثمار هذه المراحل كافة، اضافة الى الميزات الوراثية المباشرة لعائلته والخصائص الفكرية والثقافية لواقعه الاجتماعي. من هنا ورغم اهمية التربية ودورها في تشكيل هذا الكائن الجديد، الا انها ليست نهاية وليس العامل الاوحد. ولذلك فال التربية الناجحة هي تلك التي تعرف حدودها وامكаниاتها. تتصرف من خلالها كي تتحقق افضل النتائج.
- ٤ - الاحساس الذاتي بأن ما اقوم به من تربية ليس الا افضل ولا الامثل. وانه في كل يوم تكتشف حقائق جديدة تسقط القديمة. ولذلك اعتبر ان ما اقوم به في العملية التربوية هو الا افضل بالنسبة لي ضمن محدودية امكانياتي الذاتية وظروفي الاجتماعية.
- ٥ - فيها يتعلق موضوع تنمية وتطوير الطفل آننا ومستقبلنا من خلال تهيئته لادوار مدرسته تبعاً لطاقاته وامكانياته فهذا ممكن في الغرب والشرق. ولا يزال متخلفاً في بلادنا. انه يحتاج لباحثات واختبارات خاصة لا يزال العالم العربي يفتقد لها على سبيل المثال، فان الاتحاد السوفيتي قد طور اساليبها واجهزتها لدراسة الحالة العضلية والحركية للطفل. ومن خلال التشخيص للحالة، تبدأ عملية تأهيل كل طفل للرياضة المستقبلية التي دينا تخلق منه لاعباً متميزاً او بطلاً عالياً.
- ٦ - ضرورة مناصرة عملية التنشئة الاجتماعية بطريقة واعية تفهم واقع الطفل، ومحيطة ومدى امكانية تعامله معه وكيفيته. لذلك يبقى من الافضل الا يرسم للطفل دوراً محدداً بل تترك له الحرية للاختيار شرط ان توفر له كافة الامكانيات من اجل تطوير ادوات اختياره. واعني بها النمو الذهني، المعرفي، الحركي، الحسي، اللغوي الخ..

## عروض الكتب

اقتصاديات الامارات ودول مجلس التعاون،

### نظارات في ضوء التراجع النفطي

د. ابراهيم عمر التني، البيان، ١٩٨٦م، ص. ٢١٣

عرض :  
خليفة شاهين

الكتاب الذي نستعرضه هنا ليس كتاباً بالمعنى المألوف، وإنما هو تجميع لمجموعة كبيرة من المقالات «الاقتصادية» الصحفية تشمل ٤٨ مقالة موزعة إلى ثلاث مجموعات تكون فصول الكتاب الثلاثة. المجموعة الأولى، وتتكون من ٢١ مقالة، تكون الفصل الأول من الكتاب بعنوان «نظارات في بعض القضايا المعاصرة لاقتصاديات دولة الامارات العربية المتحدة». أما المجموعة الثانية والتي تحوي ١٦ مقالة فتكون الفصل الثاني وهو بعنوان «بعض هواجس وهموم اقتصاديات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية». وتبقى المجموعة الثالثة المكونة من ١١ مقالة حيث الفصل الثالث والأخير الذي يحمل عنوان «نظارات في بعض هموم الاقتصاديات العربية».

ولا يوجد أي تقسيم منهجي، أو تبويب زمني في الكتاب وكذلك الأمر بالنسبة لكل فصل على حدة. وإذا كانت المقالات الواردة في الكتاب هي «مختارات من تلك المساهمات» التي قدمها المؤلف في صحيفة «البيان» التي تصدر في الامارات العربية المتحدة كما هو وارد في تقديم الدكتور عصام سخني، رئيس مركز أبحاث الشرق الأوسط في البيان، فإن الكتاب لا يتضمن تواريخ نشر المقالات بحيث يستدل على تعاقبها الزمني، وذلك بالرغم من ادعاء الدكتور سخني بأنها «تؤرخ، اقتصادياً، لفترة من أكثر الفترات أهمية في تاريخ المنطقة».

ملاحظة أخرى تتعلق بالشكل وهي أن هناك تناقضاً بين مقاصد المؤلف الذي يقوم بمحاولة «توظيف المعرفة الاقتصادية لفحص قضايا وهاجس معاشه» التمهيد ص. ١٢، وبين تقديم الكتاب في صورة «المرجع الذي لا استغناء عنه هؤلاء المختصين الذين يتابعون عن كتب تطورات هذه المنطقة» وذلك لأن المؤلف «خير بها مطلع على تطوراتها» لكونه يكتب من «داخل التجربة نفسها باكاديمية وموضوعية» التقديم، ص. ٧. وشنان ما بين «فحص قضايا وهاجس معاشه» وبين «الأكاديمية»، فما هاجس تبق تصورات، أو «نظارات» كما يستخدم المؤلف للنفظ، ذاتية منها صيغت بصطلاحات اقتصادية ولا ترقى لمستوى البحث الأكاديمي الذي يوثق الواقع الاقتصادي ويعمل على استخلاص النتائج انطلاقاً من منهج علمي أو منطقي. لاشك في أن آراء أي خير اقتصادي قيمة في حد ذاتها، يمكن الاتفاق معها أو الاختلاف أو يمكن التدليل على صحتها أو خطئها، ولكنها تبق آراء ذاتية، وليس وقائع موثقة يمكن اعتقادها مرجعاً للبحث الأكاديمي.

ومن هنا تكمن إشكالية التعامل مع المقالات الصحفية في البحث الاقتصادي، وهنا تكمن أيضاً إشكالية التعامل مع هذا الكتاب، أو المقالات الواردة فيه، حيث لا يوجد بحث للوضع الاقتصادي أو السياسة الاقتصادية، أو السياسة المالية أو السياسية النقدية، ولا يوجد فحص لقطاع اقتصادي بعينه سواء في الفصل المتعلق بدولة الامارات أو مجلس التعاون أو الوطن العربي، وإنما هناك مقتطفات من هذا وذلك، وتعليقات على مواضيع متفرقة، وهذه المواضيع المتفرقة هي ما يسميه المؤلف بالاقتصاديات كما يبدو، ويخلل كل هذه المقالات الـ ٤٨ آراء د. ابراهيم عمر التي حول السياسة الاقتصادية الواجب اتباعها، أو التي لم تتبع، فالمعرض للمقالات يكفيه الخروج بنتيجة مفادها أن الموضوع الذي يعالج المؤلف هو «السياسة الاقتصادية» أو «التخطيط الاقتصادي» اذاء معظم جزئيات النظم الاقتصادية في دولة الامارات العربية المتحدة ودول مجلس التعاون ومواضيع «التكامل الاقتصادي العربي». ومن منطلق تقييم بعض جزئيات تلك السياسة «هذا مع افتراض وجود سياسة اقتصادية معبّر عنها بوضوح، وليس مجرد رؤى فعل اذاء بعض التغيرات الاقتصادية، كأسعار النفط، وتقلبات أسعار الصرف، وتقلص العوائد النفطية» وتأثيرها اذاء أهداف «غير واضحة» لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية. «لا يوجد تصريح بأهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة».

في الفصل الأول والمكون من ٢١ مقالة حول «القضايا المعاصرة» في اقتصاد دولة الامارات نجد عناوين مختلفة منها ما يتعلق بمحاولة توصيف وضع الاقتصاد الوطني، «التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دولة الامارات، العربية المتحدة» و «الاقتصاديات الامارات بين التكيف مع المتغيرات الاقتصادية ونظام السوق الحر»، ومنها تعليقات أو قراءة في تقارير البنك المركزي والبنك الصناعي وبعض الاحصائيات الصادرة في الدولة، «قراءة تحت السطور للتقارير السنوية لمصرف الامارات المركزي» و «الاقتصاديات العام ٨٥ وتوقعات العام ٨٦ بدولة الامارات» و «الانعكاسات وردود الافعال» و «بعض مؤشرات الأداء الاقتصادي بدولة الامارات» و «الخروج من عنق الزجاجة»، ومنها ما يتطرق الى بعض القرارات المتتخذة في القطاع النقدي والمصرفي ومسلكية هذا القطاع، «دمج المصارف لم يأت اعتباطاً» و «السيولة الفائضة هل تبقى في المصارف» و «النفور الاستثماري والجهاز المصرفي»، ثم هناك ما يعتقد المؤلف ظاهرة الركود، «الاقتصاديات الامارات وتجاوز حاجز الركود» و «افرازات التشبع» و «الركود الاقتصادي ودكود المذكرات» وأخيراً مجموعة من المتفوقات في القطاع الزراعي، والحركة التعاونية، ومواد الميزانية، والاسعار والحوالف، وما الى ذلك.

واذا كان من غير الممكن مراجعة كل هذه المقالات هنا دون الخروج عن مقتضيات عرض هذا الكتاب، فإن ايراد بعض الاقتباسات وال نقاط المهمة سيكون ضرورياً لتبيان منحى «السياسة الاقتصادية» الوعاء التي يكتب بها المؤلف.

في المقالات المتعلقة بتوصيف الاقتصاد الوطني والتنمية ، فإن المؤلف إذ يوصف الاقتصاد الوطني «بمحدودية موارده الاقتصادية والبشرية» حتى شهادة الخمسينات «ص. ١٥» ثم انتقاله في بداية الستينات الى «مرحلة جديدة في النمو الاقتصادي والاجتماعي» القائم على عوائد النفط المتزايدة النمو «ص. ١٦» يلغا سريعاً الى النص بأنه «لابد من اتباع سياسة مدروسة ترمي الى الحفاظ على موارد البلاد النفطية لأطول فترة زمنية ممكنة والخلولة دون استنزافها» ص. ١٦ واذا كانت الامارات «تصنف.. ضمن الدول النامية على الرغم من الارتفاع الكبير في الدخول» ص. ١٧ فإن هناك مجالين من مجالات التطوير ينبغي اعطاؤهما الأولوية في السنوات المقبلة وهما – تطوير الموارد البشرية – الصناعية التحويلية. ص. ١٧ و «أن التصنيع بالنسبة للدولة هدف رئيسي لمعالجة الخلل في الهيكل الاقتصادي» ص. ١٨ ، ولكن تم التصريح بأن «التصنيع» هدف رئيسي؟ وما هو وضع الصناعة التحويلية في الاقتصاد الوطني؟ مرة أخرى «في دولة الامارات تهدف البرامج التنموية الى تحقيق أمرين رئيسيين وهما : النمو الثابت للدخول الحقيقة.. وتقليل الاعتماد. شبه الكل على النفط» ص. ١٨ «ولكن في موقع آخر يذكر المؤلف بأن نسبة التضخم تصل الى ١٨٪» فأين هدف «النمو الثابت للدخول الحقيقة»؟ وكما هو معروف فإنه لم يجر لأكثر من عقد من السنين أي تغيير على الأجور والرواتب في دولة الامارات، ولم يتم في أي «برنامج تموي» في الدولة دفع الأجور والرواتب بنسبة

التضخم. ثم أخيراً التشخيص النهائي حيث مر اقتصاد دولة الامارات وخلال فترة زمنية قصيرة بمراحل عديدة للنمو.. إن الوصول إلى تحقيق الأهداف لا يتم إلا من خلال اعتماد التخطيط الشامل ورسم الخطط الاقتصادية والاجتماعية.. تجربة الاعوام السابقة.. أوضحت أهمية زيادة عمليات التنسيق...» ص. ٢٢ ويترك المؤلف لكل اقتصادي أو متبع أن يستخلص بمفرده مراحل النمو العديدة والأهداف» وعمليات التنسيق المطلوبة بين الفاعليات الاقتصادية. أما المقال الثاني في هذا الأطار وعنوانه «اقتصاديات الامارات بين التكيف مع المتغيرات الاقتصادية ونظام السوق الحر» فكان يتوجب أن يوضع في الفصل الثاني حيث أنه يتناول موضوع التخطيط في دول مجلس التعاون. أما فيما يتعلق بالامارات فالشيء الأساسي فيه هو تصريح المؤلف «أن الدولة اعتمدت وثيقة تضم مجموعة من الأهداف العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ذات بعد زمني طويل نسبياً وأصبحت هذه الوثيقة، بناء على حديث صحافي لوزير التخطيط في مارس ١٩٨٦م، هي المحدد والموجه لجميع الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية في الدولة حيث يتم رسم واعداد جميع الخطط البرامجية والاستثنائية والسياسات الاقتصادية والاجتماعية طبقاً واستناداً لمحتويات هذه الوثيقة» ص. ٢٧، ٢٨ اذ أづ عصر التخطيط الشامل ولوبي عنق السوق الحر.

أما ذلك الجزء من المقالات المتعلقة بالتعليق على تقارير البنك المركزي فإنها تتناول التغيرات الحاصلة على الناتج المحلي الإجمالي ومكوناته خلال الاعوام من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٥م وتفرد جزءاً كبيراً نسبياً لكيفية احتساب الناتج المحلي الإجمالي، ثم نلاحظ التراجع الحاصل في الإنفاق الحكومي والخاص في السنوات ٨٤، ٨٥ وكذلك اللجوء إلى سياسات الترشيد وضغط النفقات على المستوى الاتحادي والم المحلي وانعكاس هذه السياسات كمؤشرات على «الركود» الذي يظهر في الاقتصاد الوطني في الأعوام ٨٣، ٨٤، ٨٥.

ويلاحظ المؤلف بأن ظاهرة التباطؤ الاقتصادي أبرزت جوانب ايجابية على المستويين العام والخاص فأدت بالقطاع الحكومي إلى «محاولة تقييم شامل للإداء.. كمدخل لعادة ترتيب الأولويات، وتدبي.. في انتهاجه.. أساليب ترشيد وضغط الإنفاق وكان لهذا.. تأثيره في تقليص عجز الموازنات السنوية» ص. ٤٤. أما فيما يتعلق القطاع الخاص فالإيجابية تكمن في أن «الساحة أصبحت.. صالحة لاستمرارية المنشآت الخاصة ذات الاقتدار والجدارة ولم تعد صالحة من ثم للمنشآت التي لا تدار بعلمية أو تدار بعشوائية» ص. ٤٤. وفي المقالة المتعلقة بتقرير مصرف الامارات الصناعي «تقرير عام ٨٣ وعام ٨٤» فإن جزءاً كبيراً من المقالة مخصص للتعریف بالصرف. ثم فقره عن الانتاج الصناعي في الدولة حيث يأخذ المؤلف عليه عدم توجيهه إلى «انتاج السلع الانتاجية، القادر على شحد الهمة الصناعية» ص. ٤٧ كما يأخذ عليه «أن النزوح نحو قيام منشآت صناعية.. لا يتم وفق تصوّر منهجي لاحلال بدائل الواردات مثلا، وإنما يتم وفقاً لدعاوى الربحية التجارية» ص. ٤٧. والمقال المعنون «الخروج من عنق الزجاجة» لا يقدم في الواقع تعليقاً على تقارير مصرف الصناعي وإنما «تقرير المصرف الصناعي يشير في الخاطر بعض المسائل الحيوية المتعلقة بالحركة الصناعية في دولة إلamarات ومنها أولاً

... توفير التمويل الاقتراضي .. ثانياً :.. الاذدواجية والتكرار والمنافسة بين الصناعات القائمة ..» ص. ٤٧، ثم يستكمل المقال عن ما يشيره في الخاطر موضوع الاقراض وطلبات القروض.

أما الجزء المتعلق بالقطاع المصرفي فيتناول مشاكل البنوك في تحصيل القروض وملحوظة أن دمج بعض المصارف التجارية العاملة في الدولة «كامنة في أن ثمة تطورات ليست قاصرة على القطاع المصرفي فقط وإنما على مستوى الاقتصاد الوطني بمرتبته استلزمت ذلك السلوك المعين» ص. ٥٢ ثم أن من المسليكيات السلبية في القطاع المصرفي اللجوء إلى جدولة الديون التي «بالرغم من صيروفتها خرجاً أخيراً إلا أنها ممارسة ضارة على المدى البعيد ..» ص. ٥٢. كما يتناول موجودات البنوك الأجنبية ويلاحظ ازديادها، ثم ينتقل إلى التشريعات الاقتصادية وبينه بآيجابياتها، وفي مقالة أخرى يصرح المؤلف بأن الانكاش الاقتصادي أو وجود حالة تباطؤ في النشاط الاقتصادي، دفع لأن تكون «السيولة في المصارف التجارية آخذة في الازدياد» ص. ٥٠ وبالتالي يخلص إلى أن هناك أزمة تمكن في حاجة السوق إلى الاقتراض والاستثمار في ظل التراجع الاقتصادي بينما تقتصر البنوك التجارية عن «فك اسار السيولة المحبوسة» ويقترح لذلك حلاً «يمكن .. في إيجاد مشروعات مدروسة» ص. ٥٧. ثم يستعرض المؤلف في مقاله بعنوان «النفوذ الاستثماري والجهاز المصرفية» نتائج الندوة التي اقامها معهد الامارات للتدريب المصرفي بالشارقة «١٢ - ٣/١٩٨٦م» حول «دور الجهاز المالي في النشاط الاستثماري».

وفي المقالات الثلاث المفروزة لظاهرة التباطؤ الاقتصادي في دولة الامارات، يشير المؤلف إلى أهمية التركيز على هذه الظاهرة من خلال «بذل الجهود الذاتية بعمرنة وتحليل العوامل المحلية المساعدة في ولادة حالة الركود» وعدم الركون إلى مقوله أن الركود سببه عوامل خارجية بالرغم من عدم امكانية، عزل الظاهرة عن «الابعاد والمؤثرات الخارجية الفاعلة» ص. ٦٣. ثم يعود فيربط ظاهرة الركود الاقتصادي بالتجارة الخارجية التي يعتبرها «مفتاح تحليلها» أي تحليل ظاهرة الركود، ثم يربط الظاهرة من ناحية أخرى بواقع وغط الانفاق الحكومي، وبذلك ينتقل ويقدم مقترحاً بالحل حيث أن من المهم في نموذج دولة الامارات احداث توازن ما بمحاولة استكشاف اساليب لاستمرارية تدفق الانفاق الحكومي وبجرعات انعاشية وبمعدلات مواتية .. في مهمة منازلة ظاهرة الركود الاقتصادي، فالانفاق هنا بثابة ضخ الدم في الشريانين .. ص. ٦٤ ولكن أليس المهم أولاً توفر الدم ؟ ولماذا شح الدم الذي كان متوفراً سابقاً ؟ وهل توفره سابقاً تمكن من منع الركود الحالي ؟ وهل توفره مستقبلاً يمكن أن يجنب ركوداً آخر ؟. ثمة حلول أخرى مطروحة تهدف توفير هذا «الدم» كاستكشاف امكانيات ايجاد طاقات أكبر للتكرير النفطي ص. ٦٥ «إذن وبأخذ نقلة نوعية في نمط الانتاج النفطي يمكن لدولة الامارات أن تتحقق المزيد من العوائد المالية، أضف .. الاستثمارات الخارجية المجزية ..» ص. ٦٥ ثم يخلص المؤلف إلى نتيجة مفادها أن الركود الاقتصادي «ظاهرة يمكن السيطرة عليها وأداتها والطريق نحو ذلك بدايته بذل الجهود الذاتية» ص.

٦٦. ثم إن هناك مقالة يتناول فيها المؤلف ظاهرتين من ظواهر الركود الاقتصادي في دولة الامارات وهي ما يسمى بظاهرة «التشبع» والمقصود هنا كثرة المنشآت الاقتصادية في الفرع الواحد من أفرع النشاط الاقتصادي «كمحلات التجارية العارضة لسلعة واحدة أو متشابهة».

أما الظاهرة الثانية فهي «ظاهرة بروز الجديد من محلات والمعارض التجارية» ص. ٦٨. هل الظاهرتان منفصلتان أو حقاً ظاهرة اقتصادية، أليس «التشبع» وبروز الجديد من محلات والمعارض التجارية هما ظاهرة واحدة وهي زيادة المعروض من السلع؟ ولكننا لا ننوي مناقشة هذا الموضوع هنا، ولا يملك المؤلف أمام هذا إلا القول «بأن وجود الظاهرتين.. يعد ظاهرة في حد ذاته وهي تستلزم قدرًا من الاهتمام...» ص. ٦٩.

ثم تبق المقالات الأخرى في الفصل الأول لتناول قطاع الزراعة حيث «ربما لا تكون القضية الزراعية هي زيادة الرقعة المستغلة للنشاط الزراعي بقدر ما ان القضية متعلقة بدعم اساليب وطرق الانتاج» ص. ٧٥، أما الحركة التعاونية فقد «تطورت على الصعيد الكمي الا أن تطورها الكيفي يظل معموراً في اطار حفظ التوازن بأسعار السلع الاستهلاكية بالسوق» ص. ٧٩ ويبقى المقال كله عن الحركة التعاونية العربية، والتجارب التعاونية الخليجية، والمقال يقع في ثلاث صفحات. وفيما يتعلق بموارد الميزانية العامة فإن المؤلف يؤكد اقتراح وزارة التخطيط بالتوجه إلى الاستثمارات الخارجية غير أنه يجده الاستثمار في الدول العربية. ثم هناك مقالات تتناول لقاء وزير الاقتصاد والتجارة مع مجلس إدارة الاتحاد التعاوني الاستهلاكي في ١٥ مارس ١٩٨٥م وتعرضه لارتفاع أسعار السلع الاستهلاكية، وأخر حول حديث صحفي لمدير غرفة تجارة أبوظبي لصحيفة البيان، وحول المحادثات بين اتحاد غرف التجارة والصناعة بالدولة مع غرفة تجارة وصناعة سلطنة عمان في يناير ١٩٨٥م، والمقال الاخير حول «المعرض الاقتصادي الخليجي الأول» الذي أقيم بالشارقة في صيف ١٩٨٥م.

من خلال هذا الاستعراض نخلص إلى أن الفصل الأول المتعلق بـ «قضايا معاصرة» لاقتصاديات دولة الامارات لا يكون أكثر من مقالات مبعثرة حول مواضيع اقتصادية ومناسبات أخرى لا يمكن في جموعها أن تكون صورة واضحة عن الاقتصاد الوطني، وإنما يمكنها أن تكون صورة عن آراء الدكتور المتنبي حول السياسة الاقتصادية وأسلوبه في معالجة الظواهر الاقتصادية، ولكن لسنا هنا بقصد الخوض في ذلك.

والفصل الثاني من الكتاب والذي يشمل ١٦ مقالة حول «بعض هواجس وهموم اقتصاديات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية» لا يخرج عن منوال المقالات الواردة في الفصل الأول، فالمواضيع التي يطرفقها هذا الفصل متعددة ومتنوعة ومن للشمولية بحيث يمكن لأي منها أن يكون مجال كتاب منفصل مثل «مؤتمر القمة السادس والبرمجة الزمنية لتحقيق التعاون الخليجي» والذي يتناول موافقة القمة

ال السادسة لدول مجلس التعاون على وضع برنامج زمني لتنفيذ انشطة التعاون الاقتصادي ثم يتناول المقال أوجه التعاون الاقتصادي، وبخلص إلى أن «الإنجاز الاقتصادي الأكبر للقمة... تبني الأسلوب العلمي بایجاد برجمة زمنية تكفل الانتقال بالقرارات والاتفاقيات إلى حقيقة معاشه» ص. ١١٢. ثم يتم تناول التعاون الاقتصادي و «الإنجازات مجلس التعاون» في الإطار الاقتصادي في أكثر من مقال مثل «الاقتصاديات الخليجية والرؤيا الشاملة» و «تنمية الاقتصاديات الخليجية بين التوازي وتغيير بنية الاقتصاديات الوطنية» و «الاقتصاديات الخليجية وال الحاجة إلى عملية تكيف مركزي» و «التحديات الاقتصادية في دول مجلس التعاون وأساليب مواجهتها» و «حول الاستراتيجية الصناعية المقترحة لدول مجلس التعاون الخليجي».

ثم تقع مجموعة أخرى من المقالات التي تتناول قضايا متفرقة مثل دودد أفعال دول الخليج العربية على حالة تراجع العوائد النفطية، «التراجع النفطي خليجياً مؤثرات ودودد افعال» و «توجهات جديدة للاستثمار في بلدان الخليج، كيف يمكن تجاوز آثار خفض الإنفاق العام» وفي مقالة «الاقتصاديات الخليجية في ضوء انخفاض الدولار» يصرح المؤلف بأن «ما يتصل بارتفاع انخفاض الدولار، وانعكاسات ذلك بالنسبة للاقتصاديات الخليجية، أمر يؤكد مدى فاعلية المؤثرات الخارجية في هذه الاقتصاديات...» ص. ١٤١.

(إن الذي يتوجب ملاحظته هو تصريحه حول فاعلية المؤثرات الخارجية ومقارنته هذا بطرحه لظاهرة الركود الاقتصادي في مقال في الفصل الأول، حيث أن المهم لديه العوامل الداخلية). وهناك مقالان حول مسلكية منظمة الأوبيك حال تغيرات أسواق-النفط هما «أوبك بين الكر والنفر» و «فروقات الأوبيك وشروع الأسعار». ومقالة «شريك تجاري أم سوق لتعريف البضائع» يتناول العلاقات الاقتصادية بين دول مجلس التعاون والدول الصناعية، أما مقالة «الاغراق بين الحاجة النفسية والواقع المعاش» فتتناول موضوع الاغراق والمنافسة في اسوق دول الخليج وما يتعلق بها من توجهات نحو حماية الصناعة واقرار الموصفات القياسية التي بحثت في ندوة أقيمت في الدوحة في ٨ - ٩/١٢/١٩٨٥ تحت اشراف منظمة الخليج للاستشارات الصناعية. والمقال الاخير يتناول وضع الصادرات غير النفطية في دول الخليج العربية.

أما الفصل الثالث والأخير والعنون «نظارات في بعض هوم الاقتصاديات العربية» والذي يجوي (١١) مقالة ، فتتناول مقالاته موضوعين أساسين هما «العمل الاقتصادي العربي المشترك» أو آراء الدكتور التي حول بعض جوانب اشكالية التكامل الاقتصادي العربي، و «الامكانيات الاستثمارية المتاحة في البلدان العربية» وفي هذا الموضوع يكرد الدكتور التي أراءه الواردة في مقالات سابقة حول التوجه خليجياً إلى زيادة العوائد المالية عن طريق الاستثمار الخارجي في الدول العربية.

يبقى في النهاية أن المستعرض لهذا الكتاب يمكن أن يخرج بنتيجة مفادها أن أداء الدكتور إبراهيم عمر التي حول المواضيع التي تم طرحها في المقالات إلى ٤٨ المجمعة في هذا الكتاب، أداء جديرة بالاحترام بالرغم من الاختلاف معها في كثير من الواقع، إلا أن تلك المقالات لا تشكل «تفسير ومعالجة بعض الظواهر الاقتصادية المعاصرة» ص. ١٢، حيث أن تفسير الظواهر الاقتصادية وبخاصة الظواهر البارزة حديثا يتطلب بحثاً اقتصادياً عميقاً في النظم الاقتصادية القائمة في المنطقة يعتمد منهاً اقتصادياً ويتخذ أسلوباً أكاديمياً. ولكن إذا كان المؤلف يقصد بالتفسير تحديد موقف إزاء بعض أساليب الأداء الاقتصادي وبعض جوانب المتغيرات الاقتصادية واقتراح بعض المعالجات فقد نتفق معه في بعض المواقف. ولكن تقتضي الحقيقة، والواجب الأكاديمي، بأن لا يشار إلى هذه المقالات كمرجع لا استغناء عنه للمختصين الذين يتبعون التطورات الاقتصادية في منطقة الخليج «كما هو وارد في تقديم كتاب، اقتصاديات الامارات ودول مجلس التعاون الخليجي» المستعرض هنا.

## **قواعد النشر في المجلة**

ترحب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات المبتكرة ذات الصلة بالعلوم الإنسانية، والتي تهدف إلى  
اضافة الجديد بهذه المجالات وتخدم مجتمع الامارات بخاصة والعربى عامة على أن يتزمن المؤلفون  
بالشروط التالية :

### **\* الابحاث والدراسات :**

- ١ — اعتقاد الأصول العلمية في اعداد وكتابة البحث.
- ٢ — أن لا يكون قد سبق نشره أو معروضاً للنشر في مجلة أخرى.
- ٣ — أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (٣٠) صفحة وأن تكون مطبوعة ما أمكن ذلك.
- ٤ — أن يرفق الكاتب نبذة تعريفية عنه وبخاصة عنوانه الكامل وجده عمله.

### **\* الآراء والأفكار :**

كما تفتح المجلة صفحاتها لنشر المناقشات العلمية التي تعالج الآراء والقضايا الهمة في مجال العلوم  
الإنسانية. على أن لا يزيد عدد صفحات الموضوع عن (١٠) صفحات.

### **\* عروض الكتب :**

وتقوم المجلة بنشر عروض للكتب الجديدة على أن لا تزيد عدد الصفحات عن (٥) صفحات وأن  
يتضمن. بمكان بارز المعلومات التالية : -

- ١ — الاسم الكامل للمؤلف.
- ٢ — العنوان الكامل للكتاب.
- ٣ — مكان النشر.
- ٤ — الاسم الكامل للناشر.
- ٥ — تاريخ النشر.
- ٦ — عدد الصفحات.
- ٧ — اذا كان الكتاب بلغة أجنبية يجب كتابة هذه المعلومات بتلك اللغة.
- ٨ — اسم وعنوان عارض الكتاب.

### **\* تقارير وندوات ومؤتمرات**

وترحب المجلة بنشر التقارير والمؤتمرات والندوات التي تغطي بشكل شامل ومنظم اخبار وأبحاث  
ونتائج الانشطة العلمية التي تمت والخاري العمل بها سواء في الوطن العربي او خارجه على أن لا يتجاوز  
التقرير (٥) صفحات.

\* ترسل الأبحاث بعنوان رئيس تحرير مجلة شؤون إجتماعية — جمعية الاجتماعيين — دولة الامارات  
العربية المتحدة — الشارقة — ص. ب. ٣٧٤٥ .



## **Journal of Social Affairs**

**No. 14 Vol.4 Summer 1987.**

**A Quarterly Journal Published by the  
Sociologists Association of the U.A.E  
SHARJAH BOX 3745.**

### **Annual Subscription**

**Individual :**

<b>U. A. E</b>	<b>Dhs 25</b>
<b>Arab Countries</b>	<b>\$ 10</b>
<b>Elsewhere</b>	<b>\$ 15</b>

**Institutions :**

<b>U. A. E</b>	<b>Dhs 100</b>
<b>Elsewhere</b>	<b>\$ 40</b>